

أقوى من إسرائيل

فتوى في الصلح مع اليهود
ومساجلات القرضاوي وابن باز

محمود النجيري

تقديم الدكتور

محمد عمارة

دار البشير
للثقافة والعلوم

دار البشير
للثقافة والعلوم

اسم الكتـــــاب : أقوى من إسرائيل .
التــــأليف : محمود النجيري .
التـــصنيف : النزاع العربي الإسرائيلي .
عدد الصفحات : 112 صفحة
الـطـبـعـة : (الأولى 2008م)
الـنـاشــر : دار البشير للثقافة والعلوم . طنطا
التـــوزيـع : دار البشير للثقافة والعلوم . طنطا
تليفاكس 3316316 /040_0167467492
darelbasheer@hotmail.com
dar_elbasheer@yahoo.com
الإيداع القانوني : 3045 / 2008
تـــدمـــك : I . S . B . M . 977 _ 278 _ 336 _ 3

1429 هـ
2008 م

آيات قرآنية في اليهود

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى :

﴿ولَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الأَدْبَارَ ثُمَّ لا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا (٢٢) سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً﴾ [الفتح : 23.22]

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأعراف : 176]

﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ (١٤) وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة : 15.14]

أبيات من ملحمة الدعوة

(وهي قصيدة قصيرة مجهولة المؤلف)

لا بديل للخلود. . . .

لا بديل للجنان. . . .

لا بديل. . . . . .

لا بديل غير ذلة الرُّغام

لا بديل غير خُدعة السراب

لا بديل غير وهدة الظلام

لابديل للإقدام. . غير سحقة الأقدام

عرفت قصة الطريق كلها. . . .

الموت أول المطاف

لكن خضرة الطريق لا يصيبها الجفاف

قادم. . وقادم. . وقادم

إشراقة مضيئة تجيء في الختام

تقدموا. . تقدموا. .

تقدموا فبعد لحظة من المسير

ينتهي الزحام

* * *

حتى يكون الإفتاء إسلاميًا

مقدمة في

فقه الاستعمار الاستيطاني

تصدير بقلم الأستاذ الدكتور/ محمد عمارة

الفقه في معناه الأولي. والأعمّ. والأدقّ. هو : الفهم والوعي . .

ولأن الإسلام دين الجماعة. ولأن شريعته- التي هي مرجعية الفقه الإسلامي- هي دين ودنيا كان الفقه الإسلامي أكثر من وعي بالأحكام وأكبر من فهم للنصوص والمأثورات الدينية إذ لابد فيه مع فقه «**الأحكام**» من فقه «**الواقع**» الذي تتنزل عليه هذه الأحكام ومن الوعي بمصالح الجماعة والأمة ومن عقد القران بين فقه الأحكام وفقه الواقع أي تنزيل الحكم على الواقع ؛ تحقيقًا للمصالح الشرعية المعتبرة لأمة الإسلام وجماعة المسلمين . .

وهذا المنهاج الإسلامي في النظر الفقهي هو الذي يعصم الفقه الإسلامي من الفصام النكد بين النصوص والمأثورات والتراث. وبين الواقع المعيش والمصالح الشرعية المعتبَرة لجماعة المسلمين . . .

وإذا كان هذا الفصام النكد قد أثمر في حياتنا الفكرية «**فقهاء بالأحكام**» لا دراية لهم بفقه الواقع الذي يعيشون فيه « **خبراء بالواقع** »لا دراية لهم بالشريعة التي أنزلها الله. لتدبير وحكم حركة الواقع الذي يعيش فيه المسلمون . . فإن التأليف الخلاق بين «**فقه الواقع**» و« **فقه الأحكام**» هو السبيل إلى إخراج حياتنا الفكرية وثقافتنا الإسلامية من هذا الفصام النكد الذي يشكو منه الكثيرون . .

بل لا نغالي إذا قلنا : إن منهاج النظر الإسلامي إنما يدعونا إلى البدء بفقه الواقع حتى نبحث لمشكلاته عن الأحكام والحلول الملائمة في فقه النصوص والمأثورات . فالشريعة الإسلامية ومطلق الدين إنما جاء هداية إلهية لتحقيق المصالح الشرعية المعتبرة والسعادة الإنسانية في المعاش والمعاد . . . ففقه الواقع والبحث عن ما يحقق مصالح جماعة المسلمين هو نقطة البدء والانطلاق وفقه الأحكام هو السبيل لضبط المصالح بضابط «**الاعتبار الشرعي**». وذلك تمييز لهذه المصالح عن«**المنفعة الدنيوية الصرفة**» المنفلتة من ضوابط الدين . .

وإذا نحن طبقنا هذا المنهاج في النظر على القضية الفلسطينية وصراع الأمة العربية والإسلامية مع الصهيونية والإمبريالية حول القدس وفلسطين. لضبط الفتاوى والاجتهادات والسياسات المتعلقة بهذه القضية وهذا الصراع فلابد أن نبدأ بفقه واقع القضية الفلسطينية والوعي بالحقائق الواقعية لهذا الصراع وذلك حتى نبحث لمشكلات هذا الواقع عن إجابات على علامات استفهامه وعن الأحكام الشرعية المحققة لمصالح الأمة في قضايا هذا الصراع . .

ولفقه هذا الواقع وللوعي بالحقائق التاريخية الصلبة والعنيدة والمستعصية على الخلاف والاختلاف فإننا نسوق عددًا من هذه الحقائق والوقائع الحاكمة في فقه ووعي طبيعة هذا الصراع المفروض على أمتنا :

* فمن **الناحية التاريخية**- للتاريخ القديم- لا وجود «**حق يهودي تاريخي**» في أرض فلسطين على وجه القطع والإطلاق . .

فعرب فلسطين الحاليون هم الامتداد للكنعانيين. الذين هم من أقدم الجماعات البشرية التي وعى التاريخ سكناهم لأرض فلسطين وأصل الكنعانيين هؤلاء أصل عربي خالص لأنهم جزء من الهجرات العربية التي خرجت من شبه الجزيرة العربية إلى أرض فلسطين التي سُمِيَتْ. لذلك. في فجر تاريخها بـ " أرض كنعان " .

ولقد وعت ذاكرة التاريخ هذه الحقيقة قبل **4500** عام من تفجر الصراع العربي الصهيوني ومن دعاوي الحق التاريخي لليهود في فلسطين . . كما وعت ذاكرة التاريخ أن " اليبوسيين " الذين سكنوا فلسطين قديمًا. هم الآخرون عرب وهم الذين بنوا مدينة القدس في الألف الرابع قبل الميلاد أي قبل ثلاثة آلاف عام من الوجود الهامشي لليهود العبرانيين على مقربة من القدس!

* وإذا كان اليهود هم أتباع الشريعة اليهودية التي جاء بها موسى فإن موسى قد ولد. ونشأ وبعث ومات ودفن في مصر ولم تقم بين اليهودية هذه وبين فلسطين في ذلك التاريخ أدنى علاقة . . فلا توراة موسى نزلت بالقدس أو فلسطين- كما هي علاقة الإسلام والقرآن بالحجاز مثلا . . وكما هي علاقة النصرانية والإنجيل بفلسطين- وإنما نزلت توراة موسى بمصر. وبلغتها الهيروغليفية!

ولقد رفض أتباع موسى- اليهود- دعوته لدخول الأرض المقدسة- أرض كنعان-

فعاشوا وماتوا في التيه- بمصر- دون أن تكتحل عين أي منهم برؤية القدس وفلسطين . .

*أما العلاقة اليهودية ببعض أرض فلسطين. فهي علاقة طارئة ومؤقتة بدأت في عصر "**يوشع بن نون**" الذي غزا بعض أرض فلسطين بعد **1500** عام من التاريخ العربي المكتوب لفلسطين- والذي ظل وجوداً قلقًا ومتشرذمًا- سوى نحو أربعة قرون- أي نصف عمر الوجود العربي في بلاد الأندلس- ولقد شارك في إزالة واستئصال هذا الوجود اليهودي من أرض فلسطين كل من الآشوريين والفرس والفراعنة والإغريق والرومان بينما ظل الوجود العربي في فلسطين هو الراسخ والدائم منذ فجر تاريخ هذا البلد وحتى هذه اللحظات .

هذا عن التاريخ القديم . . . وما يرتب من حقوق . . مع افتراض جواز توزيع خرائط وحدود الأوطان المعاصرة بناء على ذلك التاريخ القديم . . ولو جاز هذا الافتراض لطالب المصريون بإمبراطورية رمسيس الأكبر (**1290-1224** ق . م) وطالبت إيران بمملكة قمبيز (**529-521** ق . م) وطالبت مقدونيا بإمبراطورية الإسكندر المقدوني (**356-323** ق . م) . . ولتحول العالم إلى صورة عبثية ليس لها نظير !

* أمَّا في العصر الحديث فلقد بدأت علاقة المشروع "اليهودي- الصهيوني" بأرض فلسطين كثمرة للغزوة الاستعمارية الأوربية الحديثة التي بدأت بحملة بونابرت (**1769- 1821**م) الفرنسية على مصر(**1213**هـ- **1798**م) أواخر القرن الثامن عشر الميلادي . . فلقد أعلن بونابرت- وهو في طريقه من "مرسيليا" إلى "الإسكندرية"- عزمه على تجنيد عشرين ألفًا من أبناء الأقليات الدينية في الشرق العربي الإسلامي ليكونوا مواطئ لأقدامه الاستعمارية وثغرات اختراق لوطن العروبة وعالم الإسلام وفي إطار هذا المُخطط. وسعيًا لتحقيق هذا العزم أصدر "بونابرت" نداءه إلى يهود العالم- الذين ينحدر أكثر من **80**٪ منهم من نسْل "يهود الخزر" الذين تهَوَّدوا في منتصف القرن الثامن الميلادي والذين لا علاقة لهم باليهود العبرانيين ولا ببني إسرائيل . . أصدرَ "بونابرت" نداءه إلى هؤلاء اليهود- الذين نشئوا في آسيا الوسطى والذين لا علاقة لهم بفلسطين- طالبًا منهم القيام بدور الشريك الأصغر في مشروعه الإمبريالي لإقامة الإمبراطورية الإغريقية

الاستعمارية التي بناها الإسكندر الأكبر في القرن الرابع قبل الميلاد والتي قهرت الحضارات الشرقية عشرة قرون حتى أزالتها الفتوحات الإسلامية في القرن السابع الميلادي . .

ولقد قال "بونابرت" في هذا النداء- الذي أصدره إبَّان حصاره لمدينة "عكا" (1799م). مخاطبًا الجماعات اليهودية :

"أيها الشعب الفريد! . . إن فرنسا تقدم لكم يدها الآن حاملة إرث إسرائيل . . إن الجيش الذي أرسلتني العناية الإلهية به . . قد اختار القدس مقرًا لقيادته وخلال بضعة أيام سينتقل إلى دمشق التي استهانت طويلا بمدينة داود وأذلتها- (؟!)- يا ورثة فلسطين الشرعيين- (؟!)- إن الأمة الفرنسية تدعوكم إلى إرثكم بضمانها وتأييدها ضد كل الدخلاء[1] !!

ومنذ ذلك التاريخ- على وجه التحديد- بدأت الشراكة بين قطاعات من الجماعات اليهودية وبين المشروع الإمبريالي الغربي ضد استقلال الأمة الإسلامية وتحررها وتقدمها .

* وعندما تراجعت ريادة الاستعمار الفرنسي في هذا المشروع الإمبريالي الغربي وتسلمت الإمبراطورية البريطانية قيادة هذا المشروع تحوّل ولاء الجماعات اليهودية إلى الاستعمار الإنجليزي الذي تبنى مشروع الشراكة هذا . . فسعت إنجلترا. في العقد الرابع من القرن التاسع عشر الميلادي. إلى إقناع السلطان العثماني- سرًا- بالسماح لليهود بالهجرة إلى فلسطين لإقامة كيان معاد لمشروع محمد على باشا (1184-1265هـ 1771-1865م) الذي سعى إلى تجديد شباب الشرق العربي الإسلامي للحيلولة دون سقوط أقاليمه في قبضة الاستعمار الأوربي الذي كان يحرس أمراض «**دولة الرجل المريض**»- العثمانية- حتى يحين الحين لاتفاق امبراطورياته الاستعمارية على توزيع ووراثة أقاليمها وولاياتها . . فكتب وزير الخارجية الإنجليزي«**اللورد بلمرستون**» (1784- 1865م) إلى السفير الإنجليزي في الآستانة" عام **1840م** طالبًا منه إقناع السلطان العثماني بالسماح بهذه الهجرات اليهودية إلى فلسطين" حتى

---

(1) محمد حسنين هيكل : المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل ـ الأسطورة والإمبراطورية والدولة اليهودية، الكتاب الأول ، ص **31** ، **32** ، طبعة القاهرة ، **1996** م .

يكونوا حجر عثرة أمام محمد علي باشا ونواياه والأغراض التي قد تخطر بباله أو بال من يخلفه[1] ! !

فالهدف الثابت من وراء زرع هذا الكيان اليهودي الغريب في أرض فلسطين. هو منذ بداية تفكير الاستعمار الغربي في هذا المشروع : إقامة عازل يهودي يمثل قاعدة استعمارية غربية وامتداد للحضارة الأوربية في قلب الشرق العربي الإسلامي للحيلولة دون الأمة الإسلامية والوحدة والحرية والنهوض.

* وعندما لحقت الإمبراطورية البريطانية بنظيرتها الفرنسية- في التراجع والغروب- وتسلمت الولايات المتحدة الأمريكية زمام القيادة للمشروع الاستعماري الغربي. بعد الحرب العالمية الثانية. تحولت الشراكة وتحول الولاء اليهودي إلى أمريكا على النحو الذي تجسده الوقائع المأساوية لهذا الصراع منذ قيام الكيان الصهيوني على أرض فلسطين (1367هـ/ 1948م) وحتى كتابة هذه السطور !

* وإذا كان فقه الواقع. هو الفيصل في إقامة الحُجَّة على انعدام مشروعية العلاقة بين اليهود وبين فلسطين- في العصر الحديث كما كان حال هذا الواقع في التاريخ القديم- فيكفي أن نشير إلى منطق الأرقام الذي يعلن أن لا شرعية ولا حق لليهود في أرض فلسطين. . والذي يفصح عن أن علاقة اليهود الحديثة والطارئة بأرض فلسطين هي علاقة الاستعمار الاستيطاني الذي تمَّ في ظل هذه الشراكة بين الحركة الصهيونية وبين الاستعمار الإنجليزي والاستعمار الأمريكي :

- ففي عام 1852م لم يكن الوجود اليهودي بفلسطين يتعدى 13.000 نسمة أي نسبة 4٪ من سكان فلسطين. .

- وعند قيام الحرب العالمية الأولى 1914م كان عدد اليهود في فلسطين قد بلغ 60.000 نسمة يحمل منهم الجنسية العثمانية 39.000 نسمة فقط والباقون إما زوَّار أو حُجّاج أو متسللون غير شرعيين. . . ولقد حدثت هذه الزيادة بفعل الهيمنة الإنجليزية على السياسة العثمانية. وبسبب الضعف والفساد اللذين أصابا الإدارة العثمانية. وبالرغم من وعي السلطان العثماني عبد الحميد الثاني (1258- 1336هـ 1842-1918م) بخطر الهجرات اليهودية على فلسطين.

---

(1) د. محمد عمارة : إسرائيل - هل هي سامية ؟ ص 124 ، ص 124 ، طبعة القاهرة ، 1997م.

* وفي مقابل هذا الوجود الهامشي لليهود في فلسطين **1914**م كان تعداد الفلسطينيين في ذلك الوطن يومئذ **000 . 683** نسمة منهم **000 . 602** نسمة من المسلمين و**000 . 81** نسمة من العرب المسيّحيين .

ـ فلما أعطت انجلترا- التي لا تملك- لليهود الصهاينة- الذين لا يستحقون- " وعد بلفور " في **2** نوفمبر **1917**م. واحتلت جيوشها فلسطين **1918**م واستأثرت باستعمارها- تحت اسم «**الانتداب**» وفق اتفاقيات «**سان ريمو**» في إبريل **1920**م. وأعطت "**عصبة الأمم**" لهذا «**الانتداب**» و«**لوعد بلفور**»- شرعية دولية في **1922**م فتحت انجلترا أبواب فلسطين للاستعمار الاستيطاني الصهيوني وللهجرات اليهودية ولبناء المستعمرات «**الكيبوتزات**» فقفز تعداد اليهود في فلسطين من **55.000** نسمة عام **1918**م. إلى **646.000** نسمة في **1948**م . . أي من **8** ٪ من إجمالي سكان فلسطين إلى **31**٪ من السكان . وبعد أن كانت ملكية اليهود للأرض في فلسطين لا تتجاوز **2**٪- أي نصف مليـــون دونم - بلغت في **1948**م : **7.6**٪- أي **1.800.000** دونم من أرض فلسطين .

ـ ومع كل هذا الذي صنعه الاستعمار الإنجليزي لليهود. سكانًا وتملكًا للأرض. طوال ثلاثين عامًا من الحكم الاستعماري لفلسطين (**1918**-**1948**م) ظل الوجود اليهودي في فلسطين هامشيًا. وظل حتى عام **1948**م **69**٪ من سكان فلسطين عربًا. و**3 . 93** ٪ من أرض فلسطين مملوكة لسكانها العرب .

ـ لكن قرار التقسيم لفلسطين. الذي أصدرته الجمعية العامة للأمم المتحدة- القرار **181** في **29** نوفمبر **1947**م- قد أعطى لليهود- الذين لم يكونوا يملكون من أرض فلسطين سوى **7.6**٪. أعطاهم الحق في دَولة مساحتها **54**٪ من أرض فلسطين! ! . . وقرر للعرب- الذين كانوا يملكون يومئذ**3.93** ٪ من أرض فلسطين- دولة مساحتها **45**٪ من أرض فلسطين! ! . . واستثنى هذا القرار مدينة القدس- **1**٪ من مساحة فلسطين- من هذا التقسيم . .

ـ ولم تكتف الصهيونية- التي ضمنت لها أمريكا التفوق الحربي والحماية في المنظمات الدولية- لم تكتف بهذا «**السخاء**» الذي جاءها من «**الشرعية الدولية**» فضمت- بالحرب. وبخرْق الهُدنة- المساحات الجديدة من الأرض والقرى والمدن

الفلسطينية. حتى ارتفعت بما تحت أيديها من 54٪ من مساحة فلسطين إلى 77٪ من مساحتها . . وفي سبيل ذلك ارتكبت عصاباتها المسلحة 34 مجزرة. وهدمت وأزالت 478 قرية فلسطينية محتها من الوجود. وسَعَت- بالإعلام والفكر- إلى محوها من ذاكرة التاريخ!

- ورغم أن العرب داخل حدود الكيان الصهيوني- الذي قام عام 1948م - يمثلون خمس السكان- مليون من خمسة ملايين- فلقد جردهم الصهاينة من أرضهم. حتى أصبح خُمس السكان هؤلاء لا يملكون سوى 3٪ من الأرض بينما يملك اليهود 97٪ من الأرض التي احتلت عام 1948م!!

- أما القدس. التي ظلت عربية. ثم إسلامية منذ تأسيسها على يد العرب اليبوسيين في الألف الرابعة قبل الميلاد- أي قبل ثلاثة آلاف عام من الوجود العبري الطارئ والمؤقت على مشارفها . . والتي لم يكن بها من اليهود في العصر الحديث سوى عدد ضئيل من العائلات- لم تتعد ملكيتهم في القدس قبل عام 1948م من 18٪ من مساحتها. فلقد سيطر اليهود- وخاصة بعد عام 1967م. على 86٪ من مساحتها وقفزوا بالوجود السكاني اليهودي فيها إلى 450.000 نسمة في مقابل 000 . 200 نسمة من العرب يعيشون تحت الحصار! وامتدت المصادرات الصهيونية إلى القدس الشرقية. لتشمل «حائط البراق». و«حي المغاربة». وأربعة أنفاق تحت الحرم القدسي تهدد وجوده . . وذلك غير ما صودر من الأرض الفلسطينية حول القدس. والتي تحولت إلى حزام من المستعمرات التي ضمت إلى «القدس الكبرى» والى عازل بين القدس وبين الضفة الغربية التي احتلت عام 1967. وفوق ذلك تشكلت التنظيمات الإرهابية الصهيونية- 25 تنظيمًا- التي تعمل بالدعم والإمكانات اليهودية والأمريكية- لهدم الحرم القدسي. وإقامة "الهيكل" المزعوم على أنقاضه!!

- وغدا المشهد المأساوي لواقع هذا الاستعمار الاستيطاني «الصهيوني- الإمبريالي» على أرض فلسطين. على النحو الذي تجسده هذه الأرقام:

* فاليهود الذين كان تعدادهم في فلسطين عام 1852م 000 . 13 نسمة. أصبح تعدادهم في فلسطين اليوم أربعة ملايين!! وبعد أن كانوا لا يملكون من أرض

فلسطين عام 1918م سوى 2٪ أصبحوا يملكون ويسيطرون الآن على كل أرض فلسطين!!

ولقد أدّى هذا الاستعمار الاستيطاني. والاحتلال اليهودي لأرض فلسطين إلى طرد وتهجير ستة ملايين فلسطيني- منهم خمسة ملايين طرد آباؤهم عام 1948م. ومليون طرد آباؤهم فيما بعد عام 1948م. يعيشون جميعًا في المنافي والمخيمات والمستنقعات. على الصدقات! ويكونون أكبر كتلة من اللاجئين وأقدم مأساة على النطاق العالمي!.. وأكبر ضحية لأبشع وآخر نماذج الاستعمار الاستيطاني عبر تاريخ هذا اللون من ألوان الاستعمار والاقتراع والإحلال والاحتلال.. أما الأربعة ملايين يهودي الذين حلوا محل هذه الملايين العربية الفلسطينية.فإن 96٪ منهم قد جئ بآبائهم وأجدادهم من مختلف بلاد الدنيا؛ ليغتصبوا الأراضي والمنازل والسيادة والأمن والماء والهواء على أرض فلسطين [1].

• إذن، فكل اليهود على أرض فلسطين هم «لصوص.. ومغتصبون.. ومحاربون»، حتى ولو لم يَلبَسوا «الكاكي»، أو يدخلوا «الجيش»، أو يَحملوا «السلاح». فالتمييز هنا، والقسمة في هذا المقام هي بين "محارب"، و"مسالم". وليست بين "عسكري" و«مدني»، فالمستوطنون المغتصبون للأرض والمنازل والديار والأمن والماء والهواء هم «المحاربون»، رجالا كانوا أم نساء، وبصرف النظر عن الزي يرتديه هؤلاء المغتصبون، وعلى نوع السلاح الذي «يحاربون»به: طائرات، أو دبابات، أو مدافع كان هذا السلاح، أم جرافات ومحاريث وأفكاراً، فجميعها أسلحة فتّاكة، يدعم بعضها البعض الآخر، وتتكامل جميعًا في الاغتصاب والاستعمار الاستيطاني لأرض فلسطين.

* كما أن قدم تاريخ السرقة والاغتصاب- في الاستعمار الاستيطاني- لا يرتب شرعية ولا مشروعية ولا حقوقًا للصوص المغتصبين. وإلا لجاز "الإفتاء" بأن لأسبانيا حقوقًا مشروعة في أرض «سبتة» و«مليلة» العربيتين المسلمتين المغربيتين- على الساحل الأطلسي للمغرب- وهما محتلتان ومستعمرتان استعماراً استيطانيًا

---

(1) فيليب فارج، يوسف كرباج، المسيحيون واليهود في التاريخ الإسلامي العربي والتركي، ترجمة: بشير السباعي، ص 232 وما بعدها، طبعة القاهرة، 1994 م. ود. محسن محمد سليمان صالح: فلسطين بلادنا الحبيبة، ص 17ـ33 طبعة القاهرة، 2001م. د. عبد الوهاب الكيالي- محرر- موسوعة السياسة، مادة «فلسطين»، طبعة بيروت، 1986م.

منذ **1415**م و**1497**م أي قبل أربعة قرون ونصف القرن من الاستعمار الاستيطاني الصهيوني لأرض فلسطين.

* وإذا كان زنوج جنوب أفريقيا قد رفضوا الاستعمار الاستيطاني الأوربي لبلادهم. والذي بدأته «**شركة الهند الشرقية الهولندية**» **1652**م وظلوا يجاهدون قرابة أربعة قرون حتى أزالوا هذا الاستعمار الاستيطاني في أواخر ثمانينيات القرن العشرين. وذلك دونَ أن يَظهر بين هؤلاء الزنوج من "يُفتي" بأن للمستعمرين البيض تاريخًا في أرض جنوب أفريقيا أو أن هؤلاء المستعمرين هم "مدنيون أبرياء" وليسوا «**محاربين**»؛ لأنهم لا يَلبَسون «**الكاكي**». ولا يحملون "الرُّتب العسكرية"! فغير معقول. ولا مقبول أن يظهر بين أمَّة الإسلام التي جعل رسولها ﷺ الجهاد ذروة سنام الإسلام. وجعل رهبانية هذه الأمة هي الجهاد وجعل هذا الجهاد- بما فيه القتال- فرْض عين على كل مسلم ومسلمة- إذا احتل العدو شبرًا من أرض المسلمين- وفلسطين ليست شبرًا. وإنما مساحتها **900.27** من الكيلومترات المربعة وهي ليست مجرد «**أرض**» وإنما هي «**أرض مقدسة**».

غير معقول ولا مقبول. أن يَظهر في أمَّة الإسلام مَن **يُفتي**" بأن للصوص الاستعمار الاستيطاني حقا في أولى القبلتين وثالث الحرمين. والأرض التي بارك الله فيها عندما جعلها مسرى الرسول الخاتم ومعراجه إلى السموات العلى.

فالإفتاء- الذي يستحق صاحبه حمل أمانة "التبليغ عن رسول الله" لابد أن يبدأ بفقه الواقع واقع الاستعمار الاستيطاني القائم على اغتصاب أرض القدس وفلسطين. ذلك الذي تحالفت فيه الشراكة "الإمبريالية- الصهيونية" على اغتصاب المنازل والديار والأرض والأمن والماء والهواء من أصحابها الشرعيين فلا حُرْمة للصٍّ مغتصِب.

وإذا كانت «**اتفاقيات جنيف**» التي أقرتها الأمم المتحدة عام **1949**م قد جعلت إقامة المحتل للمستوطنات على الأرض المحتلة. وتغيير طبيعة هذه الأرض المحتلة "جريمة حرب ضد الإنسانية" فإن الكيان الصهيوني بكامله هو «**جريمة حرب كبرى ضد الإنسانية**» لأنه ليس أكثر من استعمار استيطاني منذ أول مستعمرة أقامها الصهاينة على أرض فلسطين إلى أحدث المستعمرات التي أقاموها هناك.

إننا- بلُغَة الفقه الإسلامي- أمام «جريمة حرابة مركبة» مستكملة لأبشع جرائم الحرابة التي عرفها التاريخ: ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٣٣) إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [المائدة: 34، 33]

* وإذا كانت الصراعات ذات العمق التاريخي. والتي تختلط وتجتمع فيها الأبعاد والعوامل الوطنية والقومية والدينية والتي تتداخل فيها المصالح المحلية والإقليمية بالأطماع الدولية- وفي المقدمة منها وكنموذج لها الصراع العربي- الصهيوني- فإن حل مثل هذا الصراع نادرًا ما يتم دفعة واحدة. وخاصة في الفترات التي تشهد اختلالات في موازين القوى بين أصحاب الحق وبين قوى الهيمنة والاغتصاب- كما هو حادث الآن بين أطراف هذا الصراع.

وإذا كان السلام الحق لا يمكن أن يقوم إلا بتحقيق كامل العدل الذي يعيد كامل الحقوق إلى أصحابها الحقيقيين فلابد وأن تميز الفتاوى والاجتهادات والسياسات بين "**التسوية المرحلية**" التي تحقق خطوة أو خطوات نحو السلام العادل الدائم وبين السلام الحق. الذي يعني المصالحة التي تكرّس ما ينتهي إليه الحل العادل للصراع «فالتسوية المرحلية» هي أقرب إلى «**الهدنة**» منها إلى «**حقيقة السلام**» فلا سلام مع بقاء الاغتصاب لأي حق من الحقوق. حتى ولو أطلقت لغة "الدبلوماسية" على هذه «الهدنة» مصطلحات «الصلح . . والسلام». وقديمًا أطلق المسلمون- في السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي- على "معاهدة الحديبية" التي عقدها رسول الله ﷺ مع مشركي قريش عام 6هـ- اسم "صلح الحديبية" مع أنه كان "هدنة" موقوتة بعشرة أعوام بين المسلمين الذين ظُلموا وبين المشركين الذين ظَلموهم بإخراجهم من ديارهم وبفتنتهم في دينهم. فلقد كان هذا "الصلح" هدنة مرحلية في إطار الصراع الممتد بين المسلمين المظلومين وبين الظلم القائم الذي أوقعه بهم المشركون. ولم يكن "**سلامًا**" يكرّس المظالم القائمة بحال من الأحوال.

وإبان الحروب والحملات الصليبية (**489-690هـ1069- 1291م**) التي شنَّها الغرب الأوربي على الشرق الإسلامي على امتداد قرنين من الزمان تداولت أطراف

هذا الصراع «القتال» و«الهدنة» عدة مرات حتى كان الاقتلاع الكامل والإزالة التامة لكل آثار الاستعمار الاستيطاني الذي أقامه الصليبيون على أرض فلسطين والشام .

ولقد وعى العقل المسلم- في الفتاوى والاجتهادات والسياسات- هذه المعايير الموضوعية والدقيقة في التعامل مع الأعداء في هذه الصراعات. ولهذا الوعي يحتاج العقل المسلم المعاصر وهو يتعامل مع الصراع «العربي- الصهيوني» الذي هو في الجوهر والأساس «**استعمار استيطاني**». تُستخدم فيه الأساطير و«الأيديولوجيات» والدعاوى التاريخية للتبرير ؛ ولإخفاء الوجه القبيح لهذا الاستعمار .

ذلك هو **منهاج النظر في الإفتاء، كما عرّفه الفقه الإسلامي** . أشرنا إلى معالمه. توطئة وتقديمًا **لتطبيقاته الذكيّة، التي كوَنت وتكوِّن صفحات هذا الكتاب . . الذي كتبه باحث جادٍ ومجدٍ ومجتهد، يسلك طريق الجهاد الفكري، مرابطا على ثغور الإسلام، هو الدكتور محمود النجيري .**

ونسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفع بهذا الكتاب وأن يجعله في ميزان حسنات مؤلفه وكل من انتفع به. إنه سبحانه خير مسئول وأكرم مجيب .

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين،،

دكتور محمد عمارة

يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [التحريم: 9]. ويقول تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: 14]. ويقول عزَّ من قائل: ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: 41]. ويقول عزَّ اسمه: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحجرات: 15].

هذه الآيات الكريمات. من كتاب الله سبحانه. هي بعض ما ورد فيه من آيات الجهاد التي يسعى أعداء الإسلام لطمسها من كتاب الله إن استطاعوا. أو تغييبها عن حياة الأمَّة وعقلها؛ وذلك لأن الجهاد في سبيل الله هو الذي يُجدد شباب الأمَّة. ويُحيي مواتها. ويجْمَع طاقاتها. ويُبلور أهدافها. وينفي خبثها. وهو الذي يصنع الرجال. ويوجههم إلى معاليَ الأمور. ويجعلهم يتعالون عن سفاسفها. ويعتادون سمو الفكر. وخشونة العيش. وقوة الأجسام. والقدرة على التخطيط والتنظيم والتنفيذ. وينشر أخلاق الصبر والتحمل. ويحقق الأهداف السامية للأمة. كما قال الله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: 110].

وأمَّتنا أحوج إلى هذه المعاني العظيمة. فالجهاد طريقها لتستعيد ثقتها بنفسها؛ وتكتشف طاقاتها المخزونة. وقواها الكامنة خلف رُكام الاستضعاف والاستخذاء. والتثبيط والإرجاف؛ وخصوصًا أن الغرور الإسرائيلي بَلَغ مداه. وتطلع اليهود إلى الاستحواذ على قطعة غالية من بلاد المسلمين إلى الأبد؛ مراهنين على أن رُوح أمتنا وقواها هَمَدتْ؛ زاعمين أنهم الأقوى. وأننا أضعف منهم!

ولكن هل نحن أضعف من إسرائيل؟

وهل لا نملك من الأسباب. ما نستطيع به تحرير فلسطين. وبالتالي ما علينا إلا الاستسلام لعنفوان قوة اليهود. والرضا بشروطهم. وتوقيع صلح نتنازل فيه عن الأرض- التي لا نملكها- **(فهي ملك للإسلام)**. لمن لا يستحقونها؟

وهل يجيز لنا الإسلام هذه المهانة؟

إن فتاوى نُشرت في جريدة (**المسلمون**)[1]. تزعم أننا ضعفاء في مواجهة إسرائيل. وأن الإسلام يُبيح لنا أن نعقد معها صلحًا. نُقرُّها فيه على ما تحت يدها. فنقبل واقع وجودها على أرض الإسلام- التي هي وقفَ الله تعالى . وتبرر الفتوى هذا الصلح تحت وَهْم الحصول على بعض الحقوق الضائعة وتمنيات الإعداد للتحرير على المدى البعيد!!

والمأساة هي أن تُنسب هذه الفتاوى إلى عَلَم من أعلام الفقه والدعوة. هو الشيخ عبد العزيز بن باز رأس الدعوة السلفية في العصر الحديث (رحمه الله تعالى) .

ولأن من وظيفة طلاب العلم إيضاحَ الحق وكشْف الشُّبَه وبيان الصواب . وليس من وظيفتهم محاباة الساسة ومجاراة أهل الفساد وممالأة المنحرفين- كان واجبًا علينا دراسة هذه القضية بمنهجية علمية نبتغي وجْه الحقّ بعيدًا عن التهييج والتشنج . فليس الأمر بابًا للشماتة أو تلَمُّس الأخطاء وتَحَسُس العيوب وليس بيننا وبين أحد من دون الله رغبة ولا رهبة وجيوبنا لم تتلوث بالدرهم والدينار ولا حتى بالدولار ولم يدفعنا إلى هذا الكتاب إلا ما افترضه الله ﷻ علينا من بيان الحق وعدم كتمانه ؛ مستعينين بمدلولات الشرع والعقل والواقع وخوفًا من آية في كتاب الله الكريم :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ [البقرة: **159**]

وآية بيِّنة أخرى تقول : **﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾** [البقرة: **174**] .

والخوف كل الخوف من تحذير النبي ﷺ بقوله : «**مَن أعانَ على خصومة، لا يعلم أحقٌ أم باطل، فهو في سخط الله حتى يَنزع**»[2] .

---

(1) سياتى نص هذه الفتاوى

(2) أخرجة الطبرانى فى الأوسط حديث من اسمه معذ **(8552)** .

وكذلك تحذيره الآخر بقوله : «**سيكون بعدي أمراء . فمَن دَخلَ عليهم فصدَّقهم بكذبهم ، وأعانهم على ظلمهم ، فليْس مني ، ولستُ منه ، وليس بوارد على الحوض**» [1] .

وفي رأيِّنا. أن هذا الكتاب يُبينُ عمَّا في صدر كلِّ وطني مخلص لبلده. ويُعبِّر عمَّا يجول بفكر كل مسلم. يعي حقيقة القضية الفلسطينية . والله أكبر والنصر للمؤمنين .

دكتور /محمود النجيري

---

(1) أخرجة أحمد فى المسند (18151) والترمذى فى السنن كتاب الفتن (2259) والنسائى كتاب البيعة باب من لم يعن أميراً على الظلم (4208) وابن حبان كتاب البر والإحسان، باب الصدق والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر (282) وصححه الألبانى .

1- جهاد القلم
ومشكلة وجود إسرائيل

حين كان بيت المقدس محتلا من قبَل الصليبين، وكان صلاح الدين الأيوبي يُعدُّ الأمة لتحريره، كان هناك طائفة من العلماء، لا قوة بهم على الجهاد مع الجيوش؛ فعَمَدوا إلى التأليف؛ مشاركة منهم في تحرير بيت المقدس؛ وحثًا للأمة على الجهاد في سبيل الله تعالى. وقد ظهرت في هذه الفترة كتب عدة في شئون الحرب والسياسة، منها كتاب: «**المنهج المسلوك في سياسة الملوك**» (1)، لعبد الرحمن بن عبد الله الشيزري، من علماء القرن السادس الهجري. ومما جاء في هذا الكتاب:

«إن الله تعالى- في الأصل- فرَض على كل مسلم أن يقاتل عشرة من المشركين. ثم إن الله تعالى- بعد ذلك- خففَ عن المسلمين لمّا شق عليهم الأمر، فأوجبّ على كل مسلم أن يقاتل رجلين. ثم إن الله حرَّم على كل مسلم أن ينهزم من مثليه، إلا لأحد أمرين: إما متحرفُ لقتال؛ فيأوي للاستراحة، أو لمكيدة، ثم يعود إلى قتالهم. وإمَّا أن يتحيَّز إلى فئة أخرى؛ فيجتمع بها على قتاله».

ويدور الزمان كهيئته يوم ذاك، ولكن مع فارق جَوْهري، وهو أن اليهود هم الذين يحتلون اليوم الأرض المقدسة في فلسطين، ومن ورائهم العَوْن الغربي، وأن فريقًا كبيراً منّا قد سارع واستسلم للمطامع الاستعمَارية في فلسطين، وتَخلى عن مسيرة الجهاد لتحرير بيت المقدس!

فمن جانب، كان لدى الغرب رغبة ما في إرضاء ضميره القلق من تضخم المشكلة اليهودية في أوروبا، فرأى حَلا لهذه المشكلة أن يتخلص من شراذم اليهود القاطنة في بلاده، بدفعها إلى الهجرة إلى الأرض المقدسة، فكان علينا نحن أن ندفع الثمن؛ كي يَحلَّ الغرب مشكلته؛ فتبلورت الدعوة الاستعمارية إلى إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين، ذلك أن الاضطهاد الديني، وعدم التسامح والدموية التي لاقاها اليهود في الغرب، كانت المُبَرر الحاضر- في يد الغربيين- لتجميع اليهود على قطعة من بلادنا، في وقت تخلى فيه الغربيون عن كل مسئولية؛ ولنشقى نحن بما اقترفت يداه!

---

(1) نشر، مكتبة المنار، الأردن.

وتَحَدَّدَ لإسرائيل وظيفتها من البداية، وكما جاء في الميثاق:

« **إن قطعة من الأرض العربية في فلسطين، قد أعطيتْ- من غير سندٍ من الطبيعة أو التاريخ- لحركة عنصرية عدوانية، أرادها المستعمر لتكون سوطًا في يده؛ يلهبَ به ظهر النضال العربي، إذا استطاع يومًا أن يتخلص من المهانة، وأن يَخرج من الأزمة الطاحنة. كما أرادها المستعمر فاصلا يعوق امتداد الأرض العربية؛ ويَحجز المشرق عن المغرب. ثم أرادها عملية امتصاص مستمرة للجهد الذاتي للأمة العربية؛ تشغلها عن حركة البناء الإيجابي**، ذلك كله تمَّ بطريقة تحمل طابعًا استفزازيًا، لا تقيم وزنًا لوجود الأمة العربية، أو لكرامتها!» [1]

ولتأكيد هذه الوظيفة، وتحقيق مقاصدها، اتكأ اليهود والغربيون على تراث ديني مشترك، من خلال رؤية جديدة للعهد القديم، وتقديم تفسيرات أصولية محرَّفةً لنصوص تاريخية استنفدت أغراضها عن أرض الميعاد، وعودة شعب الله القديم، وإقامة مملكة صهيون . . . إلى آخر هذه الخرافات التي صارت طبقًا للتفسيرات التي يتبناها الأصوليون الإنجيليون في الغرب دينًا جديدًا، ونبوءات مقدسة، تخلط الدين بالسياسة، وتصبغ المصالح الدنيوية الاستعمارية برداء الكهنوتً المقدس!

وحَمَلَ الغربُ على كاهله ضمانَ تفوق إسرائيل في عملية تزاوج مصالح مكشوفة، ليس لها ضحايا إلا العرب أرضًا واقتصادًا، وتاريخًا وحضارةً، ووجودًا. وبالفعل يعلن الغرب التزامه جهارًا نهارًا- حتى مع ما يُسَمَّى «عملية السلام»- عن ضمان تفوق إسرائيل على جميع العرب عسكريًا وتقنيًا وعلميًا.

وتحاول إسرائيل- كما يحاول الغرب- إيجاد مبررات لوجود هذه الدويلة المتسلقة، سواء كانت مبررات تاريخية، أو دينية، أو عنصرية. وتدور بطبيعة الحال مواجهة حضارية، تَحْمل في رحمها عداءً عقديًا متبادلا بين العرب واليهود، يعود إلى بداية البعثة المحمدية إن لم يَسبقها.

وهذا التحدي الاستراتيجي القائم، بما يحمل من طاقات كراهية ضاربة بجذورها في التاريخ والعقائد الدينية، يَحْفز قدرات هذه الأمَّة، التي يقول كتابُها الكريم: ﴿ **وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ**

---

(1) الميثاق وتقريره، قدمه: جمال عبد الناصر إلى المؤتمر الوطني للقوى الشعبية يوم 21 مايو 1962م بالقاهرة، وزارة التربية والتعليم، دار الشعب، طبعة 1970م، ص39.

وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ ﴾ [البقرة: 120]، ويقول أيضًا: ﴿ وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ [البقرة: 217]، ويقول أيضًا: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ [المائدة: 82]

وهذا البيان الإلهي، يجعلنا- ضد الإسرائيليين- في حالة جهاد مستمر لا يَضع أوزاره، حتى لو تحرَّر كلُّ شبر من أرض فلسطين المباركة؛ لأن الصراع بيننا ليس على الحدود ولكن على الوجود، وليس مقصده الأرض، ولكن انتصار الحق على الباطل: ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: 81]

إنه صراع لا يقبل التعايش، ولن يهدأ إلا بتحقيق فريق انتصاره الكامل على الفريق الآخر، وإزاحته من طريقه تمامًا.

وقيام إسرائيل على عقيدة دينية عنصرية وعدوانية، كان مُفجِّرًا لينبوع العقيدة الإسلامية، وتجديدًا لقوتها في قلوب أبناء الأمَّة الإسلامية في العصر الحديث. ووجود إسرائيل في قلب هذه الأمة، وجَعٌ يثير التحدي المستمر لمواجهتها علميًا وحضاريًا.

إن فلسطين ليست ملكًا لأحد من الناس- كائنًا مَن كان- منذ فتحها المسلمون في القرن الهجري الأوَّل، ثم حرَّروها من الصليبيين بدماء غزيرة، واستقروا فيها مدة تكاد تكون أطول مدة لاستقرار شعب على أرض في التاريخ. ولكنها حقُّ الله تعالى، ووقفُ الإسلام والمسلمين جميعًا. فبدمائهم فُتحت وأُعليَ فيها ذكرُ الله وتوحيده، وعلى ثراها سالت دماء الصحابة الكرام ومَن تبعهم بإحسان، وبُذل الثمن الغالي في حمايتها من الروم والصليبيين والتتار والاستعمار الحديث. وكما قرَّر علماؤنا: فكل بلد فتحه المسلمون وحكموه، ثم تغلَّب عليهم الكفار، وَجَبَ تحريرُه. وكلُّ بلد خضع للخلافة الإسلامية وعَلَتْهُ أحكامُ الإسلام، وَجَبَ على أهل الملة جميعًا الدفاع عنه، وصيانته من المعتدين، ودحْر مَن يُريد به سوءًا [1].

ولسنا وحدنا في معارضة وجود إسرائيل، إذ أكَّد الدكتور «**ألفريد فلنتال**»- الكاتب اليهودي الأمريكي، في حديث أدلى به لصحيفة الراية القطرية-

(1) مغني المحتاج: الخطيب الشربيني 4/ 253.

معارضته لوجود إسرائيل، وقال: "إنني أعارض الصهيونية وإسرائيل، بصفتي يهوديًا يرى فيها خطرًا على الدين اليهودي؛ وذلك بتحويلهم من جماعة دينية إلى جماعة عرْقية".

وأوضَحَ ألفريد فلنتال أن ما يُسمى بالحنين اليهودي إلى فلسطين، هو أكذوبة اخترعها الصهاينة في القرن التاسع عشر؛ لتكون مرتكزًا للقومية اليهودية. وقال: إن هذه الفكرة القومية، تأثرت بالأفكار القومية الأوربية، التي سادت في تلك الفترة، وإن معظم اليهود لا تربطهم أية جذور بفلسطين؛ لأنهم ليسوا منحدرين من منطقة الشرق الأوسط. وقال: إن هناك عددًا كبيرًا من اليهود، يزداد عددهم باستمرار، يقفون على الحياد إزاء إسرائيل.

وفَضَحَ «فلنتال» الإرهاب الصهيوني بقوله: «إن اليهود الصهاينة استطاعوا فرض نظام الحكم، بحيث لا يستطيع إلا فئة من اليهود الجهر بآرائهم بحرية»[1].

ولا شك أن وجود إسرائيل في منطقتنا هو مشكلة معلقة تنتظر حلا، وخطأ يتطلب تصحيحًا، ووضعٌ شاذ يتنافى مع جغرافية المنطقة وتاريخها، ويمثل خرقًا واسعًا في نظامنا الأمني والجيوسياسي. فإسرائيل لها أهداف خطيرة أكبر من حجمها القزم. وأهدافها لا يمكن أن تجعلها إلا في وضع تصادم مع أهل المنطقة؛ فمن غير المسموح به أن تنتزع الهوية العربية لمنطقة الشرق الأوسط؛ لتكتسب إسرائيل الدخيلة مصداقية وجود لا حقّ لها فيها.

وإذا كانت إسرائيل تسعى لنزع الهوية العربية للشرق الوسط، ولا تريد لدولتين عربيتين الاجتماع بعيدًا عن مظلتها، فهي تَوَدّ- فوق ذلك- أن تكون الأسّ المشترك بين كل دول المنطقة، والمحرك لكل فعالياتها، والمسيطر على جميع مقوماتها.

وبقاء إسرائيل مرهون بإضعاف العرب؛ تمهيدًا لإذابتهم؛ وإجراء مزيد من الشرذمة والبعثرة لقواهم، حتى يقبلوا بالشروط الإسرائيلية، وفي وقت يتخوّف الإسرائيليون على وجودهم حتى يقول (بن جوريون): «يجب ألا ننسى- ولو للحظة واحدة- أن مشكلة أمن إسرائيل، تختلف تمامًا عن مشكلة أي بلد آخر؛ فإنها

(1)عن مجلة الدعوة، ع 52، س30، شوال 1400 هـ- سبتمبر 1980، ص13.

ليست مشكلة حدود أو سيادة، بل إنها مشكلة بقاء مادي بما تحويه من معنى حرفي لهذه الكلمة»[1] .

في هذا الوقت نفسه، يطمع الإسرائيليون في الوصول إلى كل ركن في بلادنا، حتى الأماكن المقدسة في الحجاز يَدَّعون أنها لهم؛ لأن أباهم إبراهيم هو الذي بناها. وساء زعمهم!

وعلى رغم كل شيء، فالمؤمن يَمُدُّ بصرَه إلى ما وراء ستر الغيب؛ ليرى ما أخبر به النبي ﷺ بقوله: **«لتقاتلن اليهود فلتقتلنهم حتى يقول الحجَرِ: يا مسلمٍ! هذا يهودي. تعال فاقتله»** [2] .

ولقد ظل السؤال عن هذه المقتلة العظيمة مُعَلقًا، ومخبوءًا وراء حجاب الغيب أربعة عشر قرنًا من الزمان، حتى ظهرت دولة إسرائيل الحديثة، التي لم يخطر على البال ولا بالخيال ظهورها في حياة السلف الكرام، الذين نقلوا إلينا هذا الحديث الشريف. واليوم، وفي قلب البلاد العربية والإسلامية، تسكن الجرثومة اليهودية، مدرَّعة بالأسلحة المتقدمة والعداء القديم، حيث صار وقوع القتال محتمًا، وعلى مقربة من الكعبة- بيت الله، ومقربة من يثرب- مدينة رسول الله ﷺ التي لليهود فيها ذكريات كلها أحقاد وضغائن، أي حيث أصبح القعود عن القتال- كما يقول الشيخ نديم الجسر- كفرًا وخروجًا عن الإسلام[3] .

والمؤسف، أن بعض الكُتاب والصحافيين والدعاة المسلمين، يستخدمون أحيانًا مصطلحات ومنطلقات وتصورات العلمانيين واللادينيين، ويُرددون بلا وعْي تقريبًا ما تصدح به وسائل الإعلام والصحافة، وكأنهم فقدوا القدرة على التمييز والأصالة في النظر، وتحديد المواقف، وبلورة التصورات، واستخدام المصطلحات الشرعية ذات المضمون المحدود، الذي لا يُدخل اللبْس على المتلقين.

---

(1) جريدة الوحدة السورية الأحد 26/ 11/ 2006 .

(2) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب قتال اليهود (2768). ومسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء (2921).

(3) كتاب المؤتمر الرابع لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف، مطبعة الأزهر، القاهرة، 1388هـ، 1968، ص142 .

فترى من هؤلاء مَن يتلوَّن خطابُه بألوان يَحار فيها الحليم، ويتوه ذو اللب؛ إذ يقصرون القَضية- بيننا وبين إسرائيل مثلا- في حدود أنها دولة لا تلتزم بالسلام، ولا تحترم قرارات الأمم المتحدة، ولا تقدس ما صدر عن مجلس الأمن، ولا تستجيب نداءات السلام، ولا تحترم تعهداتها، ولا تفي بمتطلبات التعايش السلمي، ولا تبني جسور الثقة... إلى آخر ما نسمع. وبذلك يَختزل هؤلاء الكتاب- المحسوبون على الإسلام- القضية في حدود ضيقة، ليست هي لبّ الصراع في الحقيقة. ومن الواجب ألا نغفل عن البداية، وهي أن فلسطين جزء من دار الإسلام، ووقْف ديني أغلى من لحمنا ودمنا؛ لأنها بعض عقيدتنا. وهي قد نُهبت بالعدوان والمذابح والبغْي، وطُرد منها أهلها المسلمون. وليس في ديننا إلا الجهاد لردِّ الحق المغتصَب، وتحريره من المعتدين.

إن المشكلة ليست في عدم احترام إسرائيل للقرارات الدولية، ولا في عدم وفائها بمقررات السلام، ولا في عدوانها المتواصل مع المستضعفين من المسلمين، ولا في أنها لا تريد السلام والتعايش، ولكن المشكلة في وجود إسرائيل نفسه، وفي كونها هناك تحتل أرضًا مقدسة إسلامية، كانت قريبًا تحت حكم الإسلام.

وإنَّ الخطأ، بل الخطيئة الكبرى، هي في أننا نريد سلامًا من عدو لا يريد السلام، ونبغي التعايش مع قوم لا يريدون لنا إلا الفناء، ونظن أن اليهودي يمكن أن يحب ويتعاون ويتعايش ويوثق به. وهيهات. هيهات!

* * *

2- فتاوى جريدة "المسلمون" في الصلح مع اليهود!!

نشرت جريدة «**المسلمون**» في العدد (**516**) (الصادر يوم الجمعة **21** رجب **1415**هـ. الموافق **23 / 12 / 1994**)، فتاوى منسوبة إلي الشيخ عبد العزيز بن باز- تحت عنوان: «ننصح الفلسطينيين جميعًا بأن يتفقوا على الصلح، ويتعاونوا على البر والتقوى.. تجوز الهدنة مع الأعداء مطلقة ومقيدة، إذا رأى وليُّ الأمر المصلحة في ذلك.. زيارة المسجد الأقصى والصلاة فيه سنة إذا تيسَّر ذلك».

وفيما يلي نص الأسئلة والأجوبة:

س1: سماحة الوالد، المنطقة تعيش اليوم مرحلة السلام واتفاقياته، الأمر الذي آذى كثيراً من المسلمين، مما حدا ببعضهم إلى معارضته، والسعي لمواجهة الحكومات التي تدعمه عن طريق الاغتيالات، أو ضرب الأهداف المدنية للأعداء. ومنطقهم يقوم على الآتي:

أ - أن الإسلام يرفض مبدأ المهادنة.

ب - أن الإسلام يدعو لمواجهة الأعداء، بِغَض النظر عن حال الأمة والمسلمين من ضعف أو قوة.

فنرجو بيان الحق. وكيف نتعامل مع هذا الواقع، بما يكفل سلامة الدين وأهله؟

جـ1: تجوز الهدنة مع الأعداء مطلقة ومؤقتة، إذا رأى ولي الأمر المصلحة في ذلك، لقول الله تعالى: **﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾** [الأنفال: **61**]، ولأن النبي ﷺ فعلهما جميعًا. كما صالحَ أهلَ مكة على ترك الحرب عشر سنين، يأمن فيها الناس، ويكف بعضهم عن بعض، وصالح كثيراً من قبائل العرب صلحًا مطلقًا. فلما فتح عليه مكة نبذ إليهم عهودهم، وأجَّل مَن لا عهد له أربعة أشهر، كما قال الله: **﴿بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ① فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ﴾** [التوبة: **2**].

وبعث المنادين بذلك عام تسع من الهجرة بعد الفتح مع الصِّديق لَمَّا حجَّ . ولأن الحاجة والمصلحة الإسلامية قد تدعو إلى الهدنة المطلقة، ثم قطعها عند زوال الحاجة، كما فعل النبي . وقد بسط العلامة ابن القيم- رحمه الله- القول في ذلك في كتاب «أحكام أهل الذمة»، واختار ذلك شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية وجماعة من أهل العلم، والله الموفق.

س2: يرى البعض أن حال الفساد وصَل في الأمة لدرجة لا يمكن تغييره إلا بالقوة، وتهييج الناس على الحُكام، وإبراز معايبهم لينفروا عنهم. وللأسف فإن هؤلاء لا يتورعون عن دعوة الناس لهذا المنهج والحث عليه، ماذا يقول سماحتكم؟

جـ2: هذا مذهب لا تقرُّه الشريعة؛ لما فيه من مخالفة للنصوص الآمرة بالسمع والطاعة لولاة الأمور في المعروف؛ ولما فيه من الفساد العظيم، والفوضى والإخلال بالأمن. والواجب عند ظهور المنكرات إنكارها بالأسلوب الشرعي، وبيان الأدلة الشرعية من غير عنف، ولا إنكار باليد، إلا لمن تخوله الدولة ذلك، حرصًا على استتباب الأمن وعدم الفوضى. وقد دلت الأحاديث عن النبي ﷺ على ذلك، ومنها قوله ﷺ : «**من رأى من أميره شيئًا من معصية الله، فليكره ما يأتي من معصية الله، ولا ينزعن يداً من طاعة**». وقوله ﷺ : «**على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره، في المنشط والمكره، ما لم يؤمر بمعصية الله**». وقد بايع الصحابة رضى الله عنهم النبي ﷺ على السمْع والطاعة في المنشط والمكره، والعسر واليسر، وعلى ألا ينزعوا يدًا من طاعة، إلا أن يَروا كُفرًا بواحًا، عندهم من الله فيه برهان. والأحاديث في هذا المعنى كثيرة. والمشروع في مثل هذه الحال، مناصحة ولاة الأمور، والتعاون معهم على البر والتقوى، والدعاء لهم بالتوفيق، والإعانة على الخير حتى يقل الشر ويكثر الخير. نسأل الله أن يصلح جميع ولاة أمر المسلمين، وأن يمنحهم البطانة الصالحة، وأن يكثر أعوانهم في الخير، وأن يوفقهم لتحكيم شريعة الله في عباده. إنه جواد كريم!

س3: في ظل **التفاهم** بين العرب واليهود، هل يجوز زيارة المسجد الأقصى والصلاة فيه، خصوصًا في حالة الموافقة من الدول العربية؟

جـ3: زيارة المسجد الأقصى، والصلاة فيه سُنة- إذا تيسر ذلك، لقول النبي

ﷺ : «لا تُشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى» . متفق على صحته . والله الموفق .

س4: يختلف الفلسطينيون في مواقفهم من عملية السلام، فحماس تعارض، وتدعو للمقاومة، والسلطة موافقة . وأغلب الشارع- كما يبدو- مع السلطة(1) فمَن تلزم الناس طاعته، وما هو موقفنا نحن في الخارج؟ نرجو بيان الحق؛ لأن هناك أخطارًا بأن ينشب القتال بين الفلسطينيين أنفسهم؟

جـ4: ننصح الفلسطينيين جميعًا بأن يتفقوا على الصلح، ويتعاونوا على البر والتقوى، حقنًا للدماء، وجمعًا للكلمة على الحق، وإرغامًا للأعداء الذين يدْعون إلى الفرقة والاختلاف .

* * *

ونشرت جريدة «**المسلمون**» أيضًا في العدد (**520**) (الجمعة **19** شعبان **1415**هـ، الموافق (**1995 / 1 / 20**)، مزيدًا من الفتاوى في هذا الاتجاه، وهذا نص الأسئلة والأجوبة :

س1: فهم بعضُ الناس من إجابتكم على سؤال الصلح مع اليهود- وهو السؤال الأولَ في المقابلة- أن الصلح أو الهدنة مع اليهود المغتصبين للأرض والمعتدين جائزٌ على إطلاقه، وأنه يجوز مودَّة اليهود ومحبتهم، ويجب عدم إثارة ما يؤكد البغضاء والبراءة منهم في المناهج التعليمية في البلاد الإسلامية، وفي أجهزة إعلامها، زاعمين أن السلام معهم يقتضي هذا، وأنهم ليسوا بعد معاهدات السلام أعداء يجب اعتقاد عداوتهم، ولأن العالم الآن يعيش حالة الوفاق والتعايش السلمي، فلا يجوز إثارة العداوة الدينية بين الشعوب، فنرجو من سماحتكم التوضيح .

جـ1: الصلح مع اليهود- أو غيرهم من الكفار- لا يلزم منه مودتهم، ولا موالاتهم، بل ذلك يقتضي الأمن بين الطرفين، وكفّ بعضهم عن إيذاء

(1) هذه أماني الصحفي المحاور . أثبتت الانتخابات الفلسطينية الأخيرة خطأها، بفوز حماس الساحق بالمجلس التشريعي، وتشكيل الحكومة الفلسطينية، ولعله بذلك يريد توجيه الفتوى إلى ما يريدون!

البعض الآخر، وغير ذلك. كالبيع والشراء، وتبادل السفراء. . وغير ذلك من المعاملات التي لا تقتضي مودة الكفرة، ولا موالاتهم.

وقد صالح النبي ﷺ أهل مكة، ولم يوجب ذلك محبتهم، ولا موالاتهم. بل بقيت العداوة والبغضاء بينهم، حتى يسَّر الله فتح مكة عام الفتح، ودخَل الناس في دين الله أفواجًا.

وهكذا صالح النبي ﷺ يهود المدينة- لَمَّا قدم المدينة مهاجرًا- صلحًا مطلقًا، ولم يوجب ذلك محبتهم. لكنه ﷺ كان يعاملهم في الشراء منهم، والتحدث إليهم، ودعوتهم إلى الله، وترغيبهم في الإسلام. ومات ﷺودرعه مرهونة عند يهودي، في طعام اشتراه لأهله.

ولَمَّا حصل من بني النضير من اليهود الخيانة، أجلاهم من المدينة ﷺ، ولما نقضت قريظة العهد، ومالئوا كفار مكة يوم الأحزاب على حرب النبي ﷺ، قاتلهم النبي، فقتل مقاتليهم، وسبي ذريتهم ونساءهم، بعدما حكم سعد بن معاذ رضي الله عنه فيهم، فحكم بذلك. . وأخبر النبيّ ﷺ أن حكمه قد وافق حكم الله من فوق سبع سموات.

وهكذا المسلمون من الصحابة ومن بعدهم، وقعت الهدنة بينهم في أوقات كثيرة وبين الكفرة من النصارى وغيرهم، فلم يوجب ذلك مودة، ولا محبة، ولا موالاة، وقد قال الله تعالى: ﴿**لَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ**﴾ [المائدة: 82]، وقال: ﴿**قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ**﴾ [الممتحنة: 4]، وقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾[المائدة: 51]، وقال تعالى: ﴿**لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ**﴾ [المجادلة: 22]، والآيات في هذا المعنى كثيرة.

ومما يدل على أن الصلح مع الكفار- من اليهود وغيرهم- إذا دعت إليه المصلحة أو الضرورة- لا يلزم منه مودة، ولا محبة، ولا موالاة- أنه ﷺ لما فتح خيبر، صالح اليهود فيها على أن يقوموا على النخيل والزروع التي للمسلمين بالنصف لهم، والنصف الثاني للمسلمين. ولم يزالوا في خيبر على هذا العقد، ولم يحدد مدة معينة، بل قال ﷺ: «**نُقرُّهم على ذلك ما شئنا**»، وفي لفظ: «**نقرُّكم ما أقرَّكم الله**». فلم يزالوا بها حتى أجْلاهم عمر رضي الله عنه.

وروى عبد الله بن رواحة رضي الله عنه، أنه لما خرص عليهم الثمر في بعض السنين، قالوا: إنك قد جُرْتَ في الخرص، فقال رضي الله عنه: «**والله إنه لا يحملني بغضي لكم ومحبتي للمسلمين- أن أجور عليكم، فإن شئتم أخذتم بالخرص الذي خرصته عليكم، وإن شئتم أخذناه بذلك**».

وهذا كله، يُبيِّن أن الصلح والمهادنة لا يلزم منها محبة ولا موالاة لأعداء الله، كما يظن بعضُ من قلَّ علمه بأحكام الشريعة المطهرة، وبذلك يتضح للسائل وغيره أن الصلح مع اليهود أو غيرهم من الكفرة، لا يقتضي تغيير المناهج التعليمية، ولا غيرها من المعاملات المتعلقة بالمحبة والموالاة. والله الموفق.

س2: هل تعني الهدنة المطلقة مع العدو إقراره على ما اقتطعه من أرض المسلمين في فلسطين، وأنها قد أصبحت حقًا أبديًا لليهود بموجب معاهدات تصدق عليها الأمم المتحدة، التي تمثل جميع أمم الأرض، وتخوِّل الأمم المتحدة عقوبة أي دولة تطالب مرة أخرى باسترداد هذه الأرض، أو قتال اليهود فيها.

جـ2: الصلح بين ولي أمر المسلمين في فلسطين وبين اليهود لا يقتضي تمليك اليهود لما تحت أيديهم تمليكًا أبديًا، وإنما يقتضي ذلك تمليكهم تمليكًا مؤقتاً حتى تنتهي الهدنة المؤقتة، أو يقوى المسلمون على إبعادهم عن ديار المسلمين بالقوة في الهدنة المطلقة.

وهكذا يجب قتالهم عند القدرة حتى يدخلوا في الإسلام، أو يُعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون. وهكذا النصارى والمجوس لقول الله تعالى في سورة التوبة: **﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾** [التوبة: 29].

وقد ثبت في الصحيح عنه ﷺ أنه أخَذَ الجزية من المجوس، وبذلك صار لهم حكم أهل الكتاب في أخذ الجزية فقط إذا لم يُسلموا، أما حل الطعام والنساء للمسلمين فمختص بأهل الكتاب، كما نصَّ عليه كتاب الله تعالى في سورة المائدة، وقد صرح الحافظ ابن كثير- رحمه الله- في تفسير قوله تعالى: ﴿**وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾ [الأنفال: **61**]، بمعنى ما ذكرنا في شأن الصلح.

س3: هل يجوز- بناءً على الهدنة مع العدو اليهودي- تمكينه بما يسمى بمعاهدات التطبيع- من الاستفادة من الدول الإسلامية اقتصاديًا، وغير ذلك من المجالات؛ بما يعود عليه بالمنافع العظيمة؛ ويزيد من قوته وتفوقه، وتمكينه في البلاد الإسلامية المغتصبة، وأن على المسلمين أن يفتحوا أسواقهم لبيع بضائعه، وأنه يجب عليهم تأسيس مؤسسات اقتصادية كالبنوك والشركات، يشترك اليهود فيها مع المسلمين، وأنه يجب أن يشتركوا كذلك في مصادر الحياة كالنيل والفرات، وإن لم يكن جاريًا في أرض فلسطين؟

جـ3: لا يلزم من الصلح بين منظمة التحرير الفلسطينية واليهود ما ذكر السائل بالنسبة إلى بقية الدول، بل كل دولة تنظر في مصلحتها، فإذا رأت أن من المصلحة للمسلمين في بلادها الصلح مع اليهود في تبادل السفراء والبيع والشراء، وغير ذلك من المعاملات التي يجيزها شرع الله المطهر، فلا بأس في ذلك. وإن رأت أن المصلحة لها ولشعبها مقاطعة اليهود فعلت ما تقتضيه المصلحة الشرعية، وهكذا بقية الدول الكافرة حكمها حكم اليهود في ذلك.

والواجب على كل من تولى أمر المسلمين- سواء كان ملكًا، أو أميرًا، أو رئيس جمهورية- أن ينظر في مصالح شعبه، فيسمح بما ينفعهم، ويكون في مصلحتهم من الأمور التي لا يمنع منها شرع الله المطهَّر، ويمنع ما سوى ذلك مع أي دولة من دول الكفر، عملا بقول الله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا**﴾ [النساء: **58**]. وقوله تعالى: ﴿**وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ (٥٨) وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لا يُعْجِزُونَ (٥٩) وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن**

دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لا تُظْلَمُونَ (٦٠) وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [الأنفال: 58-61]، وتأسيًا بالنبي ﷺ في مصالحته لأهل مكة ولليهود في المدينة وفي خيبر، وقد قال ﷺ في الحديث الصحيح: «**كلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته، فالأمير الذي على الناس راع، ومسئول عن رعيته، والرجل راع في أهل بيته، ومسئول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها، ومسئولة عن رعيتها، والعبد راع في مال سيده، ومسئول عن رعيته**». ثم قال ﷺ: «**ألا فكلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته**». وقد قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾ [الأنفال: 27]

وهذا كله عند العجز عن قتال المشركين، والعجز عن إلزامهم بالجزية إذا كانوا من أهل الكتاب أو المجوس. أمَّا مع القدرة على جهادهم، وإلزامهم بالدخول في الإسلام، أو القتل، أو دفع الجزية- إن كانوا من أهلها- فلا تجوز المصالحة معهم، وترْك القتال، وترْك الجزية، وإنما تجوز المصالحة عند الحاجة أو الضرورة مع العجز عن قتالهم، أو إلزامهم بالجزية- إن كانوا من أهلها- لما تقدَّم من قوله تعالى: ﴿**قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ**﴾ [التوبة: 29].

وقوله تعالى: ﴿**وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ**﴾ [الأنفال: 39].

إلى غير ذلك من الآيات المعلومة في ذلك، وعمل النبي ﷺ مع أهل مكة يوم الحديبية ويوم الفتح ومع اليهود حين قدم المدينة- يدل على ما ذكرنا.

والله المسئول أن يوفق المسلمين لكل خير، وأن يصلح أحوالهم، ويمنحهم الفقه في الدين، وأن يولي عليهم خيارهم، ويصلح قادتهم، وأن يعينهم على جهاد أعداء الله على الوجه الذي يرضيه، إنه ولي ذلك، والقادر عليه. وصلى الله على نبينا محمد، وآله وصحبه.

بين القرضاوي وابن باز

وبعد نشر هذه الفتاوى رَدَّ عليها الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي بمجلة المجتمع الكويتية بالعدد (1133) (الصادر يوم 9 شعبان 1415هـ، الموافق/ 1 / 10 1995، فعقبت جريدة «المسلمون» على هذا الرد بما نشر بالعدد (525) (يوم الجمعة 25 رمضان 1415هـ، الموافق 24/ 2/ 1995م)، ونصه :

جوابًا لأسئلة موجهة إليَّ من بعض أبناء فلسطين. . أوضحت أنه لا مانع من الصلح معهم (أي اليهود)- إذَا اقتضت المصلحة ذلك؛ ليأمن الفلسطينيون في بلادهم؛ ويتمكَّنوا من إقامة دينهم. وقد رأى فضيلة الشيخ يوسف أن ما قلته في ذلك مخالفٌ للصواب؛ لأن اليهود غاصبون، فلا يجوز الصلح معهم. . . إلى آخر ما ذكره.

وإنني أشكر فضيلته على اهتمامه بهذا الموضوع، ورغبته في إيضاح الحق الذي يعتقده. ولا شك أن الأمر في هذا الموضوع وأشباهه، هو كما قال، يُرجع فيه إلى الدليل. وكلُّ أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ، وهذا هو الحق في جميع مسائل الخلاف؛ لقوله تعالى: ﴿**فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً**﴾ [النساء: 59]، وقال تعالى: ﴿**وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ**﴾ [الشورى: 10]. وهذه قاعدة مجمعٌ عليها بين أهل السنة والجماعة.

ولكن ما ذكرناه في الصلح مع اليهود قد أوضحنا أدلته، وأجبنا عن أسئلة وردت إلينا في ذلك من بعض الطلبة بكلية الشريعة في جامعة الكويت، وقد نشرت هذه الأجوبة في صحيفة (المسلمون) الصادرة في يوم الجمعة (19 / 8 / 1415 هـ، الموافق20/ 1/ 1995)، وفيها إيضاح لبعض ما أشكل على بعض الإخوان في ذلك.

ونقول للشيخ يوسف- وفقه الله- وغيره من أهل العلم: إن قريشًا قد أخذت أموال المهاجرين ودُورهم، كما قال الله تعالى: ﴿**لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ**﴾ [الحشر: 8].

ومع ذلك صالح النبي ﷺ قريشًا يوم الحديبية سنة ست من الهجرة، ولم يمنع هذا الصلح ما فعلته قريش من ظلم المهاجرين في دورهم وأموالهم، مراعاة للمصلحة العامة التي رآها النبي ﷺ لجميع المسلمين من المهاجرين وغيرهم، ولمن يرغب الدخول في الإسلام.

ونقول أيضًا- جوابًا للشيخ **يوسف القرضاوي**- عن المثال الذي مثل به في مقاله، وهو: لو أن إنسانًا غصب دار إنسان، وأخرجه إلى العراء، ثم صالحه على بعضها. أجاب الشيخ **يوسف**: أن هذا الصلح لا يصح. وهذا غريب جدًا، بل هو خطأ محض، ولا شك أن المظلوم إذا رضي ببعض حقه، واصطلح مع الظالم في ذلك فلا حرج؛ لعجزه عن أخذ حقه كله. وما لا يدرك جله، لا يترك كله، وقد قال الله تعالى: ﴿**فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ**﴾ [التغابن: **16**]، وقال تعالى: ﴿**وَالصُّلْحُ خَيْرٌ**﴾ [النساء: **128**].

ولاشك أن رضا المظلوم بحجرة من داره، أو حجرتين، أو أكثر يسكن فيها هو وأهله، خير من بقائه في العراء.

أما قوله تعالى: ﴿ **فَلا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ** ﴾ [محمد: **35**]، فهذه الآية فيما إذا كان المظلوم أقوى من الظالم، وأقدر على أخذ حقه، فإنه لا يجوز له الضعف والدعوة إلى السلم، وهو أعلى من الظالم، وأقدر على أخذ حقه. أمَّا إذا كان ليس هو الأعلى في القوة الحسية، فلا بأس بأن يدعو إلى السلم- كما صرَّح بذلك الحافظ ابن كثير- يرحمه الله في تفسير هذه الآية. وقد دعا النبي ﷺ إلى السلم يوم الحديبية، لمَّا رأى أن ذلك الأصلح للمسلمين، والأنفع لهم، وأنه أوْلى من القتال. وهو عليه الصلاة والسلام القدوة الحسنة في كل ما يأتي ويذر؛ لقول الله تعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا**﴾ [الأحزاب: **21**].

ولما نقضوا العهد، وقدر على مقاتلتهم يوم الفتح، غزاهم في عُقر دارهم، وفتح الله عليه البلاد، ومكنه من رقاب أهلها حتى عفا عنهم، وتم له الفتح والنصر. ولله الحمد والمنة.

فأرجو من فضيلة الشيخ يوسف وغيره من إخواني أهل العلم، إعادة النظر في

هذا الأمر؛ بناء على الأدلة الشرعية، لا على العاطفة والاستحسان، مع الاطلاع على ما كتبته أخيرًا من الأجوبة الصادرة في صحيفة «**المسلمون**» (**في 19/ 8/ 1415هـ، الموافق 20/ 1/ 1995**).

وقد أوضحت فيها: أن الواجب جهاد المشركين من اليهود وغيرهم مع القدرة حتى يُسلموا، أو يؤدوا الجزية إن كانوا من أهلها، كما دلت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية. وعند العجْز عن ذلك، لا حرج في الصلح على وجه ينفع المسلمين، ولا يضرهم، تأسيًا بالنبي ﷺ في حربه وصلحه، وتمسكًا بالأدلة الشرعية العامة والخاصة، ووقوفًا عندها.

فهذا هو طريق النجاة، وطريق السعادة والسلامة في الدنيا والآخرة والله المسئول أن يوفقنا وجميع المسلمين- قادة وشعوبًا- لكل ما فيه رضاه، وأن يمنحهم الفقه في دينه، والاستقامة عليه، وأن ينصر دينه، ويُعلي كلمته، وأن يصلح قادة المسلمين، ويوفقهم للحكم بشريعته، والتحاكم إليها، والحذر مما يخالفها، إنه ولي ذلك والقادر عليه. وصلى الله على نبينا محمد، وآله وأصحابه وأتباعه بإحسان.

* * *

ثم عقب الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي مرة أخرى على هذا التعقيب، فأجمل ما قاله من قبل، وهذا نصُّ كلامه الذي نشر بجريدة الشعب (ع **928**) (**في 14/ 3/ 1995م**):

الحمد لله، والصلاة على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه. أما بعد، فقد اطلعت على ما كتبه سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز- حفظه الله- تعقيبًا على ردِّي على الفتوى التي صدرت من سماحته؛ إجابة عن أسئلة وجهتها إليه مجلة «**المسلمون**» (**في 21** رجب سنة **1415هـ**)، حول السلام مع دولة الاغتصاب الصهيوني (**إسرائيل**).

ويؤسفني أن أخالف سماحته في تعقيبه، كما خالفته في أصل الفتوى، وليس في العلم كبير، والحقُّ أحقُّ أن يُتبع. وقد أكد الشيخ الأصل الأصيل الذي لا يحيد عالم عنه، وهو أن كل أحد يؤخذ من كلامه ويترك إلا النبي ﷺ.

وقد بنيتُ ردِّي السابق، على حقيقة مهمة ومسلمة لدى أهل العلم، وهي أن

الفتوى لا تكون صحيحة واقعة موقعها، إلا إذا امتزج فيها فقه النصوص والأحكام بفقه الواقع. فإذا انفصلَ أحدهما عن الآخر وقع الخلل. وقد ذكرت أن الخلل الذي وقع في فتوى سماحة الشيخ لم يجئ من عدم معرفة النصوص والأحكام، بل من عدم معرفة الواقع على حقيقته.

ومعرفة الواقع وفقهه قد يصل إليه الفقيه بنفسه، وقد يحتاج إلى خبراء يقرأ لهم، أو يستمع إليهم، كما في الأمور الطبية والفلكية والاقتصادية وغيرها. والقرآن الكريم يقول: ﴿**فَاسْئَلْ بِهِ خَبِيراً**﴾ [الفرقان: **59**]، ﴿**وَلاَ يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ**﴾ [فاطر: **14**].

وكنت أوَدُّ من فضيلة الشيخ أن يرد على ما أثرته واستشكلته في فتواه- حفظه الله، ولكنه ردَّ على أمور جانبية، وترك الأساس في القضية.

قلتُ في كلمتي تلك: إن الشيخ استدلَّ بالآية الكريمة: ﴿**وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾ [الأنفال: **61**]، والآية محكمة في نظرنا، والحكم المستنبط منها مسلم في عمومه، ولكن تطبيقه على الواقع غير مسلم؛ فاليهود لم يجنحوا يومًا للسلم، وإنما هم مغتصبون معتدون، أخذوا الأرض من أهلها بالقوة والسلاح، والعنف والإرهاب، وشرَّدوهم منها، وأقاموا دولتهم العنصرية الظالمة عليها. وقد قلت: إن الغاصب لا يُعتبر جانحًا للسلم، إلا إذا ردَّ ما اغتصبه إلى أهله. أما أن يغتصب داري، ويسمح لي بحجرة منها أسكنها بإذنه وتحت سلطانه، فليس هذا جنوحًا للسلم بحال، هذا ما قلتهُ، ولم أقلْ: إن استطاع أن يأخذ حجرة من داره المغتصبة، فليس له أن يأخذها، ويجاهد لأخذ الباقي واسترداده، وهو الذي استنبطه الشيخ من قولي، وقال إنه خطأ محض، وهو ما لم أقلْه

لقد استدلَّ الرئيس المصري الراحل أنور السادات- حين عقد اتفاقه مع إسرائيل بالآية الكريمة: ﴿**وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ** . . .﴾ [الأنفال: **61**] فقاطعه العرب جميعًا وخوَّنوه، وقالوا: إن اليهود لم يجنحوا للسلم، وأعتقد أن الموقف لم يتغير، بل إن اتفاق عرفات أسوأ من اتفاق السادات، باعتراف الجميع. ومَن نظَر في تاريخ اليهود، وفي حديث القرآن عنهم، وفي واقعهم العملي، يجزم بأنهم لم يجنحوا للسلم أبدًا.

كيف وقد رأينا منهم مذبحة الحرم الإبراهيمي، وقتل الرُّكع السجود في بيت الله، وفي شهر رمضان؟ كما رأيناهم يغتصبون شطر المسجد، ويُحرمون على المسلمين دخوله؟!

وكيف يُعتبر جانحًا للسلم مَن يقيم المستوطنات إلى اليوم في أرض العرب والمسلمين، وينتزع الأرض الزراعية من أيدي أصحابها وملاكها، ويأتي بالآلات (البلدوزرات) لتسويتها وإلحاقها بأملاك اليهود، وأهل الأرض يصرخون ويستغيثون، ولا مغيث؟

كيف يعتبر جانحًا للسلم من يقيم الحفريات حول المسجد الأقصى ومن تحته، ويُعد العدة لبناء الهيكل على أنقاض المسجد. وهو أحد أحلامه الكبرى؟ كيف يعتبر جانحًا للسلم من يهدد المنطقة كلها بترسانته النووية وأسلحته الكيماوية والجرثومية، ويمتنع عن مجرد التوقيع على اتفاقية منع انتشار الأسلحة النووية؟

الحق أن كل البراهين والشواهد تدل بوضوح على أن اليهود في طبيعتهم العدوان، وفي مخططهم العدوان، فهم لا يزالون يحلمون بإسرائيل الكبرى من الفرات إلى النيل، فإلى أرض خيبر، ومواقع بني قينقاع، وقريظة والنضير!

وإنما سعى اليهود إلى هذا السلام المدَّعى، حين رأوا تنامي الجهاد وحركة المقاومة الإسلامية التي غدت مصدر قلق ورعب لليهود، فأرادوا أن يضربوا الحركة (الأصولية) الفلسطينية بأيدي الفلسطينيين أنفسهم، وهو ما نتمنى ألا يكون.

وأمَّا ما ذكره الشيخ ابن باز من مصالحة النبي ﷺ لمشركي قريش في الحديبية، وعقد هدنة معهم لعشر سنين، مع ظلمهم للمسلمين في دورهم وأموالهم، واستدلاله بذلك على جواز ما يُصنع اليوم مع إسرائيل، فهو استدلال مردود، للفرق الشاسع بين الموقفين:

فقريش ليست عنصرًا دخيلا على مكة، بل الدار دارها، والبلد بلدها، والمسلمون هاجروا إلى الله ورسوله مختارين لنصرة دينهم، لا لدنيا يصيبونها، ولم يكن المشركون يحبون هجرتهم، ولهذا هاجروا مستخفين، إلا ما كان من عمر رضي الله عنه، وإن عبَّر القرآن عن ذلك بأنهم: ﴿أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ﴾ [الحشر: 8]

لما كان عليهم من التضييق والإيذاء. بخلاف إسرائيل، فهي كيان دخيل على المنطقة، احتل الأرض، وأقام عليها دولته، وشرَّد أهلها، وفرض على العرب والمسلمين دولة دخيلة معادية في قلب دار الإسلام ووطن العرب.

ثم إن ما فعله الرسول الكريم معهم ليس أكثر من مهادنة، تتوقف فيها الحرب بين الفريقين مدة من الزمن، وهذا ما يمكن قبوله للضرورة أو للمصلحة، إذا رأى ذلك أهل الحل والعقد. أما الذي حدث مع اليهود، فهو - كما ذكرنا من قبل - شيء أكبر وأعظم.. إنه اعتراف بحق اليهود فيما اغتصبوه من أرض، وأنه غدا جزءًا من دولتهم، وأن لهم حق السيادة عليه، وأن سلطانهم عليه سلطان شرعي، وأنه لم يعد لنا حق شرعي في المطالبة به، وناهيك بالجهاد لاسترداده، بعد أن وقعنا على ذلك العقود، وأشهدنا الشهود من الدول الكبرى والأمم المتحدة! وهذا ما لم يرد عليه الشيخ الجليل - سدده الله.

وأما استشهاد الشيخ بقوله تعالى: ﴿**وَالصُّلْحُ خَيْرٌ**﴾[النساء: **128**]، فليس على إطلاقه، فالصلح الذي يُضيّع حقوق الأمة، ويُملّك أرض الإسلام لغاصبيها ليس خيرًا. وفي الحديث المعروف الذي رواه الترمذي: «**الصلح جائز بين المسلمين، إلا صلحًا حرم حلالا، أو حلل حرامًا**». فحتى الصلح بين المسلمين ليس خيرًا بإطلاق، بل هو مقيد بقيود لا تخفى على أهل العلم.

وقد عقب سماحة الشيخ ابن باز على قولي بأن الآية التي ينبغي ذكرها هنا هي قوله تعالى: ﴿ **فَلا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ** ﴾ [محمد: **35**]، أن هذا فيما إذا كان المظلوم أقوى من الظالم، وأقدر على أخذ حقه، فإنه لا يجوز له الضعف والدعوة إلى السلم، وهو أعلى من الظالم، أما إذا كان ليس هو الأعلى في القوة الحسية، فلا بأس أن يدعو إلى السلم، كما صرَّح بذلك الحافظ ابن كثير في تفسيره. أهـ.

وأقول للشيخ: إن سياق الآية لا يدل على ما ذهب إليه، بل الآية تنهى عن الدعوة إلى السلم من منطلق الضعف، لا من منطلق القوة، بدليل عطف الدعوة إلى السلم على الوهن في الآية: ﴿ **فَلا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ**﴾[محمد: **35**] ويجوز أن تكون الواو للمعية، والآية تذكرة لهم بأنهم "الأعلون" دائمًا، لأنهم أصحاب الدين الذي يعلو ولا يُعلى، فحقهم أعلى من باطل المشركين، وتوحيدهم أعلى من

شركهم، وحججهم أعلى من شبهاتهم، والعاقبة لهم: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [الصافات: 173].

وهذه الآية شبيهة بقوله تعالى في، وبعد هزيمة أحد: ﴿وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: 139][1]

وما فهمه الشيخ من الآية: أن يحارب المسلمون إذا قوُوا، ويدعوا إلى السلم إذا ضعفوا، لا يُشرِّف المسلمين، بل يجعلهم جماعة من الانتهازيين، الذين لا يُحكمون الاعتبارات الأخلاقية، بل الاعتبارات النفعية وحدها. وهذه في الواقع سوءة خُلقية، وتهمة يبرأ منها الشرفاء.

والمفسِّرون الكبار يخالفون ابن كثير- رحمه الله- فيما ذهب إليه، فهذا شيخ المفسرين أبو جعفر الطبري يقول في تفسير الآية: «**يقول الله تعالى ذكره: فلا تضعفوا أيها المؤمنون بالله عن جهاد المشركين، وتجبنوا عن قتالهم**».

وفي قوله تعالى: ﴿وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ﴾ يقول: «لا تضعفوا عنهم، وتدعوهم إلى الصلح والمسالمة، وأنتم القاهرون والعالون عليهم، والله معكم» بقوله: والله معكم بالنصر عليهم (تفسير الطبري 11/ 326).

ويقول العلامة الألوسي في تفسير الآية: «**فلا تهنوا**» أي إذا علمتم أن الله تعالى مبطل أعمالهم ومعاقبهم، فهو خاذلهم في الدنيا والآخرة، فلا تبالوا بهم، ولا تُظهروا ضعفًا.. ولا تدعوا الكفار إلى الصلح خوراً وإظهاراً للعجز. فإن ذلك إعطاء الدنية «**وأنتم الأعلون**» الأغلبون. والعلو بمعنى الغلبة مجاز مشهور، والجملة حالية مقررة لمعنى النهي، مؤكدة لوجوب الانتهاء، وكذا قوله تعالى: «**والله معكم**»، أي ناصركم. فإن كونهم الأغلبية، وكونه (ناصرهم- من أقوى موجبات الاجتناب عن الذل والضراعة (روح المعاني 26/ 80).

---

(1) قال أبو سفيان حين تهيأ المشركون للقفول إلى مكة: أعل هُبَل، فقال النبي ﷺ: ألا تجيبونه؟ فقالوا: فما نقول؟ قال قولوا: الله أعلى وأجل. ثم قال أبو سفيان: لنا العزَّى، ولا عزَّى لكم، فقال النبي ﷺ: ألا تجيبونه؟ قالوا: ما نقول؟ قال قولوا: الله مولانا، ولا مولى لكم. ثم قال أبو سفيان: نعمت فعال، يوم بيوم بدر والحرب سجال، فأجابه عمر: لا سواء، قتلانا في الجنة، وقتلاكم في النار... وهكذا نفهم أن المسلمين هم الأعلى وإن أصابتهم كسرة، لأن الله مولاهم، ولا مولى لأعدائهم، ولأن قتلانا في الجنة، وقتلى المشركين في النار.

وما أشار إليه سماحة الشيخ- في إيضاحه لجريدة «**المسلمون**» من وجوب جهاد المشركين من اليهود وغيرهم مع القدرة حتى يسلموا، أو يُؤدوا الجزية.. إلخ، فهذا في (جهاد الطلب)، لا في (جهاد الدفع).

ونحن الآن في جهاد الدفع- دفع العدو المعتدي على أرض الإسلام وأهلها- وهو غير جهاد الطلب، حين يكون العدو في دياره، لا في ديارنا، ونحن نتعقبه من باب (الحرب الوقائية). وهذا هو الذي قرَّر الفقهاء أنه فرض كفاية، بخلاف جهاد الدفع، فهو فرض على من وقع عليه، ثم على من يليه حتى يشمل الأمة كافة، وعلى جميع المسلمين مساعدته حتى ينتصر على عدوه، ويخرجه من دياره.

وأما ما ذكره الشيخ- أكرمه الله- من أن أولي الأمر إذا اجتهدوا فيما رأوا فيه المصلحة فعلينا إطاعتهم، كما قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ)، فأولو الأمر، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره من الفقهاء الكبار: أصحاب الأمر وذووه. وهم الذين يأمرون الناس، وذلك يشترك فيه أهل اليد والقدرة، وأهل العلم والكلام، فلهذا كان أولو العلم صنفين: العلماء، والأمراء. فإذا صلحوا صلح الناس، وإذا فسدوا فسد الناس (مجموع الفتاوى **28/ 170**).

ومما يدل كذلك قوله تعالى: ﴿**وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ**﴾ [النساء: ٨٣]، فعطف (أولي الأمر) على (الرسول)، وقد كان هو الإمام الأعظم ورئيس الدولة، فدلَّ على أن أولي الأمر جماعة معه، يُرد إليهم الأمر، كما يرد إليه، ووصفهم- أو وصف بعضهم- بالعلم والاستنباط، وفي هذا دليل على أن (أولي الأمر) في المفهوم القرآني أشمل وأوسع من مجرد أصحاب السلطة والحكم.

وللشيخ رشيد رضا في تفسير الآية في (المنار) شرح مستفيض، يجب الرجوع إليه، وإذا سلمنا بأن أولي الأمر هم الحكام وحدهم، فهذا في حاكم بايعته الأمة على الكتاب والسنة، ووافقه أهلُ الحل والعقد، وله اليد والقدرة، أي السيادة والسلطة على أرضه وشعبه. أما حاكمٌ ليست له سلطة إلا في حدود ما يسمح به أعداؤه له، فليس هذا هو ولي الأمر الشرعي الواجبة طاعته.

على أن الطاعة لولي الأمر الشرعي ليست مطلقة، إنما هي في (المعروف)- كما صحت به الأحاديث، وكما أشار إليه القرآن. فمن أمر بمعصية فلا سمع له ولا طاعة. ومن القواعد المقرَّرة فقهًا وشرعًا: أن تصَرُّف ولي الأمر على الرعية منوط بالمصلحة، فإذا تصرَّف تصرُّفًا لا مصلحة فيه، فهو رَدٌّ، أي مردود عليه. ولا مصلحة في التنازل عن أرض الإسلام لليهود الغاصبين، والاستسلام لهم، إلا إذا كانت مصلحة بني صهيون، فهم المستفيد الأوحد من هذا السلام المزعوم.

وأحب أن أنبِّه هنا على أمر ذي بال، أشرتُ إليه من قبل، وهو أن قضية فلسطين ليست قضية عادية، وأرض فلسطين ليست كغيرها، ففيها القدس والمسجد الأقصى. منتهى الإسراء، ومبتدأ المعراج، والقبلة الأولى في الإسلام، فليست شأنًا يخص الفلسطينيين وحدهم، وإنما هي قضية الأمة الإسلامية كلها، وقد ربط الله في كتابه بين المسجد الحرام والمسجد الأقصى، فلا يجوز التفريط في أحدهما من مسلم.

وقد حرَّك حريق المسجد الأقصى العالم الإسلامي كله، وحفز الملك فيصل بن عبد العزيز- رحمه الله- إلى دعوة قادة العالم الإسلامي في صورة مؤتمر قمة لمواجهة المشكلة، ومن خلال ذلك ولدت منظمة المؤتمر الإسلامي؛ لتتحدث باسم الأمة الإسلامية.

فماذا يكون الحال اليوم، والمسجد الأقصى يتعرض لخطر الهدم والضياع بالكلية؟ ورابين يعلن ويكرر بتبجح وصفاقة: أن القدس الموحدة هي العاصمة الأبدية لإسرائيل.

هذا، وإن خلافي مع سماحة الشيخ عبد العزيز، لا ينفي ما أكنُّه له من ود واحترام، وظني أنه لم يعرف الواقع السياسي على حقيقته، فجاء حكمه على قدْر ما علم، وقد أثبت الواقع أن الفلسطينيين لم يحصلوا أي مصلحة من وراء ذلك السلام المَزعوم، وأن المستفيد الأوحد منه هو اليهود.

وإني لأرجو من الشيخ أن يمعن النظر فيما أوردت من أدلة واعتبارات، عسى أن يراجع رأيه، فهو- فيما علمت- رجَّاع إلى الحق، وقد قال عمر رضي الله عنه في رسالته

الشهيرة في القضاء: «**ولا يمنعك قضاء قضيته بالأمس، أن تراجع فيه نفسك اليوم، فإن الحق قديم، والرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل**».

اللهم أرنا الحق حقًا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلا ووفقنا لاجتنابه والحمد لله أولا وأخرًا.

(انتهى كلام الدكتور يوسف القرضاوي- سَدَّدَه الله تعالى).

* * *

٣- دفاع عن الشيخ ابن باز في حوار سلفي عاصف

الشيخ عبد العزيز بن باز- رحمه الله- كان على قمة في علمه وأدبه وجهاده، وهو أحد رموز الدعوة الإسلامية في هذا العصر. رُفع ذكرُه، وذاعت شهرته، وأقرَّ بفضله الناس، ودانُوا لعلمه. وكان طاقة علمية مهمَّة في المجال الشرعي، له نشاطه الظاهر في مجال الفتوى، ونُصْرة الدعوة السلفية، ومذهب أهل السنة والجماعة.

عمل **الشيخ ابن باز** في التدريس والقضاء والإفتاء، وأملى عددًا من الرسائل المهمة في قضايا الاعتقاد والفقه والحديث. ولا يستطيع أحد أن ينكر جهوده في الدعوة، سواء من خلال رئاسته المجمع الفقهي التابع لرابطة العالم الإسلامي، أو من خلال رئاسته هيئة كبار العلماء، وإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالديار السعودية. فهو قدم الكثير للدعوة في العالم الإسلامي تجاه المنهج السلفي، من خلال التأثير على عدد ضخم من الأفراد والمؤسسات حول العالم، وكان لديه مصداقية، ربما لم يدانه فيها عالم آخر في الفتوى في حياتنا المعاصرة، مما يجعل لكلامه صدى كبيرًا في العالم الإسلامي كله. فالشيخ ابن باز، عَبْر جهوده لسنين طويلة في خدمة الإسلام، صار من أكبر المرجعيات الدينية، إنْ صَحَّ التعبير، وكان له نفوذ عظيم في الأوساط الإسلامية.

وهذه المكانة التي حازها الشيخ عن جدارة، تتعرض دائمًا لطعن أعداء الدعوة الإسلامية؛ فهم يتربصون الدوائر لقسْم الصفِّ، وإبراز الشماتة، وانتقاص العلماء. وقد وجدوا فرصة بعد نشر جريدة «**المسلمون**» لفتوى الصلح مع اليهود، وحاولوا من خلالها نسف جسور الثقة والفهم المتبادل بين قيادات إسلامية فاعلة، وقاعدة جماهيرية ناهضة. وتطلعوا إلى عزل هذه القيادات بعيدًا عن جمهور الأمة والمخلصين من الدعاة، وأرادوا فتح الطريق للمخادعين والمتكسبين بالدين. وربما أصاب هؤلاء في بعض ما أرادوا، والحوار التالي يبين ذلك.

ففي جلسة معتادة مع عدد من الإخوة السلفيين، دار حوار عاصف عن الفتاوى التي نشرتها جريدة «**المسلمون**» على لسان الشيخ ابن باز. وكان من الواضح أن

كثيرين ممن يعرفون الشيخ قد صُدموا، أو زُلزلوا زلزالا. وبعض من يعرفونه قالوا: لا نظنه يعني ما يقول. وبعضٌ آخرَ قال: له العَذر، فهو معزول عن كثير من تيارات الحياة المعاصرة. وكان على محبي الشيخ وتلاميذه أن يدافعوا عنه، ويَردوا السهام الموجَّهة إليه.

وفي البداية، قال صديقنا عبد الرحمن، وهو من الشباب المجتهدين في تحصيل العلم الشرعي:

* إن هذه الفتوى زلزلت الشباب زلزالا شديدًا، وأرَّقتْ محبِّي الشيخ وتلاميذه، وأقضتْ مضاجعهم، وأحدثت اضطرابًا وتشويشًا، وفتنة كبيرة في الأوساط الإسلامية، وأحزنتْ كلَّ مسلم غيور على أرض الإسلام وعزة المسلمين ومقدسات الأمة. إنه يوم لحزننا، وفرح صهيون!

* قلت معقبًا: أنا نفسي حين سمعت الفتوى لأول مرة في إذاعة «مونت كارلو» لم أصدق ذلك. ثم سمعتها في إذاعة لندن، وقرأتها موثقة بعد هذا في جريدة «**المسلمون**»، فأصبت بمزيج من الإحباط والغضب، وكلما تحدثت مع أحد في أمر هذه الفتاوى ازددت اقتناعًا بأنها بعيدة عن الصواب، حيث رفضها الجميع، ولم يجدوا فيها أثارة من علم، أو دليلا صحيحًا، أو مصلحة شرعية متحققة.

* وهنا انبرى عبد الله متعرضًا، ورفع يده قائلا: وما أدراك يا صديقي أنه لم ينخدع في هذه الفتوى قطاع عريض من الشباب وغير الشباب، وأن هناك من قال في نفسه: لا جهاد بعد اليوم، فنحن ضعفاء ولن نزداد إلا ضعفًا أمام جبروت أعدائنا؟!

* قال عبد الرحمن: لا شكَّ عندي أن هذه الفتاوى خطأ يستلزم الاعتذار، بل إنها خطيئة تستوجب التوبة والاستغفار، وإنها لسقطة مدوِّية، وزلة أليمة لها نتائجها الخطيرة، فهي تصريح بالسلامة لمن يريدون النوم براحة في أحضان اليهود، وصَك «**شرعي**» لمن يدأبون على وضع ضمائرهم في «**جيوب**» اليهود، وتكئة لمن يرغبون في إطفاء روح الجهاد في الأمة، وإماتة عواطفها الدينية تجاه مقدساتها. وإنني لا أظن الشيخ عني كل هذا بفتواه، ولكن هذه الفتاوى تحقق ذلك عمليًا.

* قلت : نعم ، إن الفتوى تدعونا إلى الاحتكام للدليل ، وعدم الانسياق مع العاطفة ، ومع ذلك تخلو من دليل صحيح يُقيم حجة . ثم إن العاطفة الدينية هي أكثر ما نحتاجه في هذا الوقت ؛ لأن حميتنا الدينية ، لا حميَّة الجاهلية ، هي التي ستدفعنا دفعًا إلى تحرير الأرض المقدسة ، والاستشهاد في سبيلها ، فنحن برغم أننا لم نرَ هذه البلاد ، ولا نملك فيها مالا أو عقارًا ، إلا أن عواطفنا الإيمانية معلقة بمسجدها الأقصى ؛ مسرى النبي ﷺ الذي بارك الله حوله ، ومسجد الخليل ، وقبة الصخرة . وحماسنا الديني هو ذخرنا لاستفتاح هذه البلاد بعد أن دنَّسها أعداء الله ، وحوَّلوها من دار إسلام إلى دار كفر ، وإلا كنا ممن قال الله تعالى فيهم : ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلا أَخَّرْتَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلا تُظْلَمُونَ فَتِيلاً﴾ [النساء: 77]. إن عواطفنا لا تكذب ، وحماسنا لا يخدعنا ، لأننا نريد إحدى الحسنيين ، وأن تكون كلمة الله هي العليا ، وكلمة الذين كفروا السفلى . وإن الشهادة هي أسمى ما تمنى مسلم .

*قال عبد الله وهو يُطوِّح بقبضته في الهواء : لقد أصبت كبد الحقيقة ، كلما تكلم الشيخ قال إنه ذكر أدلته ، وهي ليست أدلة مطلقًا ، ويصف من خالفه بأنه قليل العلم ، وهو بذلك يريد إرهاب المخالفين فكريًا ، والمصادرة عليهم ، وينقل المسألة من الخلاف معه إلى الخلاف مع النصوص التي استدلَّ بها . مع أنه لا دليل فيما ذكر ، بل استدلاله باطل ، ومخالف للحق والصواب ، ولروح النصوص ومقاصد الإسلام عمومًا . ونريد من الشيخ بدلا مما قال أن يأتينا بنصوص دينية تأمر بالخنوع والانهزام والاستسلام ، وشرْب ماء الذل والرضا بالكفر ، وبيْع بلاد المسلمين ، والتفريط في السيادة القانونية على الأوقاف الإسلامية ، وعدم الاعتراض على هدم المساجد وتحويلها إلى معابد يهودية . . . نريد نصوصًا دينية تأمرنا بأن نُقتَل فنصبر ، ونُضرَب فنستسلم ، ونُهَان فنحلم ، وتُدنس بلادنا وأعراضنا ومقدساتنا ، فنعلن الحب والسلام لأعدائنا !

* التفتُّ إلى عبد الله قائلا : حسبك الآن ، ولا تنسَ أنك تتحدث عن سماحة الشيخ ابن باز - رحمه الله !

* قال عبد الرحمن بسرعة : لا شك أن هؤلاء من المجترئين على الشيخ ، وما

ينبغي أن نلتفت إلى آرائهم هذه. فنحن نعرف تاريخ ابن باز في خدمة الدعوة والفقه الإسلامي، بما لم يفعل هؤلاء.

* قال عبد الله ضجرًا: إن هذا هو ما يُحزنني، فأنا أرفض للشيخ ابن باز أن يكون قطعة في ديكور السياسة، وأربأ به عن أن يكون علمُه بابًا في كتاب الطغاة يقرءونه كلما أحاط بهم أهل الحق، وقناعًا يلبَسه المنافقون عند الخوف، وستارًا يواري به المجرمون سوءاتهم. ثم إن بالفتوى نوعًا من التناقض الداخلي؛ إذ كيف تستقيم الدعوة إلى الجهاد، مع الدعوة إلى التخاذل والاستسلام؟ وكيف نطلق كلمات تنظيرية حسنة، وعند التطبيق يكون التراجع والاضطراب والتناقض؟ لقد أوقعتنا الفتوى بين مَن لا يفهمون الواقع، ومن لا يريدون تغييره. وبين من لا يفقهون الخطاب السياسي، ومن يستغلون الدين جزءًا من الديكور السياسي.

* قلت متأسفًا: لا شك أنّ مثل هذه الفتاوى لمصلحة زعماء وسياسيين لم يحفظوا الأرض والعرْض، وتاجروا بالقضية لامتطاء رقاب الناس، والتربُّع على صدورهم باسم التحَرير، والاستعداد لمعارك الكرامة، ثم تبيَّن أنهم «**أفضل**» من يُضيِّع الأرض، ويفرِّط في العرْض، ويوالي اليهود، ويُنيلهم مصالحهم. ونحن نسمع دعاوى فارغة، وأماني كاذبة عن الاستعداد للحظة الحاسمة، وألا صوت يعلو فوق صوت المعركة، وأن نصبر على القهر السياسي، والفقر والعدم والتردي حتى نتهيأ للمواجهة، ثم في لحظة واحدة يعلنون أن كل هذا الاستعداد والصبر باطل؛ إذ الاستسلام للعدو خيرٌ وأبقى. والرضا بالذل أوفر وأسلم، والركون إلى الدعة أشرف وأتقى!

* أضاف عبد الرحمن في حزن: إن لهذا الأمر ما بعده، وسوف نرى أن محاولات الشيخ وضع حدود وقيود لفتواه، وقوله إنها لا تعني موالاة لليهود، سوف يُنسى، ولا يبقى هناك إلا لافتة عامة تبيح مصالحة اليهود، فتفتح الحدودُ، وتزال القيود أمام اليهود أكثر. ويدخلون بالمصافحة والابتسام والتودد، وإقامة العلاقات الكاملة اقتصاديًا ودبلوماسيًا وسياسيًا، في وقت نقطع فيه هذه العلاقات مع بعض بني جلدتنا وديننا! وسيخترق اليهود ما بين لحمنا وعظامنا، في تحد وعنفوان لم نحسن له تهيئة قوى، ولم ندع إلى مقاومته. ويومها لن نتذكر من حدودٍ

وقيود الفتوى شيئًا، فالذين استصدروها سيسعون لاستنفاد أغراضهم منها، بتأمين تحركاتهم الخائنة، وسيقدمون الرشوة الكاملة لليهود ومَنْ وراءهم لضمان استقرارهم واستمرارهم هناك.

* شبك عبد الله أصابعه أمام وجهه وقال: دَعُوني أصارحكم بأنني أرى هذه الفتوى تدعونا لأن ننسى في لحظة كلَّ ما علمَنا الإيمان والقرآن من معاني الجهاد، ومقارعة الباطل، ومقاومة الظلم، ونصرة الدين بالمال والنفس. فهل لنا بمجرد ذلك أن نركن إلى الأرض، ونترك الجهاد، ونعلن الضعف والاستسلام والانهزام، أمام أحقر خلق الله تعالى؟ وهل نقول كما قال قوم موسى له: ﴿ **فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ** ﴾[المائدة: 24]؟ أم نقول كما قال المقداد بن الأسود يوم بدر: «**اذهب أنت وربك فقاتلا، إنا نعكم مقاتلون**»؟

إن الفتوى تشجِّع ضعاف الإيمان على تشككهم وتراجعهم عن نصرة الحق، وتشجِّع معسكر المنافقين والعلمانيين واليساريين من الداعين إلى التخاذل والتنازل، وتدعم القوى المحاربة للإسلام، الرافضة إعلاء كلمة الله، التي تريد إطفاء نور الحق، وتنكيس راية الجهاد إلى الأبد.

ـ قلت مقاطعًا: نعم لقد فتحَتْ هذه الفتاوى الباب للشيوعيين، والعلمانيين، وسائر طوائف الملحدين، ومَن لا لوْن لهم للشماتة، ولرفع رءوسهم، وسنٍّ أقلامهم للصيد في الماء العكر، والتشكيك والتشويه، وتحقيق المكاسب الخاصة، وضرْب فريق بفريق من الإسلاميين، وتأييد مزاعمهم الباطلة، وتجريح المؤسسات الإسلامية والعلماء المخلصين، وتعددت الافتراءات بداية من استغلال الدين، والسذاجة الفكرية، ونهاية بالعمالة والتبعية للغرب. وأتاح لهم الموقف أن يتستروا بغشاء زائف من الوطنية والوعي السياسي والحكمة... فدَجَّلوا على الجماهير، وامتطوا صهوة الجهاد والنضال والمقاومة، ورَمَوْنا بدائهم، وانْسَلُّوا.

ـ كان عبد الله ينتظر حتى انتهيت من كلامي، ثم انطلق صائحًا: إنا لا نستطيع أن نقول لمن لم يطلقوا يومًا رصاصة على إسرائيل: هنيئًا لكم، يكفيكم ما قدَّمتم، ولا أن نقول للمجاهدين: كفوا أيديكم، وكفى قتالا، فهذا ليس زمان الجهاد، ولكنه زمان الاستسلام وأوان بيع الدين بعرَض من الدنيا قليل! هل نؤذِّن في الناس

بأن هذا ليس زمان صلاح الدين، ولكنه زمان اليهود والصليبيين؟ وأننا الماضي الذاهب، وهم- يهوداً وصليبيين- المستقبل الآتي؟ أو نردِّد مع الشاعر اليائس:

أمسي نفاق، ويومي ماؤه كذب — فما أؤمِّل من خير صباحَ غدي

قد أغمضَ القومُ أجفانًا مقرَّحة — على الهوان وإن كانوا ذوي عدد

شعب يلذُّ له أسياف قاتله — حمْراً، وتطربه ترنيمة الصفد

وقد أراه وسوط الذل يلهبه — فلا يُحسُّ، ولا يرثى لمضطهَد

أم ننشد في خنوع:

إن كنتم ذا شمَم في معشر جنحوا — للذل فاجنح له، تركن إلى رشد

ـ قال عبد الرحمن: لا يمكن يا عبد الله أن نتراجع عن حقوقنا، أو نتنازل عن أهدافنا، فليس بنا قدرة واستعداد للتخلي عن شبر من الأرض المقدسة في فلسطين، مهما سمعنا من فتاوى نراها ضد مصلحة الدين والدنيا معًا، فلا نظن الدين أتى ليدعو الناس إلى الخضوع للطواغيت، والاستسلام للظلم، والرضا بالفساد، والسير في ركاب الباطل، كلٌّ هذا بعيدٌ عن مقاصد الدين. بل أهل الباطل هم الذين يتخذون دائمًا من علماء السلطان مفتين، يتكلمون باسم الدين، لدعوة الناس إلى الرضا بما رضي به هؤلاء، لا ما يرضاه الله تعالى لعباده المؤمنين.

ـ قلت مُحتداً: لا يا عبد الرحمن، الشيخ ابن باز بعيد عن هذا اللمز، ونحن لا نسيء الظن به، ولا نرى أنه يقصد الاستسلام لليهود وموالاتهم، وترك جهادهم، وإن أوهم كلامه ذلك، بل يؤدي إليه حتمًا. ونرى أنه أراد الحق فأخطأه. ولا نقول كما يقول غيرنا في الشيخ من قدْح، واتهام بسوء القصد، واتباع غير سبيل العلماء المخلصين!

ـ رفعَ عبد الرحمن يده معترضًا وقال: لم أعنِ هذا صدِّقني، ولكن يحزنني أن يصدر من الشيخ وهو على قمَّة سامقة من العلم والفقه، فتوى تبث الرعب والفزع من العدو، وتدعونا لليأس من مقارعة الباطل، وتشارك في الحملات النفسية البشعة، وحملات التشويه الأسود، والتزييف والتضليل، لقتل إرادة الحرية والاستقلال وعزة الإيمان فينا، إن الأعداء يريدون منا ركوعًا واستسلامًا، وجنوحًا

إلى شروطهم، وإمضاء لفروضهم. والواجب أن نرفض أن نذل، أو نهون، أو نبيع.

لقد اهتزتْ حقائقُ الإيمان في القلوب، وارتجّت الثقة بالنفس وبالله تعالى، ومسَّت الحقَّ طوائفُ من سوء الظن، واستشرى الشكُّ في المستقبل؛ لأن الأمة التي نشأت مجاهدة، وعاشت مناضلة، تُدعى إلى التسليم والتقسيم، في وقت نحن أحوج ما نكون لمن يبث الإيمان في القلوب، والسكينة في الصدور، والثقة في الله تعالى، والتفاؤل بالمستقبل، ولله دَرّ القائل: «**ألفُ معركة خاسرة تاعسة في ميادين الحرب، أهون من معركة واحدة خاسرة يائسة في طوايا النفوس والقلوب**».

ـ قال عبد الله: هذا ما أريد أن أقوله من البداية، فإن كنا مستضعَفين- كما تقول الفتاوى- فهل نجمع إلى الضعف، هوان التآمر والخيانة والاستسلام، والتخلي عن الحق الإسلامي الأصيل؟! وإن كنا ضعفاء حقًا، فالفتوى تدعونا إلى الموت. وكأنه لا يكفي أن نكون ضعفاء، حتى نصير أذلاء جبناء. وإذا سلَّمنا اليوم على هذه الصورة المهينة، فكيف تقوم لنا قائمة بعدها؟! إنَّ مَن يُفرِّط في كرامته، ويعلن استسلامه على الملأ دون شروط، ويتعلل بأنه ضعيف، ويدعي أن له حقًا في أن يُذعن ما دام كذلك. ولن يكون إلا مضغة في الأفواه، وموطئة للأقدام، ومنْهبة للأطماع. فكيف يسوغ لنا أن نركع، ثم نموت، ويُنسى ذكرُنا، وندَّعى- مع ذلك- أن هذا إلى حين، وأننا بعد هذه المهانة والموات، سنعود إلى عالمنا لنحييَ إرادة ماتت، وأمَّة رمَّتْ، وكرامة فنيت أبد الدهر؟!

ـ قلت بصوت خفيض: أوافقكما على هذا، وإلا فلمَ لَمْ ندعو الأفغان مثلا للاستسلام للروس حين غزوا بلادهم، وقد كانوا أكثر ضَعْفًا، فلا عدد، ولا مال، ولا سلاح. أما إمبراطورية الشر المتغطرسة، التي كان يقف لذكرها شعر أمريكا والغرب بسلاحهم النووي والكيماوي والبيولوجي، وتقدمهم الهائل في التسليح وإدارة الحروب، وخبرتهم المتراكمة في القتال والصراع؟! بل لماذا لما ندع الشيشان للاستسلام للروس والخنوع لهم، وتسليم الأرض والعرض، ما داموا لا سلاح معهم إلا البنادق، وعددهم أقل من 1٪ من عدوهم؟! بل لماذا لم نصدر فتوى لمسلمي البوسنة بالاستسلام للصرب ما داموا أضعف منهم؟! إن الإسلام لم يحارب يومًا على قاعدة القوة والضعف المادي.

ـ قال عبد الرحمن: نعم، نعم! ثم إن الإسلام ليس مسئولا عن ضعف هؤلاء- إن كانوا حقًا ضعفاء؛ فالإسلام يدعوهم إلى القوة والاتحاد، ولم يدعُهم يومًا إلى التفرق والتمزق، والتقاتل والتدابر. فمن الخطأ التماس العذر لهم في الإسلام، والبحث عن فتوى دينية، تبيح لهم السلام المخزي، في حين الأمر كله يتم خارج إطار الإسلام، ويتجاوز دائرته. ومن المآسي، أن بعضنا يفعل ما يريد، ثم يعمد إلى البحث في الإسلام عما يؤيد مسلكه. فإن أراد حربًا، استخدم آيات القرآن للحث على القتال، وإن أراد صلحًا، استغلَّ آيات الكتاب للحث على الصلح. وكان الأوْلى أن ننزه القرآن واسم الإسلام عن هذا العبث بآيات الله تعالى، والاستخفاف بدينه، وألا نجعل من الإسلام مطيَّة لأغراض السياسة المداهنة.. ولا أدري: هل علينا أن نجعل الإسلام أداة في أيدي المفسدين؛ لتجميل منكرهم؛ وتبرير مسلكهم، بعد أن يكونوا قد أتموا جرائمهم، وأكملوا شرورهم؟!

وكأنما فجَّرتْ هذه الكلمات بركان غضب في صدر عبد الله، الذي علا صوته قائلا: لقد أصبتَ يا عبد الرحمن، وإنني دائمًا أتساءل: هل مَن أبرموا السلام مع إسرائيل، سألوا أولا عن حكم الإسلام قبل الإقدام على المعاهدات "التصالحية"؟ وهل من دأب هؤلاء أن يتأكدوا أولا من حكم الإسلام كلما أقدموا على أمر؟ وهل إذا خالف حكم الإسلام هواهم وتخطيطهم السياسي، يقفون عند حدوده، ويتقيدون بالشرع؟ بل أين هم من سائر حدود الله تعالى، فلا مراعاة للإسلام في نظمهم الاقتصادية والتشريعية، والإدارية والتعليمية، والتثقيفية، إلا بما يُعطي غطاء يحمي من النقد، ويذر الرماد في العيون المخدوعة.

* ونسأل أيضًا: هل وظيفة المفتي أن يُستدعى في آخر الحفل لكي يبارك ويُمضي ما أمضاه الآخرون، ليصير الدين شكلا في ديكور السياسة، أم يَسبق الحكم الشرعي الواقع ويضبطه، ويحكم عليه ويوجهه؟!

* قلت مهدئًا: إن هذه القضية خطيرة بصفة عامة، وأنا أتساءل معكما: إلى متى يظل الإسلام في بلاط السلاطين تكئة، ومنهبة لكل من أراد أن يتسوَّل به؟! لقد رأينا من أدعياء الوطنية كيف يلصقون بالإسلام كل ما تصبو إليه أهواءهم، وتطمح رغباتهم السياسية. فالإسلام تارة هو الاشتراكية، على حين الاشتراكية تارة أخرى

كفر، والإسلام طوْرًا هو الديمقراطية، وفي طور آخر الديمقراطية كفر، والإسلام يُحرِّم السلام مع اليهود يومًا، على حين الجهاد في يوم آخر ضد اليهود إرهابٌ، وعمل خارج القانون. وكان أولى بنا- كما قال عبد الرحمن- أن نُنزِّه الإسلام عن أن يسير في ركاب أهواء السياسة، فإذا أراد البعض اشتراكية، فلتكن اشتراكية وكفى، ولا يُسميها اشتراكية الإسلام، وإذا أراد بعض آخر الديمقراطية، فلتكن الديمقراطية وكفى، ولا يُسميها ديمقراطية الإسلام، وإذا أرادوا مع اليهود حربًا أو سلامًا، فليذهبوا إلى ما يريدون عمْدًا، دون استدعاء الفتوى الدينية لتأييد أقصى اليمين وأقصى اليسار معًا، وكأن الإسلام هو لما أُريدَ له، أو هو ما أراد الساسة، لا ما أراد الله تعالى!

* قال عبد الرحمن مضيفًا: لعل أكبر مثال على هذه المنهجية الفاسدة، ما كان حين احتل العراقُ الكويت، حيث دعونا جميعًا لإعلان الحرب لتحرير الكويت، بل رخصت الفتوى لاستقدام قوات أمريكية وأوربية للمشاركة في هذا التحرير، مع أن الكويت بالنسبة للعراق دولة ضعيفة، فلماذا لم يكن ضعفها مسوغًا هناك لكي تصدر الفتوى بأن يتصالح الكويتيون مع العراق لأنهم ضعفاء: كما يدعون الفلسطينيين اليوم للتصالح مع إسرائيل لأنهم ضعفاء، بل لأننا جميعًا ضعفاء أمام شرذمة من الأفاقين المتشردين، أم ترى الدم المسلم أرخص من الدم اليهودي؟!

بل قل لماذا لا ندعو الدول الغربية لمشاركتنا في تحرير فلسطين- كما فعلنا في تحرير الكويت، باسم تحرير دولة مغتصبة، وتنفيذ قرارات دولية، ونعلن الحرب، ونطلق فتاوى الجهاد، ونردِّد آيات القرآن التي تحض على قتال المعتدين، كما فعلنا في حرب الكويت؟ أم ترى الإسلام يسمح بتدمير العراق، ولا يسمح بتدمير إسرائيل؟ أم ترى الإسلام يدعو لحرب العراق، ولا يدعو لحرب إسرائيل؟! أم ترى الإسلام يأمر بتحرير الكويت، ولا يأمر بتحرير فلسطين؟! أم ترانا إذا أراد الغرب تحرير الكويت، دعونا للجهاد المقدس لتحريرها، وإذا أراد الغرب صلحًا مع اليهود، قلنا: الإسلام يدعو إلى المهادنة والاستسلام للأعداء. وكأن الإسلام يدعو إلى الجهاد ضد المسلمين، ولا يدعو إلى الجهاد ضد الكافرين؟!

إن مبررات الجهاد المقدس موجودة في فلسطين بأكثر مما كانت موجودة في الكويت.

ـ رفع عبد الله رأسه، ونظر إلى السقف منتويًا إثارة جانب آخر من القضية فقال: إن الأمر ينطوي على خديعة كبرى، إذ تتكلم الفتوى عن هدنة مؤقتة، على حين يتحدث الساسة عن سلام دائم وأبدي! وبما أن صاحب الفتوى ليس هو الذي يبرم الصلح، فمن الواجب عليه أن يلتزم في فتواه بمحددات الساسة، ويؤسِّس فتواه على ما قالوا من أنه سلام أبدي، وتسليم نهائي، لا رجعة فيه. . . .

ـ قلت مؤيدًا: لقد أصبتَ يا عبد الله.

ـ فقال عبد الله مسرعًا: ومن جانب آخر، فإن الشيخ إذا كان يغلب على ظنه أن هذه الفتوى يمكن أن تحقق مصلحة ما للمسلمين. فهذا خطأ؛ فالسلام الذي تدعو إليه الفتوى، ليس إلا في مصلحة اليهود، ولم يحقق للفلسطينيين أمنًا، ولا هدوءًا، ولا سكينة، ولا تغيَّر شيء في أحوالهم إلى أفضل بعد سنين من المعاهدة: غزة وأريحا. بل زاد القتل، وهدم المساجد ومصادرتها، وهدم المنازل وبناء المستوطنات، ومصادرة الأراضي، وإذلال السكان وإعدامهم، وتحدي الأمة بالإعلان باستمرار عن أن القدس ستظل عاصمتهم الأبدية، وأنهم لن يفرطوا فيها. فأين مصلحة المسلمين في مثل هذه المعاهدة؟

وما حكم الإسلام فيمن يعلن يوميًا أن فلسطين أرضه، وأنه لن يتنازل عن شبر منها، وألا مفاوضات حول القدس، ولا إرجاع للمسجد الأقصى، بل يسعى لهدمه، ويشن حملة «لتنظيف» البلاد من المساجد؟ وهل يرضى لنا الإسلام أن نعلن على عدونا الحب والسلام، في وقت هو يعلن علينا الحرب والموت الزؤام؟

ـ التقط عبد الرحمن طرَف الحديث من عبد الله قائلا: ربما نطق المرء بكلمة لا يلقي لها بالا، ولا يظن أن تبلغ ما بلغت، تزرع العداء، وتضر جماعة المسلمين. وخير للمرء ألا ينطق بشيء، إذا كان في ذلك صيانته، وحماية أمته، وتحصين ملته وعقيدته؛ فالكلمة قد ترفع المعنويات، وتهيئ للكفاح والنضال، أو تثير المخاوف والرعب، وتثبط الأبطال، ومما هو معلوم في علم النفس أن الخوف قد يستشرى منتقلا من الضعفاء إلى الأقوياء، ومن الجبناء إلى الشجعان. والأخلاق تعدي، والشائعات تنتشر فتقلب الموازين، وتضعف الثقة بالنفس، وتؤدي إلى الانهزام والتراجع. وقد بيَّن القرآن الكريم تأثير الحالة المعنوية في نتائج المعركة النهائية بقوله

في سورة الأنفال عن غزوة بدر: ﴿ إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلاً وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيراً لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٤٣) وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ﴾ [الأنفال: 43].

ـ قلت بدوري: ويُحكى أن شبلا رضع مع الغزلان، وتربى بينها. وفي يوم هجمَ أسد على قطيع الغزلان وبينها الشبل، ففرت الغزلان، وفرَّ الشبل معها. فلما رآه الأسد بينها ناداه، فوجده يُصدر أصواتًا كالغزلان، فقال له: إنك أسد، ولست غزالا. أنت ملك الغابة، وجميع الحيوانات تهابك، فلا تنسقْ مع قطيع الغزلان!

فتعجب الشبل، وظن أن الأمر خُدعة، فقال له الأسد: تعال وانظر في الماء إلى هيئتك، إن لك لبدًا مثل لبدي، ولو زأرت مثلي زأرة واحدة؛ لاهتزت الغابة جميعًا. وهنا رأى الشبل صورته في الماء، فأدرك الحقيقة الغائبة، وزأرَ زارة تجاوبت أصداؤها في الغابة، فسار إلى جوار الأسد، رافع الرأس مستأسدًا.

ـ قال عبد الله بعبارات بطيئة ولكنها قوية: إن المأساة في حياة هذه الأمة، هي أن يقع نفرٌ من علمائنا في هوى من بيدهم سلطة فكرية أو سياسية، فيتناولون قضايا بعينها لا يُحسنونها، وعن طريق هؤلاء تصلهم المعلومات الأولية والمقدمات التي يؤسسون عليها تصوراتهم، لا أن يَنزلوا هم إلى أرض الواقع و"الشارع" النابض بالحياة والأفكار والاتجاهات المتشابكة. ومن الطبيعي أن ينجح هؤلاء المتسلطون فكريًا وسياسيًا في تحقيق أهدافهم حينئذ، وأن يعزلوا هذا الفريق من العلماء في أبراج عاجية، ويحصروهم خلال مناظير فكرية، ويجمدوهم في قنوات ضيقة، فيروْن بأعينهم، ويسمعون بآذانهم، ويفكرون بعقولهم، ويحسون بقلوبهم، ثم يصادرونهم عبر قنواتهم الخاصة: إعلامية ودعوية، ويمدونهم بزاد متجدد يزداد كل يوم به التحامهم معهم دنيويًا، فيصيرون أسرى الموقف المعقد، كالفراش داخل الشرانق.

ـ قلت: إنك يا عبد الله تصور واقع فريق من العلماء، ولكني لا أعتقد أن الشيخ ابن باز كان منهم . . .

ـ قاطعني عبد الله : بسرعته وانفعاله المعهود، وانطلق يقول : دعني أحدثك عن نفر من العلماء أعْرفهم، ترى أحدهم عالمًا بالشرع، غير عالم بالواقع، إنهم علماء ومشايخ بينهم وبين المجتمع انفصال عضوي، وبالتالي هم في عزلة كاملة عن تياراته، وعدم دراية بفعالياته، وغربة عن التحولات الأساسية فيه. ومحصِّلة هذا، هو صعوبة التلاؤم بين هؤلاء والواقع، وغياب الشروط الموضوعية للتفاعل والانفعال بمحيطهم، وعدم قدرتهم على القيام بأدوار الريادة الفكرية والسياسية، وعجْزهم عن تولي مواقع السلطة والإرشاد والتوجيه.

ـ انتهز عبد الرحمن فرصة : توقف عبد الله عن الكلام لالتقاط أنفاسه، فقال : أنا مع هذا الرأي عمومًا؛ إذ نعترف لبعض مشايخنا بقدراتهم العلمية، وما قضوه من سنين في الاطلاع على النصوص الشرعية ودراستها وفهمها، ولكنهم للأسف لم يبذلوا جهدًا موازيًا في فهم الواقع المعاصر، ولا العلاقات الدولية، ولا السياسة الشرعية في إطار العصر، ولا حقائق الأوضاع في دولهم والعالم. بل إنهم منعزلون في حدود ضيقة، أو أبراج عاجية. ومن هنا جاءت فتاواهم خارج الزمان والمكان، وإن تعززت بما يُعتقد أنه دليل شرعي. وهي فتاوى خارج الحاضر تمامًا، ومتناقضة مع روح اللحظة التي صدرت فيها، وإن تعضدت بنصوص واستنباطات تنبئ عن سذاجة وسطحية في الفكر، وذلك لأن المفتي لا يفهم كل أبعاد الظاهرة التي يعرض لها، ويجهل جوانب جوهرية من القضية التي يتناولها، ولذا لا يصيب روح الشرع، ولا يلتقي مع مقاصده، ولا يضع النصوص الدينية مواضعها، بل يبدو وكأنه يعيش في غير الزمان، ويُفتي لغير الناس، ويتحدث لغة لا نفهمها، ولا نستطيع أن نقبلها، لأنها تأمرنا بعكس ما يريده الدين منا، فالدين يأمرنا بأن نعيش في عزة، وأن نموت في كرامة.

ـ بعد لحظة صمت : واصل عبد الله كلامه السابق قائلا : أولى بهؤلاء المفتين ما داموا مخلصين، ويخافون الله واليوم الآخر، ألا يُفتوا في كل أمر يُسألون فيه، ما داموا يجهلون أبعاد المسألة وملابساتها المختلفة، أو عليهم أن يدرسوا أولا بما يكفي- الجوانبَ المختلفة المتعلقة بموضوع الفتوى. فإذا ما تعرضوا لموضوع سياسي على قدر من الخطورة، مثل الإقرار لليهود بالسيادة القانونية على فلسطين. عليهم أن يفهموا المعنى السياسي، والدلالات الكامنة وراء المصطلحات، وأن يطلعوا على

لغة السياسة وحيلها وممارساتها الدبلوماسية الخفية والعلنية، حتى يستطيعوا ترجمة الكلمات، وفهم ما وراء العبارات من معان تغيب عن غير الخبير، وأن يدرسوا كذلك العلاقات الدولية والتاريخ المتعلق بالقضية، ثم لهم بعد ذلك أن يفتوا. أمَّا أن يفتوا بغير علم بكل ذلك، ولا يستعينوا بالخبراء والمتخصصين، فأولى بهم أن يتورَّعوا عن أن يكونوا سببًا لنشر روح التخاذل والاستسلام للكفار، والموالاة لأهل الباطل وأعداء الدين، ومن لا دور لهم إلا حرب الإسلام.

إن فريقًا من هؤلاء، أولى بهم أن يقصروا جهودهم على ما يجيدون فقط، فيفتونا في الطهارة والوضوء، وأن يحدثونا عن الاستنجاء والمضمضة والاستنشاق والاستنثار، وغسل البراجم، وتخليل الأصابع، ونتف الإبط، وحلق العانة، وتخليل اللحية!

ـ قال عبد الرحمن: من الواجب أن يكون المفتي حكيمًا خبيرًا، يعرف مواقع الكلمات، ويحس نبض جماهير الأمة، فإذا وجَدَ بعضًا يدعو إلى وأد روح الجهاد في الأمة، وإطفاء سراج الشهادة، لم يُؤازر هذه الدعوة، ولكن يُقدِّم العلاج، وإذا رأى بعضًا يسعى لاستصدار فتاوى لتبرير الوهن، وتثبيط العزائم، وتبرير أمر واقع فاسد، تنزَّه أن تكون كلماته وفتواه أداة بيد هؤلاء، وإذا كانت الأمة- بشبابها الغض- تريد الجهاد والاستشهاد لتحرير مقدسات الإسلام، لم يكن من اللائق صرفهم عن هذا، وادعاء أن هذا ليس أوان الجهاد، ولكن أوان الاستسلام للعدو، والدعوة إلى محو العواطف الدينية الجياشة، وكبت الحماس لدين الله تعالى.

ـ قال عبد الله: وهو يكزُّ على أسنانه، وقد بلغ الانفعال منه مبلغه: إن هذه الفتاوى تستحق فعلا شكْرَ رئيس وزراء إسرائيل- أعلى سلطة هناك- وهو ما فعله بعد ساعات قليلة من صدورها على رءوس الأشهاد، فقال بنصه: «**نشكر الشيخ عبد العزيز بن باز على هذه الفتوى**».

فهذه الفتوى تقدم لإسرائيل ما لم تحلم به يومًا، وبلا ثمن- حين نُحسن الظن؛ فهيئة من أعلى الهيئات الإسلامية في العالم، ملء السمع والبصر، تدعو المسلمين لتقبل الأمر الواقع، وفتح الحدود، والاستسلام لليهود، والتفريط في فلسطين،

هكذا بلا مقدمات، وبنصوص الدين المقدسة نفسها!!

ـ كنت متكئًا على ساعدي: أنتظر أن يُفرِغ صاحباي انفعالاتهما، ثم قلت بهدوء أمتصُّ به التوتر العالق بجو الغرفة: لَقَد اشتط بكما المقال يا صاحبيَّ، ووقعتما بجرأة في شيخ عزيز علينا، ورجمتموه بأقسى الكلمات عند أول مرة يقع فيه اختلاف، وأنا كنت أريد أن أقول لكم من البداية ما سترونه مفاجأة مذهلة، فأنا لا أعتقد أن هذه الفتاوى تخص الشيخ ابن باز، وليست من كلامه، ومزوَّرة عليه، ولم تخرج من مشكاته، فليس هو الشيخ ابن باز الذي أفتى هذه الفتوى، بل هي منحولة عليه، وسأذكر ما يؤيد رأيي هذا.

وكانت مفاجأة حقيقية انفجرت في القاعة كالقنبلة، فاتسعت لها العيون، وارتجفت القلوب؛ فابتسمت في هدوء، وأخذت أتهيأ لعرض قضيتي.

* * *

4- فتوى يبرأ منها العالم الرباني

ليست هذه المرة الأولى التي تُنتحَل فتوى على عالم من علمائنا، وخصوصًا الشيخ عبد العزيز بن باز، فمن عاش في السعودية لبعض الوقت يدرك جيدًا أن هذا الأمر ليس بالجديد، فهناك الفتوى المشهورة بتكفير من يقول بصعود الإنسان إلى القمر وإهدار دمه، والمنسوبة للشيخ ابن باز، وهو منها براء، وأحيانًا ما كان يضطر الشيخ إلى إصدار نشرات، يُكذب فيها بعض ما تنسبه وسائل الإعلام إليه.

بل إن إذاعة لندن نقلت عنه أنه قال بأن الاحتفال بالمولد النبوي كفر. والصحيح أنه قال إن هذه الاحتفالات من البدع المحدثة في الدين، ثم قال في ردِّه على الإذاعة البريطانية:

«وإنني آسف كثيرًا لإذاعة عالمية يحترمها كثير من الناس، ثم تقدم هي، أو مراسلوها على الكذب الصريح. وهذا شك يُوجب على المستمعين التثبت في كل ما تنقله هذه الإذاعة؛ خشية أن يكون كذبًا، كما جرى في هذا الموضوع»[1].

وإذا نظرنا إلى فتوى الصلح مع اليهود بصفة خاصة، وجدناها تخالف منهج ابن باز في الإفتاء، وأسلوبه وفتاواه السابقة، وتتنافى مع شخصيته وعلمه وفقهه وتاريخه في خدمة الدعوة والفقه الإسلامي، وهي بعيدة عن مصلحة الأمة، ومصادمة لمقتضيات السياسة الشرعية، وأولويات الفقه الإسلامي.

فالفتوى عارية من دليل صحيح، ومنهج ابن باز ذكْر الحكم بدليله الشرعي من الكتاب والسنة وأقوال الأئمة. وما وردَ في الفتوى من استدلالات هي أخطاء يتنزه عنها أصغر طلبة العلم، فضلا عن ابن باز في مكانته السامقة، فهي استدلالات باطلة، لا تقوم للنقد العلمي. وسنردُّ عليها لاحقًا.

وأسلوب الفتوى مضطرب، ولغتها ليست هي لغة ابن باز، وتناقضها يظهر في دعوتها إلى الجهاد والاستسلام في آن واحد، وتدعو شباب الصحوة الإسلامية من الفلسطينيين إلى إلقاء السلاح ومتابعة المتخاذلين من العلمانيين والمتآمرين على الأمة.

---

(1) نشرت مجلة «المجلة» السعودية طرقا من ذلك ع 806، فى 23 / 7 / 1995، ص 20.

ولا يشفع في ذلك أن الفتوى نشرت في جريدة كبرى، بل ربما كان نشرها في هذه الجريدة على هذا الوجه، وفي ذلك الوقت يُلقي بكثير من ظلال الشك حولها، فقد نشرت هذه الجريدة أن رئيس تحريرها شخصيًا، وليس أحدًا آخر[1] توجَّه بالاستفتاء إلى الشيخ ابن باز نفسه. ومعلوم أن هذه الجريدة لها ارتباطاتها المحدودة، وصلاتها المعروفة بدوائر سياسية معينة، لذا نشرت الفتوى على صفحة كاملة دون مبرر، وأعادت النشر مرات، مع توصية تكررت على صفحات الجريدة من الشيخ لرئيس التحرير بتحري الدقة في النشر، وكأن الأمر يمكن أن يصير إلى غير ذلك!

إن استخدام اسم ابن باز- بما هو معلوم من حب وتقدير الناس له، وثقتهم في علمه- قد يجعل القضية مقبولة، ويضمن هضم قطاعات عريضة من الشباب خاصة والعوام لها. ولكن لابد لنا أن نحاول الربط بين نشر هذه الفتوى، ومسارعة دول خليجية بعينها إلى المناداة بسقوط المقاطعة العربية لإسرائيل، والمبادرة إلى خطوات عملية في ذلك. ولهذا نتساءل: هل رفع المقاطعة الدينية عن إسرائيل هي الخطوة التالية بعد رفع المقاطعة السياسية؟ وهل تسير الفتوى الدينية في ركاب أهواء السياسة؟

إن الفتوى تأتي في توقيت مريب، يلقي بظلال من الشك على خلفياتها ومغزاها، فقد جاءت في وقت استسلام رسمي من بعض الزعماء للمشروع اليهودي، والرضا بما أراد هو وحدد من مسار للقضية، والتنازل عن كل الثوابت والمواقف السابقة، والتخلي عن كل المبادئ والشعارات التي طالما بُذلت الدماء لها رخيصة، بل الهرولة إلى الجنوح للسلم في وقت يجنح الأعداء إلى الغرور والاستعلاء، وفي وقت تحتاج الأمة فيه إلى مَن يُجدد لها دينها، ويُعيد على مسامعها آيات الجهاد والبذل والتضحية والشهادة، ويُذكِّرها بنماذج عمرو، وخالد، وصلاح الدين.

في هذا الوقت الذي زادت فيه الهوة اتساعًا بين قيادات خائفة مرتجفة، وشعوب تريد الكرامة والجهاد لتحرير مقدساتها فتُكبتْ وتُقمع، تنحاز الفتوى الدينية إلى السياسة غير الشرعية، وتوطئ لها السبيل، وتمهِّد لشرورها، وتكسح الألغام من طريقها!

ويزيدنا ارتيابًا أن الفتوى أتت في سياق الهجوم على الإسلاميين الداعين إلى

---

(1) ثم ذكرت الجريرة فى آخر تعقيب لها أن الفتوى كانت ردا على أسئلة لبعض أبناء فلسطين، فأى ذلك نصدق؟

تحرير فلسطين، ووصفهم بالجمود والجهل والسطحية، وعدم مسايرة العصر، وعدم فهم أصول اللعبة السياسية، وفي سياق من التراجعات في القضية الفلسطينية، والتسليم لليهود- على تحديهم وعداوتهم الظاهرة لنا، وفي وقت تحتاج الأمة إلى من يُحيي فيها ذكر الجهاد وروح المقاومة، ولذلك استخدمت الفتوى من قبل أعداء الإسلام، وأفادتهم في مواجهة جيل الصحوة الإسلامية، ورميهم بمزيد من تهم التطرف والظلامية والرجعية.

ونحن على يقين من أن الشيخ ابن باز لا دور له في هذه اللعبة السياسية، مع تسليمنا بأن بعض المشايخ يمكن التأثير عليهم بسهولة، وإحاطتهم بمعلومات وأجواء وتصورات ومواقف، تدفعهم إلى نتائج محددة، وأقوال مطلوبة، وتؤدي بهم إلى إعطاء صكٍّ ديني بالتخاذل والتنازل عن الأرض والعرض حتى لو كنا في مواجهة أعدائنا التاريخيين، أعداء الله ورسوله، وأخبث خلقَ الله طرّاً، وأسوأهم طوية.

وكم يجري من عمليات خداع لاستصدار فتاوى بضرب شباب الصحوة الإسلامية، نرى فيها كبار العلماء ينحازون إلى أعداء الصحوة الإسلامية وهم غافلون، وتُستخدم فتاواهم بضرب الشباب المسلم واعتقاله والتضييق عليه. وما نستيقن منه هو أن توريط علمائنا على هذا الوجه، يحقق لأعداء الصحوة أهدافًا عدة في شق صف دعاة الإسلام، وتوهين قواهم، وشغلهم بتسليط بعضهم على بعض، وتشويه صورتهم أمام الرأي العام. وأكثر من ذلك تحجيم القيادات الدينية التي يُخشى من تعاظم نفوذها، وذلك بدفعها إلى مواقع خاطئة، تزلزل مصداقيتها لدى شباب الصحوة، وتفرغ المواقع القيادية من رموزها؛ لاستبدالها بقيادات أكثر ولاءً وطاعة كلما كان ذلك مطلوبًا، فإذا فشلوا في ذلك أطلقوا الشائعات، ولفقوا الاتهامات، وزوّروا الفتاوى، وحرّفوا التاريخ.

أن هذه الفتوى يبرأ منها العالم الرباني، لأنها مخالفة لإجماع علماء المسلمين، وبعيدة عن مصالحهم، وتؤدي إلى شق الصف، وتفريق الكلمة، والفشل وذهاب القوة، وتمكّن للمعتدي وتكافئه، وتتيح له استكمال مخططه الاستعماري في إقامة إسرائيل الكبرى، والهيمنة على بلاد المسلمين، وإخضاعها لسلطان الأعداء الاقتصادي والسياسي والثقافي والعسكري. إنهم يريدون أن يأخذوا بالسلام ما لم يستطيعوا أخذه بالحرب.

5- ابن باز يرد على الفتاوى المنسوبة إليه

كان للشيخ ابن باز- رحمه الله- مواقفه الحميدة في نصرة الجهاد الإسلامي في جميع الأقطار الإسلامية المجروحة، وفتاواه منشورة في تأييد جهاد الأفغان، والفلسطينيين، ومسلمي البوسنة والهرسك، والشيشان، وإرتريا، والفلبين، وكشمير، وغيرها. ولعل أبلغ ردٍّ على ما نُسب إليه من فتاوى، تدعو إلى ترك الجهاد، هو أن نبرز بعض فتاويه القديمة التي تحض على الاستشهاد في سبيل الله، والقتال لرفع دينه، وتحرير أرض الإسلام، وتدعو المسلمين في العالم لنصرة المجاهدين، الذين يتصدون لطواغيت الكفر برغم قلة عَدَدهم وعُدَدهم. ومنها:

لا حل للقضية إلا بالجهاد الإسلامي [1]

س: كيف السبيل؟ وما هو المصير في القضية الفلسطينية التي تزداد مع الأيام تعقيداً وضراوة؟

ج: إن المسلم ليألم كثيراً، ويأسف جداً من تدهور القضية الفلسطينية، من وضع سيىء، إلى وضع أسوأ منه. وتزداد تعقيداً مع الأيام، حتى وصلت إلى ما وصلت إليه في الآونة الأخيرة؛ بسبب اختلاف الدول المجاورة، وعدم صمودها صفًا واحداً ضد عدوها، وعدم التزامها بحكم الإسلام، الذي علق الله عليه النصر، ووعد أهله الاستخلاف والتمكين من الأرض. وذلك ينذر بالخطر العظيم، والعاقبة الوخيمة، إذا لم تسارع الدول المجاورة إلى توحيد صفوفها من جديد، والتزام حكم الإسلام تجاه هذه القضية، التي تهمهم وتهم العالم الإسلامي كله.

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا الصدد، أن القضية الفلسطينية قضية إسلامية أولا وأخيراً، ولكن أعداء الإسلام بذلوا جهوداً جبارة لإبعادها عن الخط الإسلامي، وإفهام المسلمين من غير العرب أنها قضية عربية، لا شأن لغير العرب بها، ويبدو أنهم نجحوا إلى حدٍّ ما في ذلك، ولذا فإنني أرى أنه لا يمكن الوصول إلى حل لتلك

---

(1) من كتاب مجموع فتاوى الشيخ عبد العزيز بن باز، الجزء الأول عن موقع الشيخ عبد العزيز بن باز على الإنترنت(binba.org.sa).

القضية إلا باعتبار القضية إسلامية، وبالتكاتف بين المسلمين لإنقاذها، وجهاد اليهود جهادًا إسلاميًا، حتى تعود الأرض إلى أهلها، وحتى يعود شذاذ اليهود إلى بلادهم التي جاءوا منها، ويبقى اليهود الأصليون في بلادهم تحت حكم الإسلام، لا حكم الشيوعية، ولا العلمانية. وبذلك ينتصر الحق، ويخذل الباطل، ويعود أهل الأرض إلى أرضهم على حُكم الإسلام، لا على حكم غيره. والله الموفق.

قرار مجلس المجمع الفقهي (1)
التابع لرابطة العالم الإسلامي

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن مجلس المجمع الفقهي الإسلامي المنعقد في مكة المكرمة في دورته العاشرة (في 24 صفر 14008هـ، الموافق 17/ 10/ 1987م) يحيي الشعب الفلسطيني في جهاده المتواصل ضد الغاصبين المعتدين، وصموده ضد المحتلين، ويحيي شجاعة هذا الشعب وبطولته، وفي الوقت نفسه الذي يتوجه فيه المجلس بالتحية الإسلامية للمجاهدين الفلسطينيين، والدعوة الصادقة إلى الله العلي الكبير أن يكتب لهم النصر المؤزر، ويؤيدهم بتوفيقه وحفظه، وبهذه المناسبة قرر المجلس بالإجماع التوجه إلى العالم الإسلامي حكومات وشعوبًا، بوجوب القيام بدعم الجهاد الفلسطيني، بكل وسائل الدعم المادية والمعنوية، والسياسية والاقتصادية.

كما يقرر المجلس جواز صرف بعض أموال الزكاة لهذا الجهاد الإسلامي.

والمهم في هذا النداء من المجلس أن يبادر المسلمون خفافًا وثقالا للاستنفار لتأييدهم في هذا الجهاد، وفي هذه المعركة التي هي معركة الإسلام في هذا العصر، قال الله تبارك وتعالى: ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٤١].

ووصية المجلس للشعب الفلسطيني المؤمن المجاهد، أن يتمسكوا بحبل الله المتين، ويواصلوا جهادهم الإسلامي المبارك؛ لإعلاء كلمة الله؛ وحماية المسجد الأقصى المبارك، ويعتصموا بالله هو مولاهم، نعم المولى ونعم النصير. والحمد لله رب العالمين، ﷺ على إمام المجاهدين سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(1) المجمع كان تحت رئاسة الشيخ ابن باز. موقع رابطة العالم الإسلامي على الإنترنت (themwl . com)

6 - فتوى تقوم على خُدْعة وتدعو إلى الانتهازية السياسية

برغم أننا قد صرَّحنا باعتقادنا بأن هذه الفتاوى- التي تجيز الصلح مع اليهود- ليست لشيخنا عبد العزيز بن باز- كما نعرفه، إلا أن كون الفتوى قد نشرت على نطاق واسع، فإن كل ما ورد فيها لابد له من مناقشة علمية منهجية؛ ليستبين لنا أكثر الأخطاء والتناقضات، والمعاني السيئة، والنتائج المرفوضة المتضمنة فيها.

ولأن بعض الناس لا يزال يرى أن هذه الفتاوى هي لابن باز، فسنبدأ بما قرَّره سلفنا الكرام: «نحب الرجل، وحبنا للحق أكثر»، وقولهم: «الحق الذي عندهم يلزمنا، والباطل الذي عندهم لا يلزمنا»، وكان شيخ الإسلام ابن القيم- رحمه الله- يقول عن شيخ الإسلام أبي إسماعيل الهروي: «شيخ الإسلام حبيب إلينا: والحق أحب إلينا من شيخ الإسلام» (1).

فالأقوال حين تناقش مناقشة علمية تجرَّد من قائليها؛ لتُعرَض على محكِّ التمييز. وما وافق الحق قبلناه. والرجال يُعرفون بالحق، ولا يُعرف الحق بالرجال.

وقد بيَّنا من قبل الخديعة الكبرى التي تحتوي عليها الفتوى، حيث تؤسِّس حكمها على هدنة مؤقتة، وصلح عارض. على حين نجدُ الساسة الذين بيدهم الإبرام والنقض، يتحدثون عن صلح أبدي، وسلام دائم، ونهاية للحروب. وهنا قضيتان:

الأولى: هل يُبيح الإسلام نقضَ العهد من قِبل المسلمين، إذا لم يوجد مبرر لذلك من قبل المعاهدين- كما توهمُ الفتوى؟

والثانية: هل يجوز الصلح الأبدي مع اليهود، على ما هو قائم؟

أمَّا عن القضية الأولى: فالفتوى المذكورة ترى: «أن الحاجة والمصلحة الإسلامية قد تدعو إلى الهدنة المطلقة، ثم قطعها عند زوال الحاجة»، أي أن يبرم المسلمون عهداً، ثم ينقضوه هكذا بكل سهولة!! حين يكون في العهد مصلحة يعقدونه، فإذا انتهت مصلحة المسلمين، ضربوا بعهودهم عُرْض الحائط. وكأن

(1) مدارج السالكين: ابن القيم 3/ 394.

المسلمين لا عهدَ لهم، ولا أمان، ولا ذمّة!! إنها دعوة صريحة إلى الميكافيلية السياسية، والانتهازية التي هي نمط غربي في السياسة الدولية، حيث لا مبادئ إلا المصلحة الإقليمية، ولا منهج إلا الخداع السياسي.

ونحن من غير المقبول أن نصير إلى ذلك؛ لأن الإسلام وضع لنا قواعد ومبادئ لا يجوز لنا الخروج عليها. فإذا كانت الفتوى ترى إبرام هدنة مؤقتة أو دائمة في حال الضعف أو المصلحة، حتى إذا ما بلغنا سن القوة مبلغًا، نقَضْنا عهودنا، وتحللنا منها، فذاك ما يُحرِّمه ديننا. فمن الواجب أن ننبذ على سواء كما بيَّن سبحانه لرسوله ﷺ: **﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾** [الأنفال: **58**]. أي نُعلم من نريد ردَّ عهدهم عليهم. وهذا الردُّ حين يتحقق منهم خيانة للعهد، أو خيف خيانتهم للميثاق.

والآيات القرآنية محكمة في تحريم نقض العهد وخيانة المواثيق حال القوة والتمكن المادي، لا كما تفعل الأمم القوية الغادرة مع الأمم الضعيفة، يقول سبحانه: **﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلا تَنقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾** [النحل: **91**]، وتبيِّن الآيات في سورة التوبة مَن نحفظ عهده، يقول سبحانه: **﴿ إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾** [التوبة: **4**] والنبي ﷺ يقرر لنا مبدأ أساسيًا هو: **«أدِّ الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تخنْ من خانك»** [(1)].

فكيف نخون مَن لم يخن؟

وبرغم أن الشريعة تجيز مباغتة العدو، والإغارة عليه ومفاجأته، كما فعل النبي ز مع بني المصطلق، إلا أن من لهم عهد يحرُم مباغتتهم، إلا أن ينقضوا العهد، ويعلنوا بالعداوة، أو يظاهروا على المسلمين، فحينئذ يجوز لنا أن نباغتهم دون إنذار بالحرب، كما فعل النبي ز في مكة عندما فتحها، كما يجوز إنذارهم.

ويُظهر حرمة العهد، أن الله تعالى حرَّم علينا أن نقاتل مع إخواننا في الدين غير

---

(1) أخرجه أحمد في المسند (**15462**) وأبو داود، كتاب الإجارة، باب في الرجل يأخذ حقه من تحت يده (**3534**). والترمذي، كتاب البيوع (**1264**) وصححه الألباني.

الخاضعين لسلطاننا المباشر، ضد من بيننا وبينهم عهدٌ وميثاق من غير المسلمين، كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُوْلَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلايَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلاَّ عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ ﴾ [الأنفال: 72] والنبي ﷺ حفظ عهوده مع يهود المدينة إلى أن خفروها، فقاتلهم وأجلاهم، وسبى منهم.

وقد حدثَ أن معاوية رضي الله عنه أراد أن يخفر عهده مع الروم، ويباغتهم بجيشه، فاحتج عليه الصحابي عمرو بن عبسة بأن هذا غدر وخيانة ما دامت المعاهدة سارية، فخضع معاوية لهذا الاحتجاج، وعَدَل عن موقفه [1].

وعن ميمون بن مهران قال: « **ثلاثة المسلم والكافر فيهم سواء: من عاهدته فوف بعهده، مسلما كان أو كافرا، فإن العهد لله. ومن كانت بينك وبينه رحم فصلها، مسلما كان أو كافرا. ومن ائتمنك على أمانة فأدها إليه، مسلما كان أو كافرا** » [2].

أما من ينقض العهد المرة تلو المرة، فحكمه في قوله تعالى: ﴿ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ [الأنفال: 57].

واستكمالا لهذا الجانب، نرى أن نؤكد أن منطق السياسة العصرية، مخالف للسياسة الشرعية، فسياستهم هي أن تأخذ المتاح، وتطالب بالمفقود من الحق الضائع. فإذا قالت إسرائيل غزة وأريحا أولا، فقل: لا بأس، وطالب بعد ذلك بالضفة الغربية، ثم بالقدس. أما إذا رفضت إسرائيل أي حديث بشأن القدس، فقل سيأتي وقتها.

وهذا المنطق السياسي معتل، ولن يصلح مع اليهود أبدًا؛ لأنهم لن يتنازلوا عن الحق المغتصب، إلا بقوة موازية نظهرها، تجبرهم على الإذعان. والذين قالوا: إننا

---

(1) أبو داود، كتاب الجهاد، باب في الإمام يكون بينه وبين العدو عهد فيسير عدوه ليقرب نحو منهم فيغير بعد المدة عليهم، 2759. والترمذي، كتاب السير، باب ما جاء في الغدر، 1580. وصححه الألباني.

(2) أخرجه البيهقي في الشعب، الثاني والثلاثين من شعب الإيمان وهو باب في الإيفاء بالعقود (4362).

الآن ضعفاء، وليس هذا وقت المطالبة بكل الحقوق. يعلمون أنهم يكذبون ويخادعون، وأنه لن يأتي الوقت الذي يمتلكون فيه القوة لاسترداد الحق المغتصب؛ لأنهم بوضوح لا يعنيهم هذا الأمر. ولو رأيناهم في الماضي أو الحاضر، يحاولون تملك الأسباب التي توصل يومًا ما إلى التحرير لقلنا: هدنة مؤقتة، ولكنها في الحقيقة لا تعني لديهم إلا راحة مستديمة، وكما يقولون هم أنفسهم: «تعايشًا سلميًا أبديًا». وهيهات أن يكون! فاليهود لا يتعايشون مطلقًا مع غيرهم، وقد لفظتهم جميع المجتمعات التي ساكنتهم، وهم لا يؤتون الناس نقيرًا إذا تملكوا، كما قال تعالى: ﴿ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لاَّ يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا﴾ [النساء: 53].

ومنطق التلوُّن السياسي هذا لا يصلح مع القضية الفلسطينية؛ لأن لنا مبادئ لا نحيد عنها. فلا نحن برجماتيون، ولا انتهازيون. بل لنا قيم ومبادئ ثابتة، لا تزول، ولا تتبدل، لأنها مستمدة من الوحي الإلهي. فلا يمكن لنا أن نكون من أهل الخداع السياسي، ولا يصحُّ لنا أن ننقض العهود، وننكث بالمواثيق، لذا لا نبرم عهدًا، أو نعقد صلحًا، نكون مضطرين للإخلال به مستقبلا، أو نقضه والخروج على شروطه. فالعقود ملزمة، والمسلم مأمور بإنفاذ العهد، وإبراء الذمة. كما لا يجوز شرعًا أن يبرم المسلمون عهدًا، وفي النية نقضه؛ لأن الأصل في العقود هو الاستقرار والاستمرار.

فإذا عاهدنا اليهود اليوم على أرض فلسطين، وعاقدناهم: أنها لهم، فكيف يحلُّ لنا غدًا أن ننقض هذا العهد؟ وهل نلعب ونلهو في مضمار السياسة، كمن لا مبادئ لهم تحكم مواقفهم؟ إن هذا لا يجوز لنا، والواجب ألا تتغير مواقفنا مطلقًا ما دام كل شيء على حاله. وإن الذين غيَّروا مواقفهم وأقوالهم، وبدَّلوا مبادئهم تجاه المعتدي، وأقرُّوا له بما انتهَب، وصالحوه على ترك حق الله تعالى، نسألهم: ماذا تغيَّر حتى تصيروا من حال إلى حال؟

لا شيء تغيَّر، فلماذا ننساق نحن المسلمين في تيار التخاذل الجارف المحيط بنا، بل الواجب علينا أن نكون ضمير الأمة الحي، وصوتها القوي النابض بالحق إذا التبست الألسن، وضَلت العقول، وتحيَّرت الأفئدة، وأن ندعو إلى الصواب والحق، ونأمر بالمعروف، وننهى عن المنكر، وندل على الخيرات، ونحيي الجهاد

والفداء، ونوقظ روح أمة تدنَّست بالدنايا والأخطاء والعيوب؛ لتستعيد يقظتها ورُشدها؛ ولتتأهل لنيل الشهادة ورضوان الله تعالى.

إن الهدنة، أو الموادعة، أو المصالحة في اصطلاح علمائنا القدماء، تختلف عن معنى عملية السلام وحقيقتها الراهنة. فالمصالحة كانت تعني كفّ اليد، ووقف العمليات العسكرية فقط. أما السلام الإسرائيلي أو الأمريكي، فهو معنىً شامل لخبرات عميقة في السيطرة والاحتواء، والإخضاع والإضعاف، والاختراق والإذلال.....

وما يجري الآن ليس هدنة، ولا موادعة، ولكن معاهدة صلح، يتنازل فيها طرف (العرب) للآخر (اليهود) عن حق (فلسطين) بلا مقابل. فالهدنة جائزة لمصلحة المسلمين. أما التنازل عن الحقوق بلا مقابل، فليس ثمة مصلحة فيه لأحد منا.

والصلح أو الأمان المؤبد في الإسلام يكون للذميين، ويتولّاه إمام المسلمين الذي بويع على الكتاب والسنة، ويلزم المسلمين حال إبرامه، ولا يملك أحد نقضه بحال ما استقام عليه القوم. ولا يصح سلام مؤبد في حق من اعتدى على الدين، أو على بعض بلاد المسلمين. ويكون السلام المؤبد للذميين حال كونهم تحت سلطان الإمام المسلم، أما إذا كانت لهم شوكة ودولة متغلبة بالباطل، وقائمة على البغي والعدوان، وتحدي المسلمين، وانتهاب حقوقهم وأرضهم ومقدساتهم، فلا سلام مؤبد على الإطلاق، ولا مجاورة إلا على ما بدءوا من عداء.

يقول الإمام ابن قدامة في المغني: «لا تجوز المهادنة مطلقًا من غير تقدير مدة؛ لأنه يُفضي إلى ترك الجهاد بالكلية».

والجهاد لا ينتهي؛ لأنه ماض إلى يوم القيامة- كما ورد في الحديث الصحيح، وقد تنتهي حربٌ ما بتحقيق أغراضها، ولكن الجهاد نفسه قائم أبدًا ما دام على الأرض مسلمون، وما دام هناك اعتداءٌ على شبر من أرض الإسلام، أو فرْد من المسلمين. فضلا عن الجهاد الدائم لنشر الإسلام في الآفاق.

إن السلام الإسرائيلي يعني استمرار إخراج المسلمين من ديارهم وأموالهم، وتشرُّدهم في الآفاق لاجئين، على حين يحتل بلادهم مهاجرون يهود من أصقاع الأرض. وهذا من أكبر الظلم والإقرار بالحَيف، والله سبحانه يقول: ﴿ وَمَا لَكُمْ لا

تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴾

[النساء: 75].

وكل من أقرَّ سلامًا- على إخراج المسلمين من ديارهم- يُعتبَر مظاهرًا على ذلك، وعاملا فيه، ومعاديًا لله ورسوله، ومؤذيًا للمسلمين، وخائنًا للأمانة، ومفرِّطًا في الحُرمات، ومتخذًا الكافرين أولياء من دون المؤمنين، ومانعًا لمساجد الله أن يُذكر فيها اسمُه، وساعيًا في خرابها، ونصيرًا للكفرة الفجرة، والله يقول: [﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [الأنفال: 27]، ويُبيِّن الحق سبحانه: مَن يجوز لنا سلامهم، ومَن لا يجوز بقوله: ﴿ لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۝ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [الممتحنة: 8-9]

إن الصلح مع اليهود اليوم- دائمًا أو مؤقتًا- معناه الاعتراف بكيان غاصب، نَهب أراضي المسلمين وثرواتهم، وأهانَ كرامتهم، ونالَ من شرفهم وعزتهم. هذا الكيان الصهيوني العنصري، الذي طالما وصفناه بالدويلة الهزيلة، والمولود المبتسر، والمشروع المبتور، والدويلة الجيش، والكيان الطفيلي الذي ولد ميتًا... إلخ. ثم إذا بفريق يعترف به اعترافًا صريحًا، يتنازل معه بكل يسر عن جهاد الماضي وتضحياته، وآلامه ودمائه، وشعاراته واستراتيجياته، ليصير ما في يديه تكتيكات هزيلة، لا همَّ لها إلا إنقاذ ما يمكن إنقاذه، والحفاظ على مكتسبات شخصية! فهل نوافق على بيع دماء الشهداء، وأنين الثكالى، وبكاء اليتامى، بماء الذل، وخبز المهانة، وأضواء الكاميرات؟!

إن المعنى الكامن لكلمة سلام، هو إقرار اليهود على كل فلسطين، بمعاهدات ومواثيق دولية يشهدها العالم ويلتزمها الجميع، ويقف في وجه من ينقضها مستقبلا، والتسليم بالأمر الواقع خوفًا على دماء تبذل، أو أموال تصرف، أو سلطات تطيش. وكأن الجهاد يمكن أن يكون نزهة في حدائق الهايد بارك!

وهذا الإقرار يعني صراحةً: «سيادة قانونية» إسرائيلية على كل شبر في فلسطين، وعلى كل السكان أيضًا، ومنهم العرب هناك، على أن تكون الأراضي المحتلة عام 1948م- وهي تبلغ (78 ٪) من جملة مساحة فلسطين- تحت الإدارة الإسرائيلية تمامًا، على حين يكون (22 ٪) فقط من الأرض، هو كل ما يسعى إليه الفلسطينيون بمفاوضات شاقة مذلة متعثرة، لكي يقيموا عليها ما يظنون أنه دولة فلسطينية، وما هي إلا إدارة محلية فقط تنفيذية ومحدودة، وليست سلطة على الأرض، بل على السكان، فكل الأرض بهذا الإقرار التصالحي، صارت خاضعة للسيادة الإسرائيلية برضاء العرب. وكذلك الجو والبحر والمعابر!

وحتى السلطة الفلسطينية التي تمارس الحكم الذاتي المحدود هي تحت السلطة الإسرائيلية قانونًا، وخاضعة لها تمامًا، ولا تملك وضع قانون أو تشريع، أو ممارسة مظاهر السيادة الوطنية، والاستقلال السياسي والاقتصادي. وياسر عرفات نفسه صار بعد «غزة وأريحا» مواطنًا إسرائيليًا من الناحية القانونية!

فإذا أقررنا اليوم، فالعالم كله سيقف ضدنا إذا أردنا نقضَ هذه العهود المبرمة والاتفاقات الدولية التي تضمنها الدول الكبرى والمنظمة الدولية. أما أن ننتظر ونتجهز ونعد العدة للتحرير، فهذا هو المقبول شرعًا وعقلا، فلا شيء يُجبرُني على التوقيع على بيع داري وأرضي بلا ثمن، تحت زعم ضعفي وخوفي، وزعم أنني سوف أستعد لاسترجاعها بالقوة. وقد مضى أكثر من خمسين عامًا ولم نرَ استعدادًا، والله سبحانه يقول: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ [التوبة: 46].

ويقول أمير الجهاد: عمر المختار- الذي دوَّخ الطليان- قبل إعدامه: «لئن كسر المدفع سيفي، فلن يكسر الباطل حقي!

وفي الوقت نفسه الذي نعلن فيه على اليهود السلام، يعلنون علينا الحرب! ويُعدون العدة لمزيد من العدوان والاحتلال والسيطرة على الأرض والاقتصاد والثقافة، ويُصرِّحون بأن استعادة سيناء بثرواتها هدف ذو أولوية استراتيجية، وأنه يتحتم عليهم التخطيط لاسترجاع سيناء مرة أخرى، فهم يؤمنون بحدود مفتوحة لإسرائيل، فلا حدود دولية معروفة للدولة اليهودية، مما يتيح لها استمرار ضم

الأراضي، وابتلاعها مستقبلا إن استطاعت، ومناحم بيجن (بطل السلام!) من قبل، وبعد أن تولى منصب الرئاسة، كتب في مذكراته: «لن يكون سلام لشعب إسرائيل، ولا لأرض إسرائيل، ولا للعرب ما دمنا لم نحررْ وطننا بأجمعه بعد، حتى لو وقعنا معاهدة الصلح» (1).

إن السلم مع اليهود هو تسليم بتدشين المشروع الصهيوني، الذي هو رأس جسر للمشروع الأكبر في الوطن الإسلامي، وهو استسلام، يعني توقف روح المقاومة في الأمة، وانطفاء جذوة الجهاد، والتفريط في تحقيق استقلال سياسي واقتصادي، وتقدُّم علمي، ورقي خلقي؛ إذ المخطط الغربي يرمي إلى تذويب شخصيتنا الدينية، وسلخ هويتنا القومية، والهيمنة على ثرواتنا ومستقبلنا. وما إسرائيل إلا الطليعة الاستعمارية في هذا المخطط.

والسلام مع إسرائيل لن يكون إلا منزلقًا وعرًا، وخطأً استراتيجيًا، يكلف الأجيال القادمة ثمنًا باهظًا، ولا يحمينا من الخسران المبين، فهو يضع في الرقاب أغلالا، وفي الأيدي قيودًا أمنية واقتصادية، ويرسم خطوطًا حمراء على هويتنا الثقافية والحضارية. والواجب علينا أن نقف عند هذه الحدود الفاصلة، دارسين متأملين للطرق المتفرقة التي نقف على رأسها، وأن نتسلح بالمنهجية العلمية والموضوعية في تقدير قوة الخصم وقوتنا الذاتية، بلا غرور، ولا استهانة. فقوة إسرائيل التي نلمسها على الساحة السياسية، شيء لا يصح أن نغمطه أو ننساه، ولكن يجب ألا يدفعنا هذا إلى الرعب والشلل، والاضطراب المؤدي إلى عدم القدرة على اتخاذ القرار السديد. وعلينا أن نعد ما استطعنا من فكر ودراسة، وقوة وعلم، وجهاد وتربية، ودعوة ودعاء، واستقامة وصلاح وسلاح، ليوم آت لا محالة. يوم التحرير، أو الشهادة.

---

(1) كتاب الثورة، لمناحيم بيجن، ص 235.

7- ماذا يعني السلام؟

إن خدعْنا أنفسنا، وصدَّقنا أن السلام مع اليهود دائم ومؤبد، فاليهود أنفسهم لا يفهمون ذلك، بل هم يعدون السلام مرحلة، يحققون فيها بالمفاوضات، ما لم يحققوه من قبل بالحرب، وهم يعتقدون من كتبهم الدينية، أن الهدنة تعني استسلام الخصم المنهزم للشروط التي يميلها المنتصر. لهذا كان من حكمنا البالغة الماضية: "إن إسرائيل لا تفهم إلا لغة القوة".

وقد قلنا قبل: إن السلام الإسرائيلي يعني غير ما عبَّر عنه فقهاؤنا قديمًا من الهدنة والموادعة والصلح، إذ يعد هذا السلام في الظرف المعاصر خسارة ماحقة بنا، وقبولا بشروط العدو الذي يعد نفسه قويًا منتصرًا، ويعدّنا ضعفاء منهزمين، وينتظر منا أن نعطي بالمفاوضات ما عجز عن أن يأخذ منا بالحرب، فقد أتاح السلام لإسرائيل وقف الانتفاضة الفلسطينية الأولى، وتوفير مبالغ طائلة كانت تُنفق لقمع هذه الانتفاضة.

والمعاهدة السلمية جعلت إسرائيل غير محتاجة لتعبئة مستمرة، واستنفار على الحدود، ومرابطة وتصعيد في الإنفاق العسكري، كما كان الأمر قبل السلام، وهي تصب جهدها على تحقيق التفوق الاقتصادي على العرب مجتمعين، يساندها في هذا الدول الغربية بنقل التكنولوجيا المتطورة، "وحث" العرب على فتح أسواقهم لبضائعها، فتغزونا في النهاية اقتصاديًا، كما غزتنا من قبل عسكريًا، وتستغني إلى حد ما عن المساعدات المالية الأمريكية.

ومن المنتظر أن تكون إسرائيل بعد السلام، أقوى منها قبل السلام، حيثُ هيَّأ لها السلام فرصًا كي تكون مركز الجاذبية الاقتصادية في الشرق الأوسط، ومن المعروف أن اقتصادها أقوى من اقتصاد مصر وسوريا والأردن ولبنان جميعًا، مما يتيح لها الهيمنة الاقتصادية على هذه المنطقة.

وقد ألغيت المقاطعة فعليًا للشركات التي تتعامل مع إسرائيل، ويجرى إعلان الإلغاء تدريجيًا. والأمر الغريب، هو أنه بينما كانت قرارات منظمة المؤتمر الإسلامي السادس في المغرب (1994م)، تدعو إلى فرض مقاطعة اقتصادية على الصرب، وعلى الشركات المتعاملة معهم، إذا بالمؤتمر يتغافل عما تمَّ من فك المقاطعة العربية

الاقتصادية وغير الاقتصادية لإسرائيل والشركات المتعاملة معها، وقد كان الأمر منذ وقت قريب يخضع لنشاط دبلوماسي نشط، ومكاتب تعمل لتحقيق المقاطعة وتثبيتها ومتابعتها. وهذا بطبيعة الحال يفتح أبوابًا لتضخم الاقتصاد الإسرائيلي، ونموه على حساب الاقتصاديات العربية الممزقة المنهكة.

وقد بدأت الشركات اليهودية في اختراق اقتصاد العالم العربي، وخصوصًا الشركات مزدوجة الجنسية، حيث يختبئ اليهود وراء جنسياتهم المزدوجة، أو يدخلون بوجه مكشوف. وقد كان محظوراً عليهم ذلك من قبل.

وعلى سبيل المثال، بلغ حجم التجارة في الربع الأول من عام **1995** بين مصر وإسرائيل (**6،14**) مليون دولار مقابل **7** ملايين دولار في الفترة المماثلة من عام **1994**. وهذه الأرقام لا يدخل فيها صادرات مصر من البترول إلى الكيان الصهيوني. ويعد المسئولون في وزارة الصناعة والتجارة الإسرائيلية هذه الزيادة الحادة في حركة التجارة مع مصر جزءاً من تطويع العلاقات التي بدأت بالتوازي مع عملية السلام، وهي في صعود مستمر؛ إذ بلغ حجم هذا التبادل التجاري (**61**) مليون دولار في خمسة الشهور الأولى لعام **1996**، بنسبة زيادة (**80** ٪) عن الفترة المماثلة من العام **1997**.

ثم كان اتفاقية "الكويز" سنة **2004**م، التي عززت المبادلات التجارية بين البلدين، لترتفع من (**44**) مليون دولار في السنة، إلى (**70**) مليون دولار. ويعتبر هذا الاتفاق أول شراكة استراتيجية تجارية وصناعية بين مصر وإسرائيل منذ إبرام معاهدة السلام بينهما عام **1979**م. تجدر الإشارة إلى أن برنامج المناطق الصناعية المؤهلة "الكويز" يرجع إلى عام **1996**م. وتهدف واشنطن من خلاله إلى تشجيع التعاون الاقتصادي والعلاقات السلمية بين إسرائيل وشركائها في تلك المناطق [1].

وبدأت محاولة إزالة ما أسموه "**الحاجز النفسي**" بين العرب واليهود، حتى يَتقبَّل كل فريق الآخر، ويتعايش معه. والأمر أكبر من مجرد حاجز نفسي، إنه عداء حضاري وديني، وصراع عقدي، وتدافع فكري، لا نهاية له إلا بانتصار أحد الفريقين انتصاراً حاسمًا، وتسليم الفريق الآخر. ولكن مُنظِّري السلام يراهنون على

(1) موقع صحيفة الشعب اليومية الصينية أونلاين. (rabic. peopledaily.com).

استمرار الأمر الواقع، وغسيل عقول الأجيال الجديدة، ونزع أساسيات المواجهة والصراع من العقول، فتنشأ ولا غَيْرة عندها على فلسطين المحتلة، ولا رغبة في تحرير مساجدها الأسيرة، إذ سيُزرع في عقولهم أن اليهود أصدقاء وبنو عمومة- كما سمعنا كثيرًا بعد معاهدات السلام، وأن لهم حقًا في الوجود والتعايش السلمي في المنطقة.

وهذا حرفيًا ما يشترطه اليهود في معاهدات السلام، وما يحرص عليه من يخافون إحياء روح الجهاد؛ لأن هذه الروح ستطيح بالمتآمرين والخونة والمثبطين. وكل هذا يجري في وقت يُعَدُّ أبناء اليهود في مدارسهم ووسائل إعلامهم إعدادًا عدائيًا مقيتًا للعرب والمسلمين، ويُزرع في قلوبهم الحقد على العالم كله وخاصة المسلمين، ويلقنون أنهم الشعب المختار، وأن عملهم على إبادة الشعوب الأخرى هو عمل مقدس، يتطابق مع النصوص الدينية!

ولذلك كانت المطالب الإسرائيلية في معاهدات السلام واضحة في العمل على تغيير المكونات الثقافية الأساسية للعقل العربي المسلم، وتبديل المنظور الفكري تجاه إسرائيل، حتى صار من الشروط الموضوعية للسلام: إعادة صياغة المناهج التعليمية والرسالة الإعلامية؛ لحذف كل ما يمس اليهود من قريب أو بعيد، بدءًا من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والسيرة الشريفة والتاريخ الحديث، ونهاية بالأفلام والمسرحيات والبرامج والتمثيليات والكتب والصحف. وصار الحديث عن الجهاد تطرُّفًا يثير التوتر، ويُهدد الأمن الداخلي وعلاقات حسن الجوار. ويجري التغطية على هذا المصطلح الإسلامي وإغفاله وتغافله، وإلهاء الشباب عنه، برغم أنه يُعد الركن السادس للإسلام!

وبعد أن أقام اليهود علاقات دبلوماسية كاملة، رَفْرَف بمقتضاها العلمُ الإسرائيلي في قلب بلادنا، كان من الطبيعي أن يتحقق لليهود اختراق مجتمعنا أمنيًا وثقافيًا وتجاريًا، فأقيمت مؤسسات خبيثة، ذات واجهات مضللة؛ لاستقطاب المثقفين والفقراء واليتامى والمشرَّدين... كما تحقق اختراقٌ إعلامي بشراء إعلاميين وصحافيين وكتَّاب، واختراق غير صحي بتصدير الداعرات الفاجرات، الحاملات لطاعون الإيدز وأمراض الزهري والسيلان. والهدف هو تدمير أخلاق الشباب المسلم. وهذه لعبة يُجيدها اليهود، حيث أفسدوا الولايات المتحدة وفرنسا وإيطاليا

وبلجيكا والدول الاسكندينافية التي انحلتْ أخلاقها، وفسَد شبابُها، وتمزقت أواصر الحياة الأسْرية فيها، وانتشر الفجور والانحلال الأخلاقي والفكري على أيديهم.

وكما تتسلل الشركات اليهودية المالية والتجارية تحت غطاء أمريكي أو أوربي، تتسلل المخابرات الإسرائيلية والدولارات المزيفة والمخدرات تحت غطاء السياحة. والغريب هو استعانة دول عربية لتطوير أجهزة مخابراتها بالخبرة الإسرائيلية!!

وهناك الاختراق الأكاديمي لجامعاتنا ومراكز أبحاثنا، وقد حصل بعض المصريين مؤخراً على شهادة الدكتوراه من جامعات إسرائيلية! وتجرى رحلات مستمرة للشباب الجامعي إلى إسرائيل، كما ترتب رحلات للصحافيين تتمخض عنها كتب ومقالات وتحقيقات صحفية، يتلقى كاتبوها الوحي من اليهود، وهناك سعيٌ حثيث لاستقطاب الجامعيين والصحافيين والكُتاب والسينمائيين والسياسيين.

وما نخشاه هو أن تفتح الجامعات العربية أبوابها للطلاب الإسرائيليين، وتفتح الجامعات الإسرائيلية للطلاب العرب، وهذا هدف إسرائيلي أساسي.

ولعلنا لا ننسى هنا أن اليهود في مصر قد سيطروا على السينما والجمعيات الثقافية، وعلى الصحافة وسوق الورق، وأدوات الطباعة والإعلان في النصف الأول من القرن العشرين الميلادي. وهناك كثرة من الكتب تعطي معلومات موثقة عن التسلل الثقافي اليهودي في الوطن العربي.

ولعل أخطر ما قام به اليهود في مصر من الناحية الثقافية في النصف الأول من القرن العشرين الميلادي، هو الالتفاف حول كبار الكتاب والأدباء المصريين والتقرب إليهم، والعمل على اكتساب مودتهم وتعاطفهم، وبالتالي ضمان امتناعهم عن كتابة شيء يؤدي إلى كشف النوايا الحقيقية للنشاط الصهيوني الذي كان يحاول التخفي خلف القناع الديني لليهود المصريين.

وقد نجح اليهود بالفعل في هذا الوقت في اكتساب ثقة كبار الكتاب والأدباء المصريين وتعاطفهم، مثل: طه حسين، ومحمد حسين هيكل، ولطفي السيد، وغيرهم. كما سيطروا على كثير من المجلات والصحف والجمعيات الأهلية.

ويحقق اليهود بالسلام اختراقًا دبلوماسيًا، حيث لابد من زيارات الوفود

والاستقبالات الرسمية للدبلوماسيين، بما فيها من تبادل الاحترام والتعظيم باستعراض حرس الشرف، وعزف السلام الوطني، والتصافح والتبسم والتودد، والتباحث والتفاوض، والتحاور. ولا يخلو أن يشارك رجال دين في هذه اللقاءات الرسمية، فضلا عن غيرهم. وقد سمعنا مشايخ لهم مناصب حكومية، يعلنون على الملأ قبولهم المسبق زيارة إسرائيل إذا وجهت الدعوة إليهم، وبالطبع سيُستقبلون رسميًا، ولابد من الاستضافة والإطعام، والإهداء وإطلاق التصريحات المتبادلة، وكل ذلك تحت عباءة الدين!

وما قرأناه من فتوى منسوبة للشيخ ابن باز عن جواز زيارة المسجد الأقصى، وهو تحت الاحتلال الإسرائيلي، هو وجه آخر لهذا الاختراق الذي يعترف بالأمر الواقع، ويخضع له، ولا يقاومه، بل يُزين للآخرين قبوله. ومعنى هذا، أن نضع أيدينا في أيدي رؤساء عصابات وقتلة وسفاحين، ولغواً في دمائنا ودماء آبائنا، قبل أن يصيروا رجال دولة في الوقت الحاضر.

والواجب، ألا نزور المسجد الأقصى إلا مجاهدين محرِّرين، لا سائحين، ولا متنزِّهين.

وهكذا، تتسلل الأموال اليهودية للسيطرة على اقتصادنا، ويسعى اليهود تحت الجنسية المزدوجة لتملك المؤسسات الحساسة والهيئات الفاعلة في نسيج المجتمع، والتأثير بها، والتوجيه من خلالها، وتملك أراضي وعقارات ومنشآت. وقد قرأنا أن الوكالة اليهودية اشترت بالفعل أراضي في الدول التي أبرمت معاهدات صلح مع إسرائيل بطرق خبيثة ملتوية. كل ذلك، يضاف إليه أن إسرائيل فُتحَ لها أبواب العالم الدبلوماسية، لتقيم علاقات كاملة، مع دول كانت تقاطعها مراعاة للعرب، في أفريقيا وآسيا وأمريكا الجنوبية. وتجتهد إسرائيل لمزيد من إقامة العلاقات الدبلوماسية؛ لتحقق تقبُّلا عانيًا لدولة الاحتلال، وتتسارع خطوات دول كانت محْجمة لإقامة علاقات تجارية ضخمة، تضخ الدولارات في الاقتصاد الإسرائيلي، وتروِج البضائع والأسلحة والتكنولوجيا اليهودية. وهذا جميعُه، يزيد تلك الدولة تجذُّرًا[1] وانفتاحًا على العالم.

وإذا كان السلام يزيد إسرائيل قوة واستقراراً، فهو يزيدنا ضعفًا واضطرابًا،

(1) المعنى: يتعمق جذرها.. والمراد: تزداد رسوخاً.

فالاعتراف باليهود ودولتهم في فلسطين، معناه استمرار الخضوع للهيمنة للمشروع الغربي. وهذا بدوره قرين باستمرار مشكلات وأخطار لا تنتهي. فمهمة إسرائيل ودورها، هو استمرار خلق المعوقات والتهديدات والتوترات؛ لشغلنا وتعجيزنا عن المقاومة والكفاح، واستنفاد قوانا في معارك محدودة، وصرفنا عن الأهداف الحقيقية في الإعمار والبناء والتقدم، وشلّ الفعاليات كلما بزغت، والتحكم في النفط والغاز والمضايق والشعوب.

إن إسرائيل تحصل بالسلام على الغاز والبترول، والمعادن والبضائع العربية الرخيصة، والأيدي العاملة العربية. ومع ذلك، تواصل سرقة المياه العربية من نهر الليطاني والأردن، وسحب المياه الجوفية من الصحاري المحيطة بها. فمعاهدات السلام تحفظ لإسرائيل حصصًا متقرِّرة من المياه العربية، ومع ذلك تتجاوزها.

وتطمح إسرائيل إلى إنشاء قناة بديلة لقناة السويس، تصل البحر المتوسط بالبحر الميت.

ويُتيح السلام لإسرائيل الاستمرار في مصادرة الأراضي، وهدْم المنازل والمباني، وتغيير معالم المدن الإسلامية في فلسطين، أي تهويدها. كما يتيح لها مواصلة طرْد الفلسطينيين من أرضهم حين لا ترضى عنهم، ووضع الباقين في سجن كبير، تحاربهم في أرزاقهم، وتحيطهم بسور يعزلهم عن العالم، حيث لا يملك أحدٌ تغيير أوضاع تنشئها إسرائيل خارج كل الأعراف والقوانين الدولية.

وتطمئن إسرائيل في ظل أوضاع السلام لتحقيق هدفها الاستراتيجي في استيعاب يهود العالم المهجَّرين رأسًا إلى الأرض المقدسة من دول الاتحاد السوفيتي، ودول شرق أوروبا، ومن العالم العربي نفسه. وهذا أكبر دعم للمشروع الصهيوني في إسرائيل الكبرى، وما كان ليتمَّ على هذا الوجه الاستيطاني الجبار إلا في ظل السلام، إذ يخاف المهاجرون عادة في أجواء الحرب، ويمتنعون بكل سبيل عن الهجرة لإسرائيل، وتتناقص نسبتهم إلى أدنى معدل لها، بل يفتح الباب لهجرة عكسية طاردة من فلسطين.

ويتيح السلام لإسرائيل تحقيق أهداف استراتيجية أخرى، مثل الاتفاق على تحديد عدد الجيوش العربية، وتحديد نظم تسليحها، وتجريد مناطق حدودية واسعة

من السلاح والجنود، وإقامة قوات دولية (غربية) هناك.

ولا تزال إسرائيل تخطيط لإثارة نزاعات داخلية في الدول العربية والإسلامية؛ تمهيدًا لتقسيمها إلى "كانتونات" صغيرة، يسهل السيطرة عليها. والسلام يتيح لإسرائيل التدخل في الشئون الداخلية للدول العربية، وإثارة النزاعات الطائفية، وتغذية الفتن المفضية إلى التفكك.

وبرغم المعاهدات السلمية، نرى جرأة على الإسلام والمسلمين؛ لأن هذه المعاهدات وصَمَتنا بالتهاون في حقوقنا. وهذا يدفع اليهود إلى التعجيل بتحقيق حلمهم في هدْم المسجد الأقصى، وإقامة هيكل سليمان مكانه. وفي الفترة الماضية تعرَّض الأقصى لهجوم "متطرفين" يهود بقصد احتلاله، وإقامة صلواتهم فيه، وكأنه معبد يهودي! وهذه مقدمة للاستيلاء عليه، كما فعلوا بالحرم الإبراهيمي. وكل هذا في ظل السلام الذي لا ينقضه ناقض.

وبما أننا أعلنا ألا سبيل إلا السلام، وألا خيار إلا المحادثات، وأن السلام "خيارنا الاستراتيجي". فما أهون أن يُدمرَ هؤلاء- أحفاد القردة والخنازير- بيوت الله تعالى، ويمنعوا فيها ذكْره. والأخبارَ تترى عن تسارع تهويد المدينة المقدسة، ومصادرة الأراضي فيها، ومواصلة الحفر أسفل المسجد الأقصى المبارك.

ويحاول الإسرائيليون بلوغ هدفهم في وأد كل نهضة إسلامية، حيث يتحالفون مع الغرب لمقاومة الصحوة الإسلامية؛ لأن هذه الصحوة- كما يقولون: خطر على قيادتهم للعالم. وقد صرَّح أمين الحلف الأطلسي، في اجتماع ضمَّ إسرائيل ودولا عربية: بضرورة التنسيق للتصدي لما يُسميه: "الأصولية الإسلامية"، حيث يراها الجميع أعظم خطرًا من الشيوعية في أثناء الحرب الباردة!

وهكذا كان من ثمرات السلام المرَّة، ومُفرَزاته الخبيثة، قيام حلف دنس لحرب الصحوة الإسلامية. والغريب أن يَضم هذا الحلف إسرائيل، وبعض العرب، والغرب. والله ا يقول: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾ [الأنفال: 73].

ولهذا رأينا إسرائيل تطلب بوقاحة، وتضغط على ياسر عرفات، ثم على أبي مازن، وغيرهما- لضرب الصحوة الإسلامية في فلسطين وما حولها. ولا يستحي

اليهود أن يعلنوا أن ثمن السلام هو ضرْب الإسلام، وأن دوْر السلطة الفلسطينية وغيرها هو بذل كل الجهود لتحجيم، أو تحطيم الحركات الإسلامية . ويتوقف تنفيذ المعاهدات "السلمية" على هذا، ويطلق هؤلاء الأشقياء تهديداً، وهو أنه لا سلام طالما لم يبذل الرئيس الفلسطيني وغيره ما يكفي للقضاء على الإسلاميين.

فهذه هي السلطة، وهذا هو الثمن!

وهناك اليوم حلف صريح بين بعض الدول العربية وإسرائيل، على حرْب رجال الدعوة وشباب الصحوة، تحت اسم محاربة الأصولية، ومقاومة التطرف والإرهاب، والافتراء على المتدينين بأنهم ضد المصلحة الوطنية، وأنهم عملاء يتلقون الأموال والمخططات من الخارج، وأنهم خارجون على القانون، يجب ملاحقتهم واعتقالهم وتصفيتهم - كلما أمكنَ ذلك.

إن السلام قد أعطى إسرائيل كلَّ شيء تريده؛ لأنه سلامها، ولم يعط شيئًا حقيقيًا لنا.

* * *

8- التطبيع
هو الموالاة لأعداء الله

جاء في الفتاوى المنسوبة لابن باز التالي: "الصلح مع اليهود- أو غيرهم من الكفرة لا يلزم منه مودتهم، ولا موالاتهم. بل ذلك يقتضي الأمن بين الطرفين؛ وكفّ بعضهم عن إيذاء البعض الآخر، وغير ذلك. كالبيع والشراء، وتبادل السفراء. . . . . وغير ذلك من المعاملات التي لا تقتضي مودّة الكفرة، ولا موالاتهم. . . . . . ".

وجاء فيها أيضًا: "وبذلك يتضح للسائل وغيره، أن الصلح مع اليهود- أو غيرهم من الكفرة، لا يقتضي تغيير المناهج التعليمية، ولا غيرها من المعاملات المتعلقة بالمحبة والموالاة".

وجاء فيها أيضًا: "الصلح بين ولي أمر المسلمين، وبين اليهود، لا يقتضي تمليك اليهود لما تحت أيديهم تمليكًا أبديًا، وإنما يقتضي ذلك تمليكهم تمليكًا مؤقتًا، حتى تنتهي الَهدنة المؤقتة، أو يقوى المسلمون على إبعادهم عن ديار المسلمين بالقوة في الهدنة المطلقة".

وتدعي الفتوى أن الصلح مع اليهود ومعاهدات التطبيع، لا يلزم منها استفادة اليهود من الدول الإسلامية في جميع المجالات، بما يعود عليها بالقوة والتمكين في بلادنا المغتصبة، ولا يلزم مشاركة اليهود لنا في مصادر مياهنا، كالنيل والفرات، والليطاني والأردن.

ونحن نسأل: إذا كان هذا لا يلزم، فهل يمتنع؟

إن النظر إلى الفتوى من هذا الوجه، يجعلنا نجزم بأنها خيالية وسطحية وعامة، وبعيدة عن الواقع، ولا تصلح لزماننا، ولا تعالج ما نحن فيه، وكأن المفتي يُلقي محاضرة عامة، لا أحكامًا خاصة بوقائع محددة، فكلُّ ما ذكرتْ الفتوى أنه لا يلزم من الصلح مع اليهود، قد التزمه مَن عقدوا معاهدات الصلح مع اليهود. بل أبرمتْ معاهدات تطبيع العلاقات في مختلف المجالات، لا يمكن الفكاك منها. وهذا هو السؤال الذي يحتاج إلى إفتاء: ما حكم ما يجري في الواقع من تطبيع مع اليهود؟

وغير مطلوب من المفتي أن يتجاوز هذا السؤال، ويتغافل عن واقعنا، ليفترض واقعًا غير موجود، يوقع عليه فتواه.

إن الفتوى سطحية؛ لأنها تمتي لواقع غير موجود حاليًا، ولأنها من جانب آخر تُسويَ بين أشياء متباينة. وهذا خطأ في تقدير الأمور، فنصُّ الفتوى يجمع في حكم واحد بين اليهود والنصارى والمجوس! على حين السؤال موجَّه إلى المفتي عن اليهود فقط. وإطلاق المفتي الحكم على اليهود والنصارى والمجوس هنا، نوعٌ من التعميم غير المقبول، وربما المقصود التلبيس على المتلقين. وأكثر سقوطًا الاستدلالات التي أتى بها، وذلك لأن مشكلتنا الأساسية التي يجب أن تنصبَّ عليها الفتوى، هي ما قام به اليهود من اغتصاب أرض لنا، وسيطرتهم عليها، واعتدائهم على أهلها، وإجلاء عدد كبير منهم، واستمرار التحدي والحرب والدمار والتعويق لنا. . . . نحن نسأل عن احتلال اليهود لفلسطين، وتحديهم للأمة. فما دخل المجوس والنصارى بالفتوى هنا؟ إلا إذا أراد المفتي التعميَّة، أو إلقاء محاضرة قد تصلح في زمان ما، ولكنها لا تصلح لزماننا!

كيف نُسويَ في فتوى بين مَن يحتلُّ أرضًا لنا، ويواجهنا بالحرب والعداوة، ومن ليس بيننا وبينهَ مثل ذلك من النصارى والمجوس؟ وليبين لنا صاحبُ الفتوى: أين هم المجوس في عصرنا الحاضر؟!

إن الفتوى- كما هو معلوم- لابد أن تصدر خاصة بواقعة لها ملابساتها، وتتغير الفتوى بتغير الواقعة وملابساتها. وهذه الفتوى أبعد ما تكون عمًّا نحن فيه من استسلام غير مبرَر لليهود، برغم وقاحتهم وعداوتهم، واحتلالهم الأرض المقدسة، وسعيهم إلى اختراق جميع شتوننا من صحافة وإعلام، وتعليم وتربية، ودعوة واقتصاد، وأخلاق وأرض وسماء.

ومعاهدات السلام لم تحقق لنا مصلحة معتبرة للأمن، ولكنها حققت لليهود الأمن النفسي بوجْه ما، والتقبل العالمي، والتمدد الاقتصادي، واستيعاب المهاجرين اليهود، واستمرار مَصادرة الأرض، وقتْل المسلمين المستضعفين في فلسطين ولبنان، ومصادرة المساجد وهدمْها. وفي نفس الوقت، تفتح السفارات في بلادنا، وتجري مفاوضات متعددة الأطراف، لتشمل التعاون في كل النواحي. ومنها إنشاء بنك

الشرق الأوسط، يشترك فيه العرب واليهود، لتمويل مشروعات مشتركة بين الطرفين. وليس آخرها "الكويز"، التي تشترط فيها أمريكا لكي تقبل البضائع المصرية في أسواقها، أن تدخل فيها نسبة محددة من خامات إسرائيلية.

والسياح الإسرائيليون، وفتيات الموساد، يعيثون في بلادنا فسادًا، ويجلبون المخدرات والدولارات المزيفة، والدعارة والإيدز، ويتجسَّسون علينا، ونحن نضخ في الاقتصاد الإسرائيلي بأموال طائلة، عن طريق التجارة المتبادلة، والمشروعات المشتركة.

وتخترق إسرائيل جامعاتنا عن طريق الأبحاث المشتركة، التي يُجريها أكاديميون عربٌ ويهود. وتنظَّم رحلات لشبابنا لغسل مخه، وتغيير منظوره الفكري تجاه اليهود. فغاية التطبيع هي تقبل اليهود ومحبتهم، والتعايش معهم.

ويقوم كتاب وصحافيون بالدفاع عن إسرائيل في صحفنا، ومدحهم وتزوير التاريخ لأجلهم، ويرجع بعضهم من زيارة إسرائيل، فيكتب كتبًا عن التقدم والتحضر والرقي الإسرائيلي، والتخلف والانحطاط العربي!

وتقوم مؤسسات ثقافية إسرائيلية في بلادنا، من مراكز أبحاث وجمعيات ثقافية، لاختراق عقولنا، وتغيير فكرنا، وتوجيه أجيالنا.

ويتزوج مسلمون يهوديات إسرائيليات، فيُسبِّحون بحمد اليهود، ويَصيرون مدافعين عنهم، وخصوصًا من يَحتلون مناصب مؤثرة في صناعة القرار.

ويشتري الإسرائيليون الأراضي في بلادنا، ويمتلكون الشركات والبنوك، ويفتتحون دوْر اللهو والعبث والمجون، ويسيطرون على المجالات الحيوية، والتكنولوجيا الدقيقة، ووسائل التأثير في الجماهير.

وتتغير مناهج التعليم، فتُحذف الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، وأحداث السيرة التي تتصل باليهود؟ ويُغفل ذكْر الجهاد المقدس أو التحرير، ويحظر في وسائل الإعلام الإشارة إلى العدو الإسرائيلي. فإذا اضطررْنا- كما في احتفالات أكتوبر السنوية- إلى الاقتراب من هذه المنطقة فلنقل: "العدو" فقط. وهذا سيُنشئ أجيالا، لا تدرك أبعاد العداء اليهودي وتاريخه، ولا تسعى إلى الجهاد لتحرير حقٍّ مغتصَب.

إن إسرائيل أخذت بالسلام الأمنَ والأرضَ، واستمرارَ التفوق، واختراق مستقبلنا. ولم نأخذ نحن شيئًا. فهل يجوز شرعًا أن يتنازل المسلمون عن الأرض والكرامة، بلا ثمن؟!

لقد بذلت إسرائيل جهودًا محمومة بعد اتفاقيات كامب ديفيد لإقامة علاقات ثقافية مع مصر والوطن العربي جميعه، وعيونهم على الكتاب، والمعرض الفني، والفيلم السينمائي، والزيارات المتبادلة، والمؤتمرات المشتركة، وبحوث الجامعات.

وقد دعا الرئيس الإسرائيلي السابق "إسحق نافون" في لقاء مع نظيره المصري، في حيفا في وقت مبكّر، عقب توقيع معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية إلى التبادل الثقافي قائلا: "إن شعبينا أعربا عن رغبتهما الأكيدة في السلام بمظاهر عدة. إن هذه الرغبة ليست وقفًا على الوزراء والعسكريين... إننا نرى أن تبادل الثقافة والمعرفة لا يقل أهمية عن الترتيبات العسكرية والسياسية. ومن المرغوب فيه أن نمهِّد لذلك.. لقد عشنا مدة طويلة، يرافقنا الشعور المبتور المرسوم عنا في وسائل إعلامكم، الذي لم يكن له أساسٌ من الواقع"(1)!!

ومن هنا بدأت إسرائيل ومن تابعها العمل على تغيير أحد المكونات الثقافية السياسية للعقل المصري العربي، ويتمثل ذلك في محاولة تغيير المنظور الفكري تجاه إسرائيل لدى المصريين عمومًا.. وقد لاقت في ذلك مساعدات رسمية داخل البلاد، وكان ذلك هدفًا سعت إليه بجد، حيث ساد تعبير: أن ما بيننا وبين إسرائيل ما هو إلا "حاجز نفسي"، وأن المشكلة مجرد "قيود نفسية" يجب أن تزول!!

والهدف من التبادل الثقافي المقترح بطبيعة الحال- كما يبين حازم هاشم في كتابه "المؤامرة الإسرائيلية على العقل المصري"- هو امتصاص أفكار العداء الصريح لإسرائيل من العقل المصري، وتخفيف مشاعر البغض لها من الوجدان المصري، بحيث تُقبل إسرائيل في نهاية الأمر حقيقة واقعة في العقلية العربية إن لم تتحول إلى صديق! وقد طالب "نافون" في خطابه المذكور من المصريين ما يحقق هذا مثل: استبعاد الدين من الفكر العربي، والإعلان عن قيام قيادة مشتركة للمفكرين والكتاب والعلماء في الجانبين الإسرائيلي والمصري، كما أنه يعد مساسًا بالسلام الإسرائيلي المصري ألا يحدث تغيير!!

---

(1) www.hedayah.net.

ومن المؤسف، أن نجد صدى ذلك عند بعض المثقفين المصريين المسئولين، مثل الدكتور: مرسي سعد الدين- الرئيس السابق للهيئة العامة للاستعلامات المصرية، إذ يقول: "لقد بدأنا مرحلة جديدة بلا عقد أو حساسيات، مرحلة يجيزها التفكير العلمي غير المتحيز، تفكير غير منقاد، ولا يعيش على أوهام وتخيلات موروثة [1]، وأرجو أن يستمر هذا الخط الفكري حتى نتخلص إلى الأبد من القيود النفسية التي جعلتنا مدة طويلة نعيش ظلامًا حجب عنا الرؤية الصحيحة" [2].

وتبلور هذا التبادل الثقافي في ملاحق اتفاقية السلام التي وقعت في مارس **1979**. ففي الملحق رقم **(3)** من بروتوكول العلاقات بين الطرفين، نصت المادة الثالثة على التالي:

أولا: يتفق الطرفان على إقامة علاقات ثقافية عادية بعد إتمام الانسحاب المرحلي.

ثانيا: يتفق الطرفان على أن التبادل الثقافي في كافة الميادين أمر مرغوب فيه، على أن يدخلا في مفاوضات في أقرب وقت ممكن، وفي موعد لا يتجاوز ستة أشهر بعد إتمام الانسحاب المرحلي؛ بغية عقد اتفاق ثقافي..

ثم توصل الطرفان في **8** مايو **1980**م إلى توقيع اتفاق ثقافي نص على ما يلي:

"رغبة من حكومة مصر العربية، وحكومة دولة إسرائيل في تطبيع وتقوية العلاقات بين البلدين، وانسجامًا مع معاهدة السلام التي وقعت في واشنطن في السادس والعشرين من مارس **1979**م، وتطبيقًا للمادة **3** من الملحق الثالث، ومشاركة في الجهود التي تهدف إلى دعم السلام العادل والدائم في المنطقة، ورغبة في إقامة علاقات ثقافية بين البلدين، وتدعيم التعاون في المجالات الثقافية والعلمية- اتفق الطرفان على التالي:

المادة (1): يتعهد كلا الطرفين بتشجيع التعاون في الميادين الثقافية والفنية والعلمية، بما يتفق مع قوانين ولوائح كل دولة.

---

(1) هكذا تصير العقيدة المستمدة من القرآن والسنة أوهاماً وتخيلات موروثة وحجبا مظلمة عند هؤلاء. وهذا بعض بركات التطبيع الثقافي مع العدو الإسرائيلي!

(2) المؤامرة الإسرائيلية علي العقل المصري-وثائق وأسرار: دار المستقبل العربي، القاهرة، **1986**م، ص **29**.

المادة (2): يتعهد كلا الطرفين بتشجيع الاتصالات، وتبادل زيارات الخبراء في الميادين الثقافية والفنية والعلمية والطبية، طبقًا للشروط التي تم الاتفاق عليها، وبما يتفق مع القوانين واللوائح المعمول بها في كل دولة.

المادة (3): يتعهد كلا الطرفين بتشجيع التفاهم البناء لحضارة وثقافة البلد الآخر، بما يتفق مع القوانين واللوائح المعمول بها في كل دولة، وطبقًا للشروط التي تم الاتفاق عليها، وذلك من خلال الوسائل التالية:

1-تبادل المطبوعات الثقافية والعلمية والتعليمية.

2-تبادل الإنتاج الفني وما له علاقة بالآثار.

3-تبادل البرامج الإذاعية والتلفزيونية والتسجيلات والأشرطة، بالإضافة إلى الأفلام العلمية والثقافية.

المادة (4): يتعهد كل طرف بتسهيل زيارة العلماء والباحثين والدارسين من أي بلد إلى المتاحف والمكتبات، بالإضافة إلى المعاهد التعليمية والعلمية والثقافية والتقنية الموجودة في البلد الآخر.

المادة (5): وافق الطرفان على التوصل إلى بروتوكول خاص يتناول المتطلبات الضرورة لتبادل المعلومات والشهادات ومعادلتها بالدرجات الأكاديمية التي تمنحها المؤسسات التعليمية في كلا البلدين.

المادة (6): يتعهد الطرفان بتشجيع وتهيئة السبل لأنشطة الرياضة والشباب بين مؤسسات الرياضة والشباب في كلا البلدين.

المادة (7): وبغرض تطبيق هذه الاتفاقية يقوم الطرفان بتعيين ممثلين يقومون بتعيين البرامج التنفيذية الزمنية، وتتم الاجتماعات بصورة تبادلية في كل بلد.

* * *

ويبين لنا القرآن الكريم شروط الهدنة، ومن نجري معهم المعاهدات، يقول تعالى: **﴿ إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾** [التوبة: 4].

فلماذا تغفل الفتوى المذكورة هذه الآية الكريمة- كما أغفلت الواقع الذي وصفنا؟ ففي الآية قبلها يأمر الله تعالى برد عهود جميع المشركين، وإعطائهم مدة أربعة أشهر لإنهاء هذه المعاهدات تمامًا، ثم يستثنى الله ا في هذه الآية من كان وفيًا بالعهد مع المسلمين، فلم يخل بشروطه، أن يوفي المسلمون معهم بما تعاهدوا عليه. وتذكر الآية شرطين لاستمرار هذه المعاهدات هما:

- ألا ينقص المشركون المسلمين شيئًا من حقوقهم.
- ألا يظاهر المشركون الكافرين على المسلمين.

ويظل هذان الشرطان قائمين في كل معاهدة بين المسلمين والمشركين- من أهل الكتاب وغيرهم.

واليهود اليوم لو كان بيننا وبينهم عهد لوجب علينا رده إليهم، وإعلان البراءة منه، أو أن نبادرهم بالقتال؛ لأنهم طبقًا للشرطين السابقين نقضوا العهد، وخفروا الذمة، فقد أنقصونا حقوقنا بالاستيلاء على أراضي المسلمين في فلسطين وسوريا ولبنان، ولم يردوا منها شيئًا، وظاهروا علينا النصارى، بأن كانوا رأس جسر لهم لاختراقنا وإضعافنا وتهديدنا وإذلالنا ونهبنا المستمر. بل هم يرتكبون كل يوم أعمالا هي بنفسها مثيرات حروب، وأسباب وجيهة ومعتبرة لإعلان الحرب عليهم.

ثم إننا نرى أن الآية الكريمة المذكورة يُستنبط منها أيضًا: أننا لا يصح أن نبرم عهدًا بداية مع من أنقصونا شيئًا أو ظاهروا علينا أحدًا- كما لا يصح أن نستمر على عهدهم، فالعهد الذي أمر الله سبحانه بقطعه بشروطه أولى بنا ألا نبرمه بداية، بمعنى أنه إذا كان بيننا وبين عدونا معاهدة، فأنقصونا من حقوقنا، أو أعانوا علينا عدوًا، وجب علينا إنهاء هذه المعاهدة، فإذا لم يكن بيننا وبينهم معاهدة، وكانوا معتدين على حقوقنا، ومظاهرين لعدونا، وجب علينا ألا نبرم معهم عهدًا أصلا.

ويبين ربنا سبحانه في آيات أخرى من كتابه الكريم مَن يجوز لنا سلامهم، ومن لا يجوز بقوله: ﴿ **فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً (٩٠) سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ**

وأُوْلائِكُمْ جعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴾ [النساء: 90-91]

وهنا فريقان: الأول مسالم لا يقاتلنا، ولا يعين علينا، وله منا السلام، والآخر مضطرب الموقف، تارة إلينا، وتارة إلى عدونا. فإن لم يعتزلونا، ويكفوا أذاهم عنا، ويعلنونا بالسلام- كان لهم منا الحرب. وهذه المظاهر الثلاثة هي التي توضح مَن يجوز لنا سلامهم: اعتزالنا- وإلقاء السلام لنا- وكف اليد عنا، وهي مظاهر الانقياد والاستسلام للصلح.

ويوضح سبحانه السبب الداعي إلى القتال بقوله: ﴿ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلاَّ تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلاَّ نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ [البقرة: 246]. واليهود أخرجوا الفلسطينيين من ديارهم وأموالهم وشردوا الملايين منهم في الآفاق، وهذا سبب كتب الله وفرض لأجله الجهاد- كما في الآية.

إن ما يدعونه سلامًا مع اليهود ليس في الحقيقة إلا استسلامًا للشروط اليهودية، والتطبيع ما هو إلا موالاة لهم، والله سبحانه ينهانا عن مثل هذا التطبيع بقوله: ﴿ لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۝٨ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾

[الممتحنة: 8-9].

والآيات تحدد في وضوح ثلاثة أسباب تمنع إقامة علاقات مع أعدائنا وهي: القتال في الدين- الإخراج من الديار- المظاهرة علينا. وتوضح أن إقامة علاقات عادية مع من يقاتلنا في الدين، أو يخرجنا من ديارنا، أو يساعد على ذلك- إنما هي موالاة على الباطل، ومن هنا يعد السلام الحالي موالاة لليهود، لأنهم محاربون لنا في الدين، ومخرجون لنا من ديارنا، ومظاهرون على إخراجنا. والله ينهى عن هذه الموالاة، وإن لم تكن الموالاة في أعمالنا التي ذكرنا، فكيف تكون الموالاة إذن؟!

فاليهود هم أعداء الله ورسوله، المحاربون لدينه وشرعه، والتطبيع المصاحب للسلام مع اليهود مساوٍ للموالاة التي في القرآن، بل التطبيع هو المصطلح الحديث

الذي يعبر عن الموالاة في القرآن الكريم، وهي التي حذرنا منها الله سبحانه، وعدَّ من يوالي الكافرين بأنه منهم، يقول سبحانه: ﴿لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [المجادلة: 22].

وكل من والى اليهود إنما هو محارب لله ورسوله، وحقيقة حاله أنه يتقرب إلى أعداء الله ويصادقهم ويوادهم، وفي الوقت نفسه يحارب أولياء الله ويبغضهم، فهو من الأعداء الذين يجب الحذر منهم. وليمت من كان كذلك إن شاء يهوديًا أو نصرانيًا، ما دام قد قبل التطبيع، والارتماء براحة في أحضان اليهود، ومدحهم وإعانتهم، والذب عنهم والاستعانة بهم، واتخاذهم بطانة ومستشارين، ومشاركتهم أعيادهم وتهنئتهم بها، وحضور مراسمها.

ومن الثمرات المرة لهذا التطبيع ما رأينا من صدور تهنئة عربية رسمية للدولة الصهيونية بمناسبة ما دعي "عيد استقلالها" فأي استقلال؟! وأي عيد؟! والفضيحة هي مشاركة وفد مصري رسمي في هذا الاحتفال!

لقد اتفق فقهاء الإسلام على أنه لا يجوز لمسلم أن يبيع أرضًا ليهودي ولا نصراني ليقيم عليها معبدًا أو كنيسًا في دار الإسلام، وإن أعطي على ذلك ملء الأرض ذهبًا: فلا يصح لمسلم أن يبيع شيئًا من عز الإسلام لأعداء النبي ﷺ.

كما اتفق الفقهاء على أنه لا يجوز استحداث كنيس أو معبد في شيء من بلاد المسلمين، وقد أفتى الإمام أبو الحسن الأشعري بأن بناء المسلم معبدًا لدين آخر كفر وردة، لأن هذا يشير إلى رغبة في الكفر ظاهرة. فكيف بمن يبيع بيت المقدس، والأرض المقدسة، والسجد الأقصى؟!

وبعد السلام من سيكون أول شيخ معمم يلتقي بحاخام إسرائيلي لتهنئته بعيد الغفران، وزيارته في معبده بمناسبة إقامة الصلوات من أجل شعب إسرائيل؟ هذا المعبد الذي يمكن أن يكون أقيم على أنقاض مسجد عتيق!

(1) المغني 10/ 599.

لقد أعلن بابا الأقباط في مصر من منطلق وطني وديني : أن الأقباط في مصر لن يزوروا القدس إلا مع مواطنيهم العرب والمسلمين بعد تحريرها . وأصدر البابا قراراً بفرض عقوبة الحرمان الكنسي على كل قبطي يزور بيت المقدس للحج المسيحي قبل تحريره . وفي عام **1977** حاولت إسرائيل استغلال ورقة " دير السلطان " - وهو دير قبطي تحتله إسرائيل - في الضغط على الأقباط المصريين لاستغلالهم في التطبيع الصهيوني مع مصر ، والترويج للقيام بالحج المسيحي إلى بيت المقدس ، إلا أن البابا شنودة الثالث رفض السماح للأقباط بزيارة القدس قبل تحريرها ، وهذه الفتوى دينية ملزمة للأقباط .

فهل نعطي نحن الفتوى الدينية غير ناظرين للواقع ، وندَّعي أنها لا تعني موالاة ، على حين يستغلها السياسيون وغيرهم لإظهار كل موالاة ، بل تصير الموالاة بنوداً سرية وظاهرة في معاهدات " سلمية " ، تفرض شروطاً لا فكاك منها ، سواء في العلاقات الدبلوماسية ، أو السياسية ، أو الاقتصادية ، أو الثقافية ، أو الأمنية؟! وندعي بعد ذلك أنها هدنة مؤقتة ، على حين يصرح السياسيون بأن الحروب انتهت والسلام أبدي! ويجري تثبيت دعائم مملكة الأعداء ونفوذهم ، ويجدون لهم في كل يوم نصيراً ، مشغولا بقمعنا أو محاولة ترويضنا؟!

والغريب أن نبتَ في بلادنا نابتة تهرول إلى اللحاق بقطار التطبيع ، حتى قبل أن تتنازل إسرائيل عن شيء مطلقًا ، وكأنه لا يكفيهم الجهل بالشرع ، ليجمعوا إليه الجهل بالسياسة . وتدعي هذه النابتة أن تلك الهرولة هي روح المرحلة ، ويستندون إلى الواقعية السياسية . وما هي إلا تفريط في حقوق لم يأذن الله بالتفريط فيها ، وينشرون جواً من الانهزامية والخوف . والله سبحانه وتعالى يكشف خبيئة هؤلاء ، ويعري ضمائرهم ، ويحكم على فعلهم ، فهم أهل نفاق يسارعون في موالاة اليهود؛ وحجتهم أن اليهود أقوياء ونحن ضعفاء؛ فيخافون أن تصيبهم دائرة؛ لذلك يفضلون الانحياز إلى الأقوى في تصورهم .

ويرد الله عليهم بأن المرجو هو أن يأتي الله بفتح أو معجزة ينصر بها الإيمان ، ويخذل الكفر . وعندئذ يصبح المنافقون على ما أسرّتْ قلوبهم نادمين ، ويتمنون أن لم يسارعوا في موالاة أعداء الله ، لأن هذه الموالاة سببت لهم غضبه .

وهذه الموالاة هي ردة، وسوف يستبدلهم الله بأهل إيمان، لا نفاق فيهم، أعزة على الكافرين، رحماء بالمؤمنين، يحيون الجهاد في سبيله، ولا يخافون أعداءه. وهذه المعاني جميعها جلية في قول الله تعالى في سورة المائدة: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ ﴿٥٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ [المائدة: 51-56].

ويحذرنا الله تعالى أن ننخدع بالعدو فنلين له ونأمن غدره برغم ما يبدو واضحًا في لسانه من بغض لنا، ورغبة في صدره في القضاء علينا، فيقول عز من قائل: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَا أَنتُمْ أُوْلاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [آل عمران: 118-119].

وينهانا سبحانه أن نُسرَ إليهم بالمودة، بعد أن أخرجوا المسلمين من ديارهم، وكفروا بالله ورسوله. ويخبر أنهم إن تمكنوا من المسلمين، أظهروا العداوة المخفية في صدورهم، ونالوهم بالأذى، فيقول:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ

منكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ① إن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ [الممتحنة: 1-2]

وهذه الموالاة، وذلك التطبيع فتنة عريضة، وفساد كبير- كما عرضنا لجانب من واقعه. والله سبحانه يعلمنا لمن تكون ولايتنا فيقول: [وَالَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ] (الأنفال: 73)، فكما أن الكفار بعضهم أولياء بعض، فكذلك المؤمنون يجب أن يكونوا، وإلا كانت فتنة في الأرض وفساداً كبيراً. ويقول الإمام ابن كثير في تفسير هذه الآية: "تجانبوا المشركين، وتوالوا المؤمنين، وإلا وقعت فتنة في الناس. وهو التباس الأمر، واختلاط المؤمنين بالكافرين، فيقع بين الناس فساد منتشر عريض طويل" [1].

* * *

(1) تفسير ابن كثير 2/ 435.

9- غـزة أريـحا أولا وآخـرا:
إعلان (سقوط) المبادئ

نعلم جـميعًـا أن الشـيخ ابن باز- رحمه الله- كـان عـدوًا تقليـديًا للعلمانيـة والعلمانيين. وقد مرّت بنا إحدى فتاواه، التي تدعو إلى اعتبار القضية الفلسطينية إسلامية! وأن يكون تحرير فلسطين بالجهاد الإسلامي، وحكمها بالإسلام، لا بالشيوعية، ولا بالعلمانية. وهذا يتناقض مع ما في الفتاوى المنشورة بجريدة "**المسلمون**"، حيث أتى فيها:

"ننصح الفلسطينيين جميعًا بأن يتفقوا على الصلح، ويتعاونوا على البر والتقوى؛ حقنًا للدماء؛ وجمعًا للكلمة على الحقّ؛ وإرغامًا للأعداء الذين يدعون إلى الفرقة والاختلاف".

وليس من المعقول أن تصدر مثل هذه الدعوة من ابن باز؛ لأن الراحل ياسر عرفات- رأس السلطة الفلسطينية- هو علماني النهج كما هو معلوم، وإذا نظرنا إلى السؤال الذي جاءت هذه العبارة ردًا عليه، لفهمنا بوضوح أنها دعوة إلى ترك المقاومة والجهاد، وأنها موجّهة خصوصًا لمنظمة حماس، ومنظمة الجهاد الإسلامي، وأنها دعوة لمتابعة النهج العلماني في حل القضية، وفي تسيير شئون الفلسطينيين.

ومن شأن هذا، أنّ كل ثورة فلسطينية أو مقاومة للاحتلال، ستُعد خروجًا على القانون، بدلا من أن تعَدّ جهادًا، وكلّ مقاومة للظلم، ستصير عملا باطلا، أولى بأصحابه أن يستسلموا لسيادة قانونية علمانية، ترى في الاحتلال عملا مقبولا.

ومعنى هذه الفتوى، أن كل ثورة فلسطينية، قام بها مستضعفون مسلمون، ضد الظلم الإسرائيلي كانت باطلا، وكان الأولى لأصحابها أن يستسلموا ما داموا ضعفاء، وأن ينتظروا القوة التي قد تأتي لتحريرهم.

ومن المنتظر أن يطلق أصحاب مثل هذه الفتوى على كل عمل جهادي في المستقبل ضد اليهود: عملا إرهابيًا وتخريبيًا، ما دام قد خرَج على إطار المعاهدات السلمية، التي أقرت بالسيادة الإسرائيلية على بلاد المسلمين. وكم من باطل يمكن أن يصير حقًا! وكم من حقٍّ يمكن أن يصير باطلا! ولكن العجب أن يكون ذلك بفتوى دينية!

ولنضرب مثلا، ففي يوم (10/ 12/ 1987م)، وصلت مجموعة فدائية من أربعة فلسطينيين إلى أحد المعسكرات الإسرائيلية، بواسطة طائرة شراعية حملتهم من جنوب لبنان، وتمكنوا من قتل ستة جنود إسرائيليين، وجرح سبعة آخرين، واستشهد منهم اثنان، لتصحو إسرائيل والعالم على هول المفاجأة الجهادية. وقد هللت صحفنا ووسائل إعلامنا يومها لهذا العمل، وصدرت فتاوى كبار العلماء بتأييده. ولم يقل أحدٌ: إنه تخريب أو إرهاب، اللهم إلا العدو الإسرائيلي. وقال فقهاؤنا: إن الفدائي هو مقاتل قانوني، طبقًا لاتفاقيات جنيف الصادرة سنة 1949م، ولائحة لاهاي سنة 1907م وملحقاتها. وكلها تعطي وصف المحاربين لأفراد القوات المنظمة ضد سلطات الاحتلال داخل الإقليم أو خارجه، وكذلك لأفراد الشعوب التي تهب للدفاع عن أراضيها ضد الغزو والاحتلال، ويومها قال د. سيد طنطاوي- مفتي مصر وقتها، وشيخ الأزهر حاليًا:

"إننا ننصح المسلمين بصفة عامة، وإخواننا الفلسطينيين بصفة خاصة: أن يعدوا أنفسهم للجهاد في سبيل الله، باسم الدفاع عن الدين والوطن، دفاعًا عن المقدسات والوطن والأعراض، مصداقًا وامتثالا لقول الله تعالى: ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: 190] [1].

فماذا تغيَّر حتى يصير مثل هذا العمل الجهادي تخريبًا وإرهابًا؟ وحتى يُبدي بعض المشايخ استعدادهم لزيارة إسرائيل، ومقابلة حاخامات إسرائيل؟

هل يتكلم هؤلاء بلسان اليهود؟

إن إسرائيل لا تزال تحتل فلسطين، والجولان، ومزارع شبعا في جنوب لبنان، ولا يزال ملايين الفلسطينيين مشردين في أقطار الأرض. ومن حق العرب أن تعود إليهم أراضيهم التي فتحوها، وحرَّروها من الاستعمار الروماني منذ قرون على يد عمر بن الخطاب، وحقُّ عودة اللاجئين الفلسطينيين إلى دورهم وأرضيهم تكفله معاهدات جنيف الدولية للاجئين.

ومع كل هذا، نجد الفتوى المذكورة "تنصح" الفلسطينيين بالاجتماع على اتفاقية السلام الفلسطينية الإسرائيلية المعروفة بغزة أريحا أولا. وهي اتفاقية ساقطة، أغفلت

(1) انظر جريدة الأخبار، 11/ 12/ 1987.

أساس القضية وهو الاحتلال، ولم تتعرض لمستقبل القدس، ولم تحل مشكلة اللاجئين، ولم تذكر حرفًا عن عملية الإحلال المستمر ليهود العالم بأرض فلسطين، وتنازلت عن حلم إقامة الدولة الفلسطينية المستقلة!!

إن المأساة لا تزال قائمة ومستمرة، والعدو متكبر متغطرس، لا يعطي ولو شيئًا قليلا. فليست "غزة أريحا أولا" في حقيقتها معاهدة بين دولتين، ولكن بين دولة الاغتصاب وفريق من الفلسطينيين، وهي تعني الاستسلام والخضوع لإسرائيل، لأنه لم يتحرر بمقتضاها شبر واحد من الأرض، فكل الأرض لا تزال وستظل طبقًا للمعاهدة داخل حدود الدولة الصهيونية، فلا انسحاب يجري، ولكن إعادة انتشار للقوات الإسرائيلية داخل غزة والضفة الغربية. وكل ما يحصل عليه الفلسطينيون هو الإشراف على الماء والكهرباء والمواصلات والتعليم والسياسة، وما أشبه من خدمات. على حين نجد القدس ممنوع الحديث عن تحريرها أو إعادة انتشار الجيش الإسرائيلي فيها، بل تجري عملية متسارعة لتهويدها، وفرض أمر واقع فيها.

إن هذه المعاهدة ليست عملية سلمية، ولكنها تكريس للاحتلال، وعملية لصالح أمن إسرائيل، تراهن على أن تجعل الفلسطيني ضد الفلسطيني، والعربي ضد العربي. ومع ذلك تظهر أمام العالم كدولة مُحبة للسلام، وتستجلب الشفقة على "ضعفها" وتطبِّع علاقاتها مع كل من كان ضدها.

ويؤكد الكاتب المفكر الفلسطيني "إدوارد سعيد" على هذا في كتابه "غزة أريحا- سلام أمريكي"، فيرى أن هذه الاتفاقية هي صكُّ استسلام فلسطيني، أعطت إسرائيل كل ما تطلبه، وفي المقابل لم ينلْ الفلسطينيون شيئًا، فبموجب الاتفاقية تبقى الأرض والمياه والسيادة والأمن في يد إسرائيل. والقضايا الأساسية أرْجئت إلى مرحلة تالية: قضايا القدس، والمستوطنات، واللاجئين. إن الاتفاقية ليسَت بين محتل وحركة تحرر، يُقرُّ المحتل فيها بانسحابه واستقلال الطرف الآخر، وإنما تدور حول "أرض متنازع عليها"، وإعادة انتشار القوات، وإلزام الطرف الضعيف- وهُمْ الفلسطينيون بالطبع- بحماية المستوطنات، وقمْع المعارضين، والتبعية الاقتصادية والسياسية الكاملة.

ويضيف إدوارد سعيد: إن ما تمَّ في **13** سبتمبر **1993**م، ليس مصالحة تاريخية،

أو اعترافًا متبادلا بين شعبين كان ينفي كل منهما وجود الآخر، ولكن موافقة من جانب الفلسطينيين على منح إسرائيل حق السيطرة على شئونهم، ولذلك فهذا- بالنسبة لإدوارد سعيد- يومٌ للحداد. وكلُّ فلسطيني تابع مشاهد الاحتفال الذي أقيم في البيت الأبيض، شعر بأن مئة عام من التضحيات والحرمان والكفاح البطولي قد ضاعت، فوجود هذه الاتفاقية ليس مجديًا للشعب الفلسطيني، وإن كان بالضروري مجديًا لمصالح إسرائيل، والولايات المتحدة وأوربا.

كل هذا برغم أن إدوارد سعيد يؤمن بالسلام، وهو علماني، وكان عضوًا في المجلس الوطني الفلسطيني قبل أن يستقيل عام **1991**م؛ احتجاجًا على شروط مؤتمر مدريد للسلام.

وربما لا يعلم كثيرون أصل فكرة الحكم الذاتي، فهي قديمة إذ قال "مناحم بيجن" يومًا: إن فكرة الحكم الذاتي ليست فكرته، ولا فكرة "موشي ديان"، وإنما صاحبها هو "جابوتنسكي". وذكرت صحيفة الأرض الإسرائيلية المستقلة أن بيجن قال لوزرائه: إن الحكم الذاتي للعرب وردَ في كتاب "الجبهة العسكرية اليهودية" الذي كتبه جابوتنسكي، وصدر في لندن سنة **1940**م، بعد وفاة مؤلفه.

والجدير بالذكر أن فلاديمير جابوتنسكي (**1880-1940**م) كان زعيمًا صهيونيًا بارزًا، وهو الذي أسس فيلق يهود فلسطين، الذي حارب مع الحلفاء خلال الحرب الأولى، وفي عام **1937**م أسَّس منظمة "أرجون" المتطرفة، التي تولى "بيجن" قيادتها بعد وفاته، وصارت فيما بعد جزءًا من جيش إسرائيل.

وكثيرون لا يفهمون أن سلطة الحكم الذاتي، لا تعني إلا سلطة حكم محلي تنفيذية هشة، تدير الخدمات، ولا تملك حق التشريع، أو سن القوانين، وليس لها استقلال قانوني، بل هي ضمن إطار الدولة اليهودية، وخاضعة للسيادة الإسرائيلية، ولا يسمح للإدارة الذاتية بإصدار نقد، أو إنشاء بنك مركزي، أو تحصيل ضرائب غير مباشرة، وليس لها أن تشرف على الصادرات أو الواردات، ولا على دورات النقود، ولا أن تمارس أعمال السيادة والسياسة الخارجية. ورئيس السلطة الفلسطينية نفسه يمكن أن تعتقله إسرائيل لو أرادت، فهو تحت رحمتها، وقد رأى العالم كله كيف حجزت ياسر عرفات في مقره برام الله. فأي سلطة هذه التي تكون تحت رحمة الاحتلال؟

والزوّار الرسميون للأراضي الفلسطينية، والحكومة الفلسطينية يجب أن يحصلوا على تصريح، أو تأشيرة دخول من الحكومة الإسرائيلية. والرئيس الفلسطيني نفسه لا يستطيع مغادرة البلاد دون الحصول على تأشيرة خروج، كمثل أي مواطن إسرائيلي!

وأكثر من ذلك، فإسرائيل لا تسمح بإقامة دولة فلسطينية حقيقية، وما يخططون له هو "كانتون"، يحمي حدودهم، ويصير منطقة آمنة على نمط المنطقة الآمنة التي كانت إسرائيل أنشأتها في جنوب لبنان، باستقطاب بعض العملاء الخارجين على الدين والوطن.

وترجع فكرة الحكم الذاتي إلى الوهم الإسرائيلي بالوعد بالأرض، فما دامت عقائدهم وكتبهم تحدد الأرض التي وعدهم الرب إياها، فلا حقّ لغيرهم فيها، والفلسطينيون ما هم إلا ضيوف مؤقتون أو غرباء. فإما أن يقيموا بهذه الصفة، أو يرحلوا. وليس من المقبول عند الإسرائيليين الذين يُزْعَم اعتدالهم إلا الحكم الإداري للسكان لا للأرض، في غزة وبعض الضفة الغربية. أما القدس، فمن غير المسموح الحديث بشأنها؛ لأنها عاصمة داود عليه السلام. وبالتالي هي عاصمة الدولة الحديثة؛ لأن هذه هي إرادة الرب الإسرائيلي!

لقد كان الفلسطينيون في الداخل والخارج يؤكدون أنهم لن يقبلوا، ولن يعترفوا أبدًا بصلح تعقده دولة عربية مع إسرائيل، وأنهم لن يقبلوا بأقل من استرداد بلادهم كاملة، مفضلين الفناء عن آخرهم، على أي حلٍّ وسط، يتنازلون بموجبه عن جزء من حقوقهم.

وكانت مراهنة منظمة التحرير بالسلام مع إسرائيل؛ رغبة في وقف ابتلاع المهجرين اليهود وعصابات الاحتلال لمزيد من الأرض المحتلة بعد عام **1967**م، فدخلت المنظمة عملية السلام لتوقف عملية الاستيطان المسارعة، والتهويد الجنوني للمناطق العربية، ولكن حتى هذا الهدف المتواضع لم يتحقق؛ إذ لا يزال الاستيطان والتهويد يجريان على قدم وساق، مناقضة للوعود اليهودية التي اتفق عليها في معاهدة غزة أريحا. وليس آخر عمليات المصادرة، محاولة نزع ملكية **54** هكتارًا من أراضي القدس؛ لإقامة وحدات سكنية للمهجَّرين اليهود، ومدّ طريق يقصد بها رسم خريطة الأراضي المحتلة.

وطبقًا لهذه المعاهدة، تحتفظ إسرائيل بمساحة 45٪ من مساحة غزة، و70 كم من مساحة أريحا. ومعنى ذلك، استعادة 5٪ فقط من مساحة فلسطين تحت الحكم الذاتي المحدود، وكل ما اتفق عليه في أوسلو لم يتحقق، وتجادل فيه إسرائيل، وتمتنع عن تنفيذ بنوده الهزيلة، وتعيد تفسيرها لمصلحتها، وتعطل إقامة مؤسسات فلسطينية وإدارات محلية تنظم حياة المواطنين، ولم تطلق سراح المعتقلين الفلسطينيين جميعهم، ولم تتوقف عن قتل الفلسطينيين وملاحقتهم.

لقد فشلت اتفاقية غزة أريحا أولا، وصارت أولا وآخرًا. فلا يُعقل أن يكون حل القضية الفلسطينية هو ما نراه من حكم ذاتي على السكان، وليس على الأرض، وما نراه من تشريد للشعب الفلسطيني في العالم. والملاحظ أن المشكلات الفلسطينية زادت بعد هذه الاتفاقية، وزادت حدة العنف والتوتر، والتقاتل وسفك الدماء. ونتيجة لفشلها، تشكلت جبهة من أبرز القيادات الفلسطينية من الوطنيين والإسلاميين لمعارضة العملية السلمية القائمة على غزة أريحا، وهذا ردُّ فعل لليأس من استجابة إسرائيل لأية لمحة من مطالب الفلسطينيين. وهذا اليأس يتعمق، ويزداد يوميًا مع التعنت الإسرائيلي المستمر.

وإذا رجعنا إلى الفتوى التي نحن بصدد مناقشتها، سنجد اضطرابًا، وخطأً في الاستدلال: فهي تجعل معاهدات السلام اليوم، مثل معاهدة النبي ﷺ مع أهل مكة، ومع يهود المدينة. وبينهما بون شاسع إذ كان اليهود- حين عاهدهم النبي ﷺ في المدينة- من أهل المدينة نفسها، بل كانوا أسبق من النبي ﷺ توطنًا فيها، وهو دَخلَ عليهم مهَاجرًا، فعاهدهم على اندفاع المشترك عن الوطن المشترك، وعدم الاعتداء؛ لأن لهم مواطنة أصلية، ولم يأتوا شذاذًا من الآفاق لاحتلال الأرض، وثلم العرض، وتدنيس المقدسات.

فلم يكن اليهود إذن محتلين لدار الإسلام، ولا لجزء منها حين عاهدهم النبي ﷺ، ولم يكونوا يُعلنون التحدي الظاهر والعداوة للإسلام والمسلمين، بل حين بدا منهم ذلك، عاقبهم النبي ﷺ بالحصار والقتال، والإجلاء والقتل. وهم اليوم يعلنونا بالعداوة والتحدي، فكيف نقبل صلحهم؟ وكيف يصح الاستدلال بمعاهدة النبي ﷺ لهم في المدينة- على معاهداتنا لهم اليوم، والأمران مختلفان، لا تماثل بينهما- كما تفهم أقل العقول إدراكًا؟!

أما معاهدة النبي ﷺ أهلَ مكة، فلم تكن مكة قبلها دار إسلام، بمعنى أنها لم تكن دولة إسلامية، أو جزءًا منها ثم احتلها القرشيون. فلم يكن للمسلمين عليها سيادة قانونية، وسلطة ظاهرة. بعكس فلسطين التي حكمها المسلمون قرونًا طويلة، وفيها للآن أهل إسلام تحت أسر اليهود، ويجب تخليصهم كما يجب تخليص الأرض المقدسة. فكَّ الله أسرها!

والنبي ﷺعاهد القرشيين في الحديبية عهْدًا مؤقتًا لعشر سنين فقط، والعهود التي تبرم مع اليهود اليوم- على ما يقول مبرموها، وعلى ما نعلم من مواقفهم- أبدية، فيها إقرار بسيادة قانونية يهودية على أرض إسلامية، تضم مقدسات المسلمين.

ولم تكن هدنة النبي ﷺ مع القرشيين تتضمن ما يتضمنه الصلح مع اليهود حاليًا من مظاهر الموالاة والتودد، كالزيارات الدبلوماسية التي تبدأ بالمصافحة والابتسام، والاستقبال الرسمي، واستعراض حرس الشرف، وعزف السلام الجمهوري، والاستضافة والهدايا والمدح، والسماح لهم بفتح السفارات التي هي مراكز للتجسس، وإرصاد لمن حارب الله ورسوله، وتخريب البلاد بأساليب خبيثة ماكرة، وفتح المراكز الثقافية، والاعتراض على المواد التعليمية والإعلامية التي تتضمن آيات قرآنية وأحاديث نبوية وموضوعات ضد اليهود، وطلب حذفها من الكتب الدراسية والمواد الإعلامية، وحتى من المصحف الشريف!

وما يليق هو أن نذكر قول الحق سبحانه: ﴿ **فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ** ﴾ [الأنفال: 57]. فاليهود لم يحفظوا عهدًا، ولا ذمة بينهم وبين المسلمين منذ عهد النبي ﷺ وحتى الآن، بل يهدد ساستهم بالحرب في وقاحة صريحة، ولا يمنعهم من ذلك معاهدات "سلام". وهم على ولاء ظاهر للغرب ضد المسلمين، ومظاهرة صريحة لهم علينا، فَنَيْلُنا منهم هو إرهاب لمنْ خلفهم من أعوان وموالين، يحفظ لنا هيبتنا، ويصون كرامتنا، ويُثبِّت أركان الإسلام في الأرض.

ويقول الحق سبحانه: ﴿ **وَإِن نَّكَثُوا أَيْمَانَهُم مِّنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ (١٢) أَلا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١٣) قَاتِلُوهُمْ**

يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ (١٤) وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١٥) أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِن دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [التوبة: 12-16].

وتنطبق هذه الآيات على واقعنا بعد معاهدة غزة أريحا، التي أبرَمها نفرٌ متجاوزين الشرع، وغير ملتفتين لحدوده. فاليهود لم يلتزموا اتفاقية "غزة أريحا" نفسها، ولا "واي ريفر" بعدها، ولا اتفاقية "شرم الشيخ"، ولا تفاهمات "تنت"، وتقرير ميتشل، ولا كامب ديفيد الثانية، ولا ما اتفقت عليه اللجنة الرباعية. . . وهلم جرًا. بل في كل يوم نقض للعهد، واستخفاف بدماء المسلمين وكرامتهم، ومحاصرة وتربص، وحرب اقتصادية بغلق الحدود مع الضفة والقطاع، وتجويع الفلسطينيين، وضرب المدن والقرى اللبنانية، ومحاصرة شواطئها، وهم بدءوا بالعدوان، والله يأمرنا بقتالهم لأنهم أئمة الكفر، وناكثو العهد، ومخرجو المؤمنين من ديارهم. وينهانا سبحانه أن نخافهم من دونه، فالله أحقُّ أن نخشاه إن كنا حقًا مؤمنين، وهو سبحانه تعهَّد بنصرتنا، ومحق أهل الباطل، ثم يعقب تعالى في لمحة لا تفوتنا: ألا نركن إلى أعدائه، ولا نتخلى عن الحق، حتى لا يصير المسلم إلى موالاة الباطل من دون الله ورسوله والمؤمنين، فيصير جزءًا منه، وإلا فإن شاء مات يهوديًا.

ولأن الفتوى التي نعارضها نُشرت في جريدة "**المسلمون**"، فمن الأمور ذات الدلالة أن نعيد هنا نص ما نشرته هذه الجريدة نفسها في عدد سابق بعيد, برقم 15[تحت عنوان: "مقدساتنا تئن وتصرخ!!" - لرئيس القضاء الشرعي بدولة الإمارات، الشيخ أحمد بن عبد العزيز المبارك، الذي قال هناك: "التفاوض تفريط، والحق لا يعود إلا بالسيف". وهذا نص كلامه:

"إنه من المؤلم أن نبلغ هذا العدد الضخم كمسلمين، ونعجز عن تخليص مقدساتنا من أيدي أعدائنا وأعداء الله. والحقيقة أن الفرقة ضعف، واسترداد المقدسات يعتمد على عودتنا لله، وتناسي خلافاتنا، وأن نثور كأمة واحدة لا ترضى أن يكتب عنها أنها عجزت- بملايينها من المسلمين- عن مواجهة أعدائها".

" وعلينا أن نتخلى عمَّا نعيش فيه من حالة استرخاء، من خلال ما تروجه لنا وسائل الإعلام من رقص وغناء، وأن نتذكر أننا في حالة لا تستدعي ذلك. وعلى علماء المسلمين أن يتوجهوا إلى قادة الأمة، وولاة أمورها، حاملين إليهم النصيحة والمشورة، ويطالبوهم بأن تكون كلمة الله هي العليا. وأن يجتمعوا تحت راية واحدة في مواجهة أعدائهم" .

" لقد هانت علينا المقدسات، رغم امتلاكنا لكل عناصر القوة، فنحن نغني ونرقص، وهي تئن، وهناك قلوب أماتها البعد عن الله، فوصلت إلى ما وصلت إليه، ووالله لن تعود كرامتنا وشرفنا إلا إذا توحدت كلمة المسلمين. وأعتقد أن التفاوض فيه تفريط، فكيف نفاوض عدونا، ومقدساتنا عنده، وشعبنا مبعد عن أرضه؟! والتفاوض- ونحن في هذه الحال- لن يعيد لنا حقًا، والسيف وحده هو الذي يُرجع هذا الحق، وهو الذي يُرجع الكرامة" .

وينبغي علينا أن نحمل السلاح، ونقاتل في سبيل الله؛ حتى نسترد ما اغتُصب من الأمَّة الإسلامية. وأنا أخشى أن يكون التفاوض- وحالنا على ما هو عليه- بداية لأن تداس كرامتنا. وأؤكد أن الحق لا يكون إلا بالسيف"[1] أهـ.

* * *

(1) السبت 28 شعبان 1405 هـ، الموافق 18/ 5/ 1985.

10- لا تتعبوا أنفسكم
ليس هناك حل
إنها إرادة الرب!

إسرائيل لا تريد سلامًا، ولا تعنيه. هذه حقيقة تتأكد باستمرار، فهي تسير في خطط السلام بمتطلباتها هي، وبرؤيتها الخاصة، ولتحقيق مكاسب المنتصر. وهي مضطرة لمسايرة "**العملية السلمية**"؛ كي لا تظهر أمام العالم بمظهر الرافض للسلام، وخصوصًا أوربا وأمريكا. وهي دول تمدها بالمساعدات الضخمة، ويوضح ذلك أحد خبراء السياسة الأمريكية، وهو "هتشيسون" الذي كان مراقبًا دوليًا في فلسطين في بداية الخمسينيات، وذلك في كتابه "الهدنة الدامية" يقول:

"والواقع أن الولايات المتحدة، ورعاياها اليهود ذوي الميول الصهيونية، لا يستطيعون مساعدة إسرائيل إلى الأبد، وسيأتي يوم يُعلقون فيه استمرار المساعدة على قيام السلام في الشرق الأوسط، وقد لا يتمشى هذا الموقف مع مصالح إسرائيل، ولكن الأخذ به يقضي على أمل إسرائيل في الحياة" [1].

فالسلام ضد كينونة إسرائيل، وطبيعتها الأوَّلية، ومصلحتها القومية. وقد أثر عن "رابين" قوله:

"الشعب هو الجيش، والأرض كلها جبهة".

وهذا تعبير عن حقيقة إسرائيل، حيث لا حدود واضحة بين المجتمع والجيش والدولة، فإسرائيل مجتمع حرب يغلب عليه الصبغة العسكرية، والسلام بالنسبة لها هو خطوة تكتيكية لتحقيق أهداف بعيدة، واستغلال للمناخ الدولي لاقتناص مكاسب على حساب العرب، في اتجاه زيادة إضعافهم، على طريق إقامة إسرائيل الكبرى.

وتطالب إسرائيل منظمة التحرير باستمرار إلغاء ما في ميثاقها من عقيدة إبادة إسرائيل، ولا يطالب أحدٌ- في المقابل- إسرائيل بإلغاء عقيدتها الصهيونية الرسمية، التي تقوم عليها دولتها، والتي تترسخ على أساسين خطرين هما: التهجير، والاستيطان.

---

(1) الهدنة الدامية، د. ن، ص 133.

وواقع سياسة إسرائيل يدل بوضوح على اتجاهها إلى حرب تشن على العرب في وقت ملائم لن يكون بعيداً، إذ سعت للحصول على كميات كبيرة من الأسلحة المتطورة، مثل طائرات إف 15، وصواريخ باتريوت المضادة للصواريخ، وأطلقت قمرها الصناعي الجديد للتجسس، وأدارت عجلة استقدام واستيعاب المهجَّرين اليهود من العالم على أقصى سرعة. وهذا يستدعي مزيداً من الأرض، والعمق الاستراتيجي، والمياه. . . . وقد نشرت صحيفة "الأرض" الصهيونية أن على إسرائيل أن تعد للحرب على المستوى المتوسط والبعيد، وقد تعهد رئيس الوزراء الإسرائيلي نفسه بالحرب منذ وقت ليس ببعيد.

وإسرائيل تحتاج في الوقت الراهن إلى سلام مرحلي؛ حتى تتمكن من استيعاب المهجَّرين اليهود، من الاتحاد السوفيتي وغيره، وذلك لتعويض هشاشة الوضع الديمغرافي الإسرائيلي. فالضرورة الإستراتيجية، تحتم على الإسرائيليين زيادة عددهم بقدر الإمكان، والمخصصات المرصودة لجلب المهجرين اليهود زادت بنسبة **200**٪، فهي الآن تتخطى ما يرصد للنفقات العسكرية بما يعادل مليارات الدولارات سنويًا، وما يعادل **18**٪ من إجمالي نفقات الموازنة العامة. ومعلوم أن اقتصاد الحرب، لا يمكن أن يحتمل هذه النفقات لتسكين المهجرين، وتشغيلهم وإعاشتهم.

فالسلام إذن مرحلة، توفر الهدوء المنشود لاستيعاب المهجرين قسراً بعد استقدامهم من أنحاء العالم، وخصوصًا من وراء الستار الحديدي المنهار، والإسرائيليون يعلمون أن التوتر سيؤدي إلى نتائج سلبية على الهجرة، وسينبه المهجرين إلى المخاطر الجسيمة التي يلقون بأنفسهم فيها، وربما يحاولون الخروج من شبكة الصهيونية التي تهجِّرهم كرْهًا إلى إسرائيل، ومعلوم أن التوتر أدى سابقًا إلى انحسار هجرة اليهود إلى فلسطين، ففي الثلاثينيات من هذا القرن مثلا، قامت ثورة عز الدين القسَّام (**1936-1939**م)، فأدت إلى انحسار معدلات الهجرة اليهودية إلى أقل مستوياتها في ذلك الوقت.

إن المشروع الصهيوني حاجته الاستراتيجية الآن إلى البشر أكثر من أي شيء آخر، لذلك وقف اليهود كل إمكانات الدولة وما تحصل عليه من منح وقروض، لاستقدام وتوطين ملايين اليهود من العالم؛ حتى تكون نسبتهم مرتفعة في

الفلسطينيين، وإذا كانت نسبة السكان اليهود في فلسطين بلغت 7٪ من مجموع أهلها عند صدور وعد بلفور عام 1917م، فإن هذه النسبة تصاعدت حتى صارت في أوائل السبعينات 64٪ والآن تزيد على 70٪ في طريقها المتصاعد [1] .

ومزيد من السكان يحتاج إلى مزيد من الأرض، لذا تصادر إسرائيل الأراضي العربية من أصحابها، وتتخذ من عملية السلام ستارًا لتمرير مخططاتها لتهويد المدن العربية وعلى رأسها القدس، وتفريغها من أهلها، واستمرار احتواء الأرض وسكانها. وتقام على الأرض المصادرة طرق ومشروعات ومساكن للمستوطنين الجدد، وقد بنيت 250 ألف وحدة سكنية مؤخرًا في القدس الشرقية، وأعد مشروعٌ لمصادرة أكثر من 54 هكتارًا من أرض القدس، ثم علق إلى حين، بسبب انفجار الغضب العربي. وهذا التعليق لن يدوم؛ إذ تنتهز إسرائيل الفرص لنزع الأراضي، حتى أنها صادرت للآن ثلث أراضي القدس الشرقية، وأقامت هناك أكثر من ثلاثين ألف شقة للمستوطنين المستقدمين من الشرق، فلا احترام لمبادئ، ولا لقرارات دولية، ولا لإعلان المبادئ في "أوسلو" .

وقد كان من الممكن أن نصدق أن إسرائيل تريد سلامًا لو أنها خضعت للقرارات الدولية الصادرة بحق القضية الفلسطينية منذ عقود، فنراها أخْلتْ من الاحتلال غزة والضفة الغربية، والقدس الشرقية والجولان ومزارع شبعا! وعاد المشردون، وأقيمت الدولة الفلسطينية. ولكن إسرائيل تعد هذا الحد الأدنى من المطالب العربية- من المحاذير المستحيل أن تسمح بها.

ولو رأينا إسرائيل تنسحب من الجولان، وتوقف عدوانها بالطائرات، وقصف المدافع والأسلحة الرشاشة والعمليات الخاصة على الفلسطينيين. لو فعلت لربَّما ظننا أنها على رغبة فعلا في السلام. أما من يحارب كل يوم إخواننا، ثم يتشدق بالسلم، فما هو من أهل السلام، ولكن من أهل العدَوان.

وشعوبنا لديها الحسُّ السياسي الصحيح، وهي ترفض كل تصالح أو تطبيع مع العدو، وتعرف جيدًا مَن العدو، ومَن الصديق. فكل بيت من بيوتنا موتور بثأر مع

(1) موقع السلطة الوطنية الفلسطينية : الهيئة العامة للاستعلامات - النكبة (nakba.sis.gov) .

الإسرائيليين، وضميرنا يأبى أن نبيع دم الشهداء، الذين هم إخوة لنا سبقونا على درب الشهادة، أو آباء، أو أبناء. فمصر وحدها قدَّمتْ في حروبها مع إسرائيل أكثر من مئة ألف شهيد، ومثلهم من الجرحى.

إن عواطف الشعوب لا تكذب؛ لأنها محمَّلة بخبرة السنين، فكم قدَّمت من دماء وأشلاء، وتحمَّلت من قهر وآلام من الأعداء، ظاهرين ومستترين! والذين يصفون الشعوب بالسذاجة والسطحية، والجهل واتباع العاطفة- هم بعيدون عن الحقيقة، ولسوف يكتشفون يومًا أنهم أخطئوا التقدير؛ لأن الشعوب قد تصبر، ولكنها أبدًا لا تغفر.

وإن كراهية اليهود جزء من عقيدتنا، فهم نقضوا عهدهم مع الله ومع أنبيائهم، ومع المسلمين، ومع العالمين. فلا عهد لهم، ولا ذمة. نقضوا عهد الرسول ﷺ، وحاولوا قتله كما قتلوا غيره من الأنبياء. بل إن الرسول الكريم مات متأثرًا بالسم الذي طعمه في الشاة المسمومة، التي أهدتها له يهودية، وقد روى البخاري تعليقًا عن عائشة- رضي الله عنها- قالت: "كان النبي ﷺ يقول في مرضه الذي مات فيه: يا عائشة ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلتُ بخيبر، فهذا أوانُ وجدتُ انقطاعَ أَبْهُرِي من ذلك السم"[1].

ويبين القرآن كيدهم وكفرهم، وعنادهم وقسوة قلوبهم، وتحريفهم كلام الله، ومنافقة ومخادعة المؤمنين، فهم يكتبون الكتاب بأيديهم، ويشترون به ثمنًا قليلًا، ويقولون: هو من عند الله. وما هو من عند الله، ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون، يؤمنون ببعض الكتاب، ويكفرون ببعض، ويستكبرون على الحق، ويغترون بالله، ويتبعون الهوى، وقالوا: سمعنا وعصينا، وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم، يحسدون المؤمنين على إيمانهم، ويداهنون الكافرين على كفرهم.

وقد غضب الله عليهم ولعنهم، وجعل منهم القردة والخنازير وعَبَد الطاغوت،

(1) الأبهر: عرق إذا انقطع لم تبق معه حياة، وكانت امرأة سلام بن مشكم أهدت النبي ﷺ شاة مسمومة، وكانت تعلم أنه يحب الذراع؛ فأكثرت فيها السم، فلما تناول منها مضغة ولم يسغها قال: إن هذه الذراع مسمومة، وكان قد أكل معه بشر بن البراء فمات رضي الله عنه. (أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته (**4165**).

لأنهم سمّاعون للكذب، أكّالون للسُحْت، يسعون في الأرض فساداً، ويوقدون نيران الحروب، ويدّعون بنوتهم لله تعالى. وقالوا: إن الله فقير وهم أغنياء. وقالوا: يد الله مغلولة. تعالى عما يقولون علواً كبيراً.

يقول القرآن الكريم عنهم: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ [المائدة: 82]، ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لاَّ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: 75]، ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لاَّ يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا﴾ [النساء: 53]، ﴿وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ [البقرة: 217].

والعهد عند اليهود هو هدنة لاستئناف القتال بطريق أخرى، والاستعداد له، يقول تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 75]، ويقول سبحانه: ﴿أَوَ كُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: 100]، ويقول تعالى: ﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلاًّ وَلا ذِمَّةً يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [التوبة: 8].

ولعلنا نفيق من زيف الدعاية السياسية بعد عرض هذه الآيات الكريمة، ونتذكر قول "دافيد بن جوريون":

"لا تتعبوا أنفسكم في البحث عن حل، ليس هناك حل، الأرض واحدة، وطالب الأرض اثنان، ولابد أن تكون لواحد منهما فقط، ولابد أن يكون الشعب الإسرائيلي هو ذلك الواحد، الذي يحصل على الأرض ويملكها. والحل الوحيد بالنسبة لنا، أن نسعى بكل الوسائل، بما فيها القوة والسياسة والخديعة؛ لكي نجعل الطرف الآخر، يرضى بالتنازل عن حقه، فالقدس عاصمة إسرائيل إلى الأبد، ولا مجال للبحث في شأنها، لأنها إرادة الرب، والضفة الغربية حق للشعب اليهودي، وهي الأرض التاريخية، أرض الميعاد".

ولا تعليق على هذه الأكاذيب والأوهام الصهيونية!!

11- قرار إعلان الحرب
ومَنْ يتخذه؟
وبِمَ يُنقض العهد؟

الفتوى المنشورة بجريدة "المسلمون" السعودية بجواز الصلح مع اليهود، ليس فيها دليل معتبر تستند إليه، بل ما ذُكر من "أدلة" لا دلالة فيه، ولا يُعبِّر عن نظر علمي، ولا يُقنع أصغر طالب علم، ولا يمكن أن يستشهد به على هذا النحو مَن درسَ شيئًا من أصول الفقه وعلم الشريعة المطهَّرة. ويتنزه عن مثل هذا الخطأ في الاستدلال أقلُّ مبتدئ في طلب العلم؛ إذ إن النصوص الشرعية لها مواضعها التي تُوضَع فيها، لا أن تُوظف النصوص المقدسة لتأييد الهوى السياسي، البعيد عن المصلحة الشرعية، ثم تُنسب إلى إمام علامة، من أبرز مجتهدي العصر؛ لتحمل مصداقية زائفة، لا تقنع سوى أحلام العصافير.

ولنلحظ أن الفتوى تتحدث عن السلام، واليهود يتحدثون عن الحرب. ويجب أن ننبه بداية إلى أننا لسنا دعاة حرب ودماء ونار، ولكن الأمر كما قال الشاعر:

إذا لم تكن إلا الأسنة مركبًا   فما حيلة المضطر إلا ركوبها!

وكما قال شاعر آخر:

والناس إن ظلموا البرهان واعتسفوا   فالحرب أجدى على الدنيا من السلم

فاليهود هم الذين أنشئوا المشكلة الفلسطينية، بأن خضعوا للمطامع الاستعمارية، وجعلوا أنفسهم آلة في يد الغرب؛ للتسلط على المسلمين. وعلى الأشلاء والدماء والنار أقاموا سلطتهم، فبالدماء والنار قامت إسرائيل، وبالدماء والنار ستسقط أيضًا.

ومن المعلوم: أن الحرب في الإسلام ضرورة؛ لرد العدوان؛ وتأديب الناكثين؛ واسترداد الحقوق؛ وتأمين الحدود؛ ونصرة المقهورين والمستضعفين؛ وإقامة العدل في الأرض. فلا تُشن الحرب في الإسلام إلا لضرورة شرعية معتبرة، وليس أكبر من استنقاذ مقدسات الإسلام المحتلة ضرورة.

ومن المتقرِّر في الفقه الإسلامي: أن الجهاد يصير فرض عين إذا اعتُدي على بلاد

المسلمين بالفعل، أو كان الاعتداء متوقعًا، ولا يدفعه إلا جميعُ المسلمين، أو وَقَفَ الأعداء في سبيل الدعوة، ومنعوا نشرها، وأعلنَ الإمام النفير العام، فعندها يتعين الجهاد على كل مسلم.

وقال فقهاؤنا: كل بلد مسلم خيفَ هجومُ العدو عليه، فرض على الإمام، أو أهل ذلك البلد النفرة. فإن لم يقدروا فرض على الأقرب إليهم نصرتهم، إلى حصول الكفاية بدفع العدو، فلو لم تقع الكفاية إلا بجميع المسلمين، فُرض عينًا عليهم الدفع، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ [التوبة: 123].

وقالوا أيضًا: يجب بث هيبة الإسلام في قلوب الأعداء، وخاصة عند الحدود والثغور المعرَّضة للتهديد من عدو متربص، سواء أكان محاربًا، أم معاهدًا، يقول تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [الأنفال: 60] (1)

وفلسطين اليوم دار حرب، واليهود محاربون، وليسوا معاهدين في حقيقة أمرهم، فلا يأمن جانبهم أحد مهما أبْرمتْ معاهدات سلام. وهُم لا يريدون سلامًا أبدًا، وإذا تحدثوا عن السلام فللسخرية منا، والهزء بكرامتنا، واللعب بمصالحنا. ومبتغاهم مسخ قوتنا، وشق صفنا، وامتهان ديننا، وتضييع حقوقنا، وأن نرضى بالدنية، ونسلّم بالظلم، ونركع للجوْر.

ومنذ توقيع معاهدات السلام مع إسرائيل، زادت المشكلات داخل العالم العربي، وزاد القتل في العرب اللبنانيين والفلسطينيين، وزاد هدم المساجد، واستمرت المذابح للمصلين، وارتفعت التصريحات الوقحة المتحدية من زعماء اليهود، وزادتْ مصادرات الأراضي العربية، وإقامة المستوطنات اليهودية، وبلغَ استقدام اليهود من شذاذ الآفاق ذروته، وتسارع تهويد المدن العربية، وانتهاك الحرمات والمقدسات الإسلامية، وإعلان العداوة للإسلام، وتهديدنا بالسلاح النووي، وإطلاق أقمار التجسس علينا.

وأكثر من ذلك كان إسحق رابين- رئيس وزراء إسرائيل السابق- يلوح

(1) بدائع الصنائع: الكاسائي 4/ 43، بداية المجتهد: ابن رشد 1/ 502، مغني المحتاج: الخطيب الشربيني 4/ 211. المغني 10/ 361.

بالحرب، ويقول في مطلع عام 1995: "ويتعين على إسرائيل أن تكون مستعدة لخوض حرب شاملة على المدى المتوسط، وعلى المدى البعيد".

وأقصى ما يرد به عليه المسئولون في بلادنا قولهم: "تلويح رابين باستعداد إسرائيل للحرب في المستقبل القريب، يعتبر أمراً مؤسفًا وخطيراً جداً"؟!

وهذا المسئول نفسه، هو الذي هدَّد السودان بذراعه العسكرية الطويلة دون داع لهذا، ودقَ طبول الحرب عليها بلا سبب. وهكذا العرب يستأسدون على العرب. ومع إسرائيل نرى البُغاث بأرضنا يَستَنْسر [1]. ولو عكسنا الأوضاع فكان التهديد بالحرب لإسرائيل من زعيم عربي- وهذا افتراض خيالي قطعًا- لكان ردُّ زعماء إسرائيل بعيداً عن الأحلام.

والرئيس الإسرائيلي "عيزرا فايتسمان" بدوره، يعلن في قناة النيل الدولية المصرية (!!) قدرة بلاده على ضرب العراق مرة أخرى إذا لزم الأمر! وكشفت الصحف عن وثيقة سرية، توضح استعدادات إسرائيل لحرب العرب في المستقبل.

وفي مضمار السياسة، لا يصح سلام مع التهديد بالحرب، بل التهديد الصريح أو المبطن بالحرب، يعد عملا من أعمال الحرب، ونقضًا للعهود والمواثيق. ولو تأمَّلنا لرأينا كثيراً من الأقوال والأفعال الإسرائيلية أسبابًا وجيهة لإعلان الحرب عليها، إن كان هناك كرامة، وحميَّة لدين الله تعالى.

فلا تزال إسرائيل تسرق المياه العربية من نهر الأردن ونهر الليطاني اللبناني، وهي تسحب المياه الجوفية من صحرائنا المحيطة بها، وتحرص على تأمين نفسها من المياه على حسابنا- رغم شح المياه بهذه المنطقة، وتُصرُّ إسرائيل-مع ذلك في معاهدات السلام- على شروط تمنحها "حقوقًا" في نَصيب مفروض من المياه العربية، وهذا ما دعا كثيراً من المحللين السياسيين إلى القول بأن الحرب في المنطقة في الفترة القادمة ستكون حربًا على المياه.

وسرقة المياه العربية سبب كاف لإعلان الحرب. وهناك أسباب أخرى مثل:

---

(1) يضرب مثلاً للرجل يكون ضعيفا ثم يقوى. قال القالي: سمعت هذا المثل في صباي من أبي العباس وفسره لي فقال: يعود الضعيف بارضنا قويا. ثم سألت عن أصل هذا المثل أبابكر بن دريد فقال: البغاث ضعاف الطير، والنسر قويه. فيقول: إن الضعيف يصير كالنسر في قوته (المزهر في علوم اللغة السيوطي 1/ 379).

1 . ضرب لبنان ومصادره الحيوية، وحصاره بحريًا، واستمرار احتلال مزارع شبعا والجولان .

2 . تكوين جيش عميل في جنوب لبنان، ودعمه ضدنا لإجراء مذابح مثل صبرا وشاتيلا . وبعد تحرير الجنوب يظل الجرم الإسرائيلي ينتظر حسابًا .

3 . ضرب تونس بالطائرات الإسرائيلية، وإصابة المدنيين .

4 . اختطاف شيوخ الإسلام من قلب لبنان، واعتقالهم في السجون الإسرائيلية مدى الحياة .

5 . ملاحقة علماء الذرة المسلمين في كل مكان في العالم، واغتيالهم لحرمان المسلمين من الاستفادة من خبراتهم في امتلاك أسلحة نووية، وضرب المفاعل الذري العراقي .

6 . اغتيال الزعماء والقادة المجاهدين في لبنان وفلسطين، وتونس وأوروبا .

7 . عدم اعترافهم بقوانين دولية، ولا بقرارات أممية . فهم يعدون أنفسهم فوق القانون الدولي؛ لذا لا يتقيدون بعهد ولا عقد، ولا يعترفون للفلسطينيين بشبر من بلادهم .

8 . تعطيل عمليات الإصلاح والترميم للمساجد والآثار الإسلامية في فلسطين؛ حتى تنهار من تلقاء نفسها .

9 . الطعن في الإسلام، وإعلانهم الحرب عليه، وتشويه الدعاة له، والتحزب ضده، والتحالف على ما يسمونه التطرف "والأصولية" الإسلامية . ويعنون الصحوة الإسلامية، والتحريض على ضربها باعتبارها الخطر الذي يواجه إسرائيل، وكأن الصحوة الإسلامية تمتلك قنابل ذرية .

ولا سلام مع من يحارب الإسلام .

وليس هذا هو كل ما في الأمر؛ إذ لإسرائيل سياسات ومواقف، هي بمثابة قرارات إعلان حرب على الإسلام . مثل الدعوة إلى إعادة احتلال سيناء، وقرار ضم القدس، وإعلانها عاصمة أبدية لإسرائيل، وقسْمهم الحرم الإبراهيمي في الخليل، واستيلائهم على نصفه، وتحويله إلى معبد يهودي، وقتلهم المُصلين في الحرم الإبراهيمي في صلاة الفجر وهم سجود في رمضان، وسعيهم لهدم الأقصى وقسمته أيضًا، واستمرار حفرهم تحته؛ لإسقاطه وبناء هيكل سليمان مكانه . وقد

احتفلت إسرائيل مؤخراً بما دعته مرور ثلاثة آلاف سنة على إنشاء مدينة القدس، ووجَّهت الدعوة لبعض الدول العربية!! ويسمونه عيد الاستقلال، وكأن اليهود لهم تاريخ في فلسطين يمتد هذا الزمان، وقد رفض الفاتيكان المشاركة في هذا الاحتفال.. وحسنًا فعل.

والى هنا نسأل: هل يُجيز لنا الإسلام أن نبرم سلامًا مع عدو مغتصب متبجح إلى هذا الحد؟ ولما نضع الآيات في غير موضعها، فنقول هنا بقول الله تعالى: **﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾** [الأنفال: 61]؟ فنخدع أنفسنا عن الحقيقة، وهي أن اليهود لم يجنحوا للسلم، ولم يَرُدُّوا ما سلبوه. بل الوقاحة في لسانهم وأعمالهم، بادعاء حقوق تاريخية في أرض الإسلام، وتخطيط لمزيد من الاحتلال والإخضاع، وقد أوضحت الاستفتاءات التي أجريت هناك أن غالبية الإسرائيليين يرفضون إرجاع أي جزء من الأرض المحتلة للعرب.

ومَن رفضَ رد الحقوق بغير حرب، وجَبَ على المسلمين قتاله لردِّ هذه الحقوق.

وليس آخر أخبار عهد السلام السعيد من الأرض المحتلة- تصريح رابين بأن قواته احتجزت ما لا يقل عن ألفين ممن زعم أنهم متطرفون إسلاميون، في الوقت الذي تشتبك فيه قوات الصهيونيين مع الفلسطينيين في الخليل وجنين ورام الله وغيرها، ثم تدنيس إريل شارون للحرم القدسي الشريف. ولا يمضي يوم دون قتيل أو جريح فلسطيني، سواء من النساء، أو الأطفال، أو الشيوخ!

ونقلت هيئة الإذاعة البريطانية تقريراً جاء فيه: "إن القدس محاصَرة منذ عام ونصف، ومغلقة في وجه الفلسطينيين، وسكان الضفة ممنوع عليهم دخولها حتى للصلاة، إلا بإذن مسبَق يصعب الحصول عليه".

لقد احتكر الصهاينة القدس، وأعلنوها عاصمة أبدية لهم، متحدين العالم أجمع، ظانين أنهم يضعونه أمام الأمر الواقع، فلابد إذن من التحرك المباشر للتضامن عربيًا وإسلاميًا، فبقاء هذه الحال محزن ومخجل، واعتبار القدس عاصمة لليهود مرفوض تمامًا. وإن لم نحارب اليوم معركتنا وبنا بعض قوة وكرامة، فهل ننتظر من غيرنا أن يحارب لنا، ويرد عنا، ويحرر أرضنا وديارنا وأبناءنا، ويكبت عدونا؟!

وصرَّح "أحمد مختار أمبو" - حين كان مديراً عامًا لمنظمة اليونسكو، بأن المعالم

العربية والإسلامية في القدس المحتلة معرَّضة للزوال الكامل قبل نهاية القرن العشرين .

وكانت شرطة الطيران الإسرائيلية "العال" قد طبعت كتابًا دعائيًا على غلافه خريطة القدس، ويظهر عليها هيكل سليمان المزعوم، بدلا من المسجد الأقصى وقبة الصخرة .

وفي سنة **1980**م، وضعَ الحاخام الهالك "كاهانا" - زعيم حركة "كاخ" - رزمة من الديناميت بهدف نسف المسجد الأقصى، وكرَّر المحاولة في صيف **1982**م . وجاء في صحيفة "دافار" الإسرائيلية (في يوم **27/ 4/ 1990**م) : "طلبة المدارس الدينية اليهودية وحاخاماتهم، الذين يتوقون حقًا إلى تطهير(!!) المدينة المقدسة من جميع الأماكن التي تحمل الصليب تمامًا، كما تاق من قبل زملاء لهم لتدمير مسجد قبة الصخرة، فخططوا لذلك" .

وهكذا لم تسلم المؤسسات المسيحية من الاعتداء، فمن حرْق الكنيسة المعمدانية بواسطة حركة كاخ، إلى محاولة نسف الكنيسة اليونانية بواسطة منظمة إرهابية يهودية، هاجمتها في مطلع سنة **1983**م، إلى الاستيلاء على دير "مار يوحنا" رسميًا في إبريل **1989**م . . . وتعد كنائس النصارى في فلسطين أمانة كانت لدينا، ونحن فرّطنا فيها، ولم نحفظها لأهلها من رعايانا النصارى، وواجب أن نحرِّرها، ونردَّها إليهم ؛ لأنهم أهل ذمتنا وعهدنا .

والقرآن الكريم يأمرنا بالقتال لدفع الظلم، ودرء الفتنة، يقول سبحانه : ﴿ **أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ** ﴾ [الحج : **39**]، ويقول تعالى : ﴿ **وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ** ﴾ [البقرة : **190**] ، ويقول عزَّ من قائل : ﴿ **وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا** ﴾ [النساء : **75**]، ويقول تبارك وتعالى : ﴿ **وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** ﴾ [البقرة : **217**] .

وسلام اليهود اليوم، هو باب لنشر الكفر في بلاد المسلمين تحت لافتة العلمانية، والرضا به، والتسليم له، والمهادنة معه، والاعتراف به، وظهوره وموالاته . فهم

يسعون إلى إفسادنا أخلاقيًا وفكريًا، واحتلالنا اقتصاديًا وثقافيًا؛ لإخراج الأجيال الجديدة من دينها، وتفريغها من حقيقة الإيمان والتوحيد. ويسعون أيضًا لفتنة الفلسطينيين عن دينهم الذي ارتضوه، وتقديم العلمانيين منهم، ومنحهم سلطة الحكم الذاتي؛ لتحجيم الصحوة الإسلامية هناك، فصار إخواننا في الدين أسرى ورهائن بين نارين.

ولمّا فازت حركة الجهاد الإسلامي "حماس" بالانتخابات التشريعية الفلسطينية، وشكّلت الحكومة- وقفت الحكومة الإسرائيلية في وجهها، ومنعت صرف أموال الفلسطينيين إليهم، وحاصرتهم حصار تجويع وتخويف، واستعدَتْ العالم الغربي لعزل حكومة حماس وإسقاطها. وعاقبت الشعب الفلسطيني لأنه اختار الإسلام.

والناس بالنسبة لدار الإسلام ثلاثة:

1. مسلم موالٍ.

2. ذمي معاهَد مسالم، يوفى إليه بعهده وذمته ما استقام عليها. ولكي نفهم أبعاد هذا العهد، نقرأ بعض ما كتبه عمر بن الخطاب من شروط في عهده إلى نصارى الشام: "ومَن ضرب مسلمًا عمدًا، فقد خلعَ عهده" (1).

3. عدو محارب يجب قتاله، ردًا لعدوانه، ودرْءًا لفتنته، قال تعالى: ﴿**وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ**﴾ [الأنفال: 58]، ويقول تبارك وتعالى: ﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا** ﴾ [النساء: 76].

واليهود هم أولياء الشيطان، والسلام معهم يُعزز كفرهم وينشره، ويُمكّن باطلهم. والحق- سبحانه وتعالى- يأمرنا: ﴿ **اقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ** ﴾ [البقرة: 191].

ويريد الله تعالى للمسلمين العزة والقوة في مواجهة أعدائهم فيقول: ﴿ [**فَلا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ**﴾ [محمد: 35].

(1) تاريخ دمشق: ابن عساكر 2/ 121.

ولذلك يأمر سبحانه بالنفرة للجهاد بالمال والنفس على أية حال كُنا، خفافًا وثقالا، في العسر واليسر، والمنشط والمكره، يقول- عزَّ وجلَّ اسمُه: ﴿ انفرُوا خفَافًا وَثقَالاً وَجَاهدُوا بأَمْوَالكُمْ وَأَنفُسكُمْ في سَبيل اللَّه ذَلكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [التوبة: 41].

ولنحذر حال قوم لا يخرجون إلا إذا توقعوا مغنمًا سهلا، وسفرًا غير بعيد، وحربًا خاطفة. فهؤلاء لا إيمان لهم يدفعهم لتحمل المشاق والمصاعب، والتضحية في الجهاد. فإذا كان المرء لا يُنتظر منه إلا أن يجاهد في حال القوة وكمال العدة، ويعتذر في غير ذلك بالضعف وشدة بأس العدو، فقد أشبه المنافقين الذين قال الله فيهم: ﴿ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَريبًا وَسَفَرًا قَاصدًا لاَّتَّبَعُوكَ وَلَكن بَعُدَتْ عَلَيْهمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلفُونَ باللَّه لَو اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إنَّهُمْ لَكَاذبُونَ﴾ [التوبة: 42].

والعجب كل العجب من فتوى لا ترى الجهاد ونحن ثقال- مثلما يكون ونحن خفاف، وتعتذر بضعف موهوم للقعود مع المخلفين. والله سبحانه يقول: ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفينَ منَ الأَعْرَاب سَتُدْعَوْنَ إلَىٰ قَوْمٍ أُوْلي بَأْسٍ شَديدٍ تُقَاتلُونَهُمْ أَوْ يُسْلمُونَ فَإن تُطيعُوا يُؤْتكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإن تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُم مّن قَبْلُ يُعَذّبْكُمْ عَذَابًا أَليمًا ﴾ [الفتح: 16]. فلم يجزْ لهم التخلف لأجل أن العدو ذو بأس وطوْل.

وقال الإمام ابن القيم في كتابه "أحكام أهل الذمة" عن قوله تعالى: ﴿ كَيْفَ يَكُونُ للْمُشْركينَ عَهْدٌ عندَ اللَّه وَعندَ رَسُوله إلاَّ الَّذينَ عَاهَدتُّمْ عندَ الْمَسْجد الْحَرَام فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقيمُوا لَهُمْ إنَّ اللَّهَ يُحبُّ الْمُتَّقينَ ⑦ كَيْفَ وَإن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لا يَرْقُبُوا فيكُمْ إلاًّ وَلا ذمَّةً يُرْضُونَكُم بأَفْوَاههمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسقُونَ ⑧ اشْتَرَوْا بآيَات اللَّه ثَمَنًا قَليلاً فَصَدُّوا عَن سَبيله إنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ⑨ لا يَرْقُبُونَ في مُؤْمنٍ إلاًّ وَلا ذمَّةً وَأُوْلَٰئكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ⑩ فَإن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإخْوَانُكُمْ في الدّين وَنُفَصّلُ الآيَات لقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ⑪ وَإن نَّكَثُوا أَيْمَانَهُم مّنْ بَعْد عَهْدهمْ وَطَعَنُوا في دينكُمْ فَقَاتلُوا أَئمَّةَ الْكُفْر إنَّهُمْ لا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴾ [التوبة: 7- 12].

"فنفى الله أن يكون لمشرك عهد ممن كان النبي ﷺ عاهدهم، إلا قومًا ذكرهم، فجعل لهم عهدًا ما داموا مستقيمين لنا. فعلم أن العهد لا يبقى للمشرك إلا ما دام مستقيمًا. ومعلوم أن مجاهرتنا بتلك الأمور العظام تقدح في الاستقامة... بل

مجاهرتنا بسب ربنا ونبينا وكتابه، وإحراق مساجدنا ودورنا أشد علينا من مجاهرتنا بالمحاربة إن كنا مؤمنين، فإنه يجب علينا أن نبذل دماءنا وأموالنا حتى تكون كلمة الله هي العليا، ولا يجهر بين أظهرنا بشيء من أذى الله ورسوله "[1].

وقال في موضع آخر عن قوله تعالى: ﴿ **وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَلا عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ**﴾ [البقرة: **193**].

" فمدَّ قتالهم إلى أن ينتهوا عن أسباب الفتنة، وهي الشرك. وأخبر أنه لا عدوان إلا على الظالمين. والمجاهر بالسب والعدوان على الإسلام غير منته، فقتاله واجب إذا كان غير مقدور عليه، وقتله مع القدرة حتم، وهو ظالم فعليه العَدوان الذي نفاه عمن انتهى، وهو القتل والقتال. وهذا بحمد الله في غاية الوضوح "[2].

إن الجهاد صار اليوم فريضة غائبة- إلى حد ما- عن الأمة، وذلك برغم أنها الفريضة الأولى الواجبة اليوم، فهي مقدمة على غيرها من الفرائض، كالصلاة والصيام، والزكاة والحج؛ لأن العدو محتل لقطر بل لأقطار من بلاد المسلمين. وقد اتفق علماء المسلمين على أنه إذا نزلَ العدو بأرض المسلمين- وجبَ على جميع أهلها، وكل من قدَر على مدافعتهم أن يجاهد. وإذا لم يستطع أهل هذه الأرض صد العدو، وجبَ على من يليهم من المسلمين نصرتهم. وهكذا حتى يجب الجهاد على كل مسلم قادر في الأمة حتى يخرج الولد بغير إذن أبيه، والمرأة بغير إذن زوجها، إذا لم يمكن صد العدو إلا بذلك.

وقال فقهاؤنا: إذا سُبيت امرأة مسلمة بالمشرق، وجبَ على أهل المغرب تخليصها وافتداؤها ولو أتى ذلك على جميع أموال المسلمين. وفي عهد النبي ﷺ أهانَ بنو قينقاع (من اليهود) امرأة مسلمة؛ فقاتلهم النبي ﷺ. وفي عهد المعتصم صرخت امرأة مسلمة أسرَها الرومُ صرخة واحدة: " **وامعتصماه** "؛ فسيَّر المعتصم جيشًا لتخليصها.

وفي مؤتمر مجمع البحوث الإسلامية الرابع بالأزهر الشريف، كان الشيخ محمد أبو زهرة يقول:

---

(1) أحكام أهل الذمة: ابن القيم، رمادي للنشر، دار ابن حزم - الدمام - بيروت، **1418**هـ / **1997**، مج **3**، ص **1379**.

(2) أحكام أهل الذمة، مج **3**، ص **1396**.

" وهكذا نجد النصوص جميعها، تدعونا إلى أن نقوم قومة رجل، ونتقدم لدفع العدو، وإبادة قدراته إذا دخل أرضًا إسلامية، فكلُّ أرض من أراضي الإسلام هي من حمى الله تعالى، فلا يصح أن نترك ما هو في حمى الله تعالى، يعبث فيه أعداء الله، فلا يترك أعداء الحق يرتعون فيه، يلعبون ويعيثون فيه فسادًا، ويهدمون كل قائم، ويحقرون المسلمين، وينتهكون حرماتهم " .

ولأن الأقربين من الأرض التي انتهكها الكافرون أولى من غيرهم لقربهم من الأعداء، قال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾** [التوبة: 123].

وإن الذين يتباطئون، ويتعللون بالتعلات في هذه الحال، فيهم شعب من النفاق. وإن الله تعالى عليم بالسرائر، ويدخلون في حكم المتخلفين الذين قال الله تعالى فيه: **﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لا تَنفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ (81) فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (82) فَإِن رَّجَعَكَ اللَّهُ إِلَىٰ طَائِفَةٍ مِّنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَن تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ﴾** [التوبة: 81-83].

وإننا ننتهي من هذه النصوص القرآنية، التي لا يأتيها الريب من بين يديها ولا من خلفها، إلى أن الذين يتخلفون عن النفير العام، وقد دخل عدو الله وعدو المؤمنين أرض الإسلام، إمَّا أن يكونوا من ضعفاء الإيمان، الذين أصيبت قلوبهم بمرض الضعف، فلا تزيدهم الكوارث إلا ضعفًا، وإمَّا أن يكونوا من المنافقين، الذين أصيبوا بمرض النفاق، ومن الخير ألا يشتركوا؛ لأنهم يُوضعون بالفتنة خلال المؤمنين " (1).

وهناك فريق أكبر خطرًا من الفريقين، وهم الذين يوالون الأعداء ويودونهم، ويرتبطون معهم بعلائق ومودات. وأولئك شر مكانًا، وأضل عن سواء السبيل، ولقد قال تعالى- ناهيًا عن ذلك: **﴿لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ**

---

(1) أو يكونوا موالين للأعداء.

وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾ [آل عمران : 28]

" فأولئك الذين يكون بين ظهرانيهم أعداء الله من اليهود، ومَن يواليهم ممن يكيدون لدين الله، ولا يألون المسلمين خبالا، يودون عنتهم، وقد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر، ويحميهم حكام المسلمين من غضبة أهل الإيمان، أولئك ليسوا من المؤمنين في شيء، وقد قال تعالى في ذلك: ﴿ لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [المجادلة : 22]

هذه آيات بينات لأولئك الذين يوادون أعداء الله تعالى، الذين أرهقوا المسلمين، وتظاهروا عليهم فسادًا في أرض المسلمين- مقدار بعد من يواليهم عن الدين، وقربهم من أعداء الدين، الذين يكيدون للإسلام وأهله، وهم الذين قال تعالى في أمثالهم: ﴿ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُوْلَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [المجادلة : 19]

" فهل لهؤلاء الذين يظاهرون أعداءنا الذين أخرجونا من ديارنا، ويعبثون بأموالنا، وينتهكون حرمات الأرض المقدسة، ولا يدعون فيها شعيرة من شعائر الإسلام إلا قوّضوها- من أمان هو أمان العزة والاستعلاء؟ هل لأولئك الذين يظاهرون الذين دنسوا المسجد الأقصى بالبغايا يدخلنه، والراقصات يغشينه، ويضيق على المسلمين في إقامة الصلوات وإحياء الشعائر؟ هل لهؤلاء أمان إلا أن يكون الصَّغار، والرضا بالدنية في الدين؟! اللهم لا عزة إلا عزتك، ولا أمان إلا أمانك " أهـ[1] .

وفي المؤتمر نفسه- الذي حضره لفيف من علماء الإسلام في العالم، قال الشيخ حسن خالد- مفتي لبنان السابق:

(1) كتاب المؤتمر الرابع لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف، ص 75_ 78 .

" إن انعقاد مؤتمركم الكريم الموقر ضرورة عربية وإسلامية ووطنية، في هذه الظروف التي يواجه العرب والمسلمون فيها أخطر الصعاب، والمسلمون كلهم ينتظرون منكم بيان حكم الله إزاء قضية فلسطين، ونشر هذا الحكم على الرأي العام العربي والإسلامي، في مثل فلق الصبح، ولا نخال هذا الحكم يترخص أي ترخص في الدعوة العامة لكل مسلم ولكل عربي إلى الجهاد المقدس، الذي أصبح اليوم فريضة على العرب والمسلمين لتحرير الأرض وصيانة العرض والثأر للكرامة، واسترداد المسجد الأقصى وكنيسة القيامة، وتطهير مدارج النبوة ومنازل الوحي ومجتمع الأنبياء، ومنطلق الإسراء ومشاهد الروح القدسية: وتطهير هذه البقاع جميعها من أيدي الصهيونية عدوة الإنسان، وعدوة الحق، وعدوة العدل، وعدوة الله "(1).

وفي المؤتمر نفسه، قال الشيخ محمد أبو زهرة أيضًا:

" . . . نجد العدو الآن دخلَ ديارنا، وأخذ أرضًا مقدسة من أرضنا، وبذلك يكون القتال فرض عين، ولا يكون فرض كفاية، فيجب على كل مسلم، في أي أرض إسلامية، أن يتقدم للقتال، ويأخذ الأُهْبة لذلك؛ لأن أي جزء من أرض الإسلام لكل مسلم جزء شائع فيه، فمن أخذ جزءًا من أرضنا، فقد دخلَ دارنا " .

" وإن الذين احتلت أجزاء من ديارهم، على المسلمين مجتمعين أن ينصروهم ولا يتركوهم. فالمسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يُسلمه " .

" فعلى المسلمين جميعًا أن يهبوا لإنقاذ الأرض المقدسة التي دنسها أعداء الإنسانية، ويستنقذوا مَن لا يستطيعون حيلة من الذرية والنساء، من أن يُقتلوا ويُذبحوا، أو تهتك أعراضهم، كما تهتك حرمةَ المسجد الأقصى. وَإنه بلا ريب لفرض أشد وجوبًا على الأقرب، وإن كانت الفرضية شاملة غير مجزأة " .

" ليس الجهاد بالعمل الجامع للجيوش المُجَيَّشة، بل الجهاد ضروب أخرى غير الجيوش، فليذهب إلى الأرض المغتصبة من كل إقليم إسلامي طائفة مدرعة بالإيمان والسلاح والمال، تنطلق فتقض مضاجع أولئك المغتصبين، وتجعلها عليهم سمًا زعافًا، بدل أن تكون لبنًا وعسلا– كما يريدون " .

(1) المرجع السابق، ص 30 ـ 31 .

" وإذا كانوا يُخربون بعض ديارنا، فلنخرب مستعمراتهم، ولا نيأس من روح الله، إن الإرادة تعيد ما يهدمون، ولا سبيل لعودة أرضنا إلا بالفداء فقدموه. هذا ميدان العمل فليعمل العاملون، وفي موطن الشرف فليتنافس المتنافسون، إن تنصروا الله ينصركم، ويثبت أقدامكم " أهـ[1].

وقد أجمع فقهاء المذاهب الأربعة على وجوب دفع الكفار إذا نزلوا بأرض المسلمين، ويعد الجهاد حينئذ فرض عين كما يلي:

المذهب الحنفي:

قال الزيْلعي: " الجهاد فرض عين إن هجم العدو. فتخرج المرأة والعبد بلا إذن زوجها وسيده، لأن المقصود- وهو دفع العدو- لا يحصل إلا بإقامة الكل، فيجب على الكل، وحق الزوج والمولى لا يظهر في حق فروض الأعيان- كالصلاة والصوم " [2].

المذهب المالكي:

قال الزرقاني: " وتعيَّن الجهاد- بفجء العدو- على قوم بنزوله عليهم بغتة ولهم قدرة على دفعه، أو قاربَ دارهم، ولو لمَ يدخلها. فيلزم كل أحد دفعه، والخروج له، وإن توجَّه الدفع أو الخروج على امرأة وعبد وصبي مطيق القتال " [3].

المذهب الشافعي:

قال الرملي: " فإن دخلوا- أي الكفار- بلدة أو صار بينهم دون مسافة القصر، كان أمرًا عظيمًا. فيلزم أهلها الدفع لهم بالممكن في دفعهم على كل منهم، حتى على من لا جهاد عليه من فقير وولد، ومدين وعبد، وامرأة فيها قوة " [4].

المذهب الحنبلي:

قال ابن مفلح: " إذا نزَلَ الكفارُ ببلد، تَعَيَّن على أهله قتالُهم ودفعُهم " [5].

---

(1) المرجع السابق نفسه، ص 120.
(2) تبين الحقائق: الزيلعي، 3/ 241.
(3) شرح مختصر خليل: الزرقاني 3/ 110.
(4) نهاية المحتاج: شمس الدين الرملي 8/ 59.
(5) المبدع شرح المقنع: ابن مفلح 3/ 309.

12- من السلام الروماني إلى سلام القبور

هناك فرق كبير بين السلام والاستسلام، فالسلام يقوم على أسس راسخة من الحق والعدل الدائم. أما الاستسلام، فهو صفقة تجارية مؤقتة، يحاول الطرف القوي فيها الحصول على أقصى تنازلات من خصمه.

واليهود لا يريدون سلامًا معنا، ولكن يريدون امتهانًا لنا وإذلالا، فهم لا يعرفون إلا الإسلام المنتصر القوي، وينتظرون منا أن نقدم سلامًا الضعفاء، وبذلك لا تخضع الأمور لموازين الحق والعدل، ولكن لمنطق القوي. والفرق عندهم بين السلم والحرب، هو الفرق بين استعباد الخصم وقتله. وإلينا مصداق ذلك في سفر التثنية- الإصحاح العشرين الذي هو عقيدة اليهود الدينية يقول:

"**10** حين تقرب من مدينة لكي تحاربها استدعها إلى الصلح **11** فإن أجابتك إلى الصلح، وفتحت لك. فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير، ويُستعبد لك **12** وإن لم تسالمك، بل عملت معك حربًا- فحاصرها **13** وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك، فاضرب جميع ذكورها بحدّ السيف **14** وأما النساء والأطفال والبهائم، وكل ما في المدينة، كل غنيمتها فتغتنمها لنفسك، وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاك الرب إلهك **15** هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جدًا، التي ليست من مدن هؤلاء الأمم هنا **16** وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إلهك نصيبًا، فلا تستبق منها نسمة ما **17** بل تحرِّمها تحريمًا: الحثيين والأموريين والكنعانيين والفرزّيين والحَوّيين واليبوسيين، كما أمرك الرب إلهك".

وسلام الضعفاء معناه استسلامٌ للأقوياء. والضعيف لا يستطيع أن يبرم صفقة عادلة. وإذا لم نستطع أن نبرم صفقة عادلة، فمن الواجب ألا نبرم أية صفقة على الإطلاق؛ لأنها ستكون غلا في أعناق الأجيال القادمة، تحول بينهم وبين الجهاد لاسترجاع الحقوق.

وقد رأينا كيف أن السلام في "غزة أريحا أولا" - كان تسليمًا بشروط العدو، وخضوعًا لتصوره؛ لأن بقية العرب تخلوا عن الفلسطينيين، وتركوهم لضعفهم، أو

زادوا في إضعافهم إزاء الإسرائيليين . فالمعاهدة صورة لما أراده العدو بلا تنازل ولو بقليل من جانبه ، على حين نتنازل نحن شيئًا فشيئًا ، ونتراجع إلى النقطة التي حدَّدها العدو سلفًا ، بل ينال العدو من الضعفاء ، أكثر مما يتوقع ، وربما ينال أبعد مما كان يحلم به ؛ لأن الوهن يورث السذاجة السياسية ، والتفريط بدعوى الواقعية والمرحلية .

ونحن صرنا بين شقي رحى السلام الإسرائيلي والسلام الأمريكي ، فأمريكا زادت الطين بلة ، بأن تركت العرب والإسرائيليين كلا لمهاراته التفاوضية وقدراته المادية ، بل هي تقوِّي ظهر المفاوض الإسرائيلي ، وتتبنى- بوجه ما- نظرية السلام الإسرائيلية ، ولكن بتغييرات قلينة- ما دام قد خضع لها العرب .

ويُعد السلام هدفًا استراتيجيًا للغرب في الشرق الأوسط ، وتعميم حالة السلام الأمريكي على هذه المنطقة لها أولوية في السياسة الخارجية ، وذلك بتعريب اتفاقيات السلام بين مصر والكيان الصهيوني ، وتعميمها على باقي الدول العربية ، ومعنى هذا أن تدخل المنطقة في الطاعة الأمريكية الصهيونية ، وتُحدد لها أوضاع سياسية وعسكرية لا يمكن تجاوزها ، ويتحقق الهدف القديم الجديد في تطبيع العلاقات العربية مع العدو الغاصب في فلسطين .

وكامب ديفيد كانت مفرخًا طبيعيًا لأزمات متتابعة للأمة ، لذلك ينشط الأمريكيون في ترميمها وإحيائها ، وإعادة النفخ في هيكلها المتهرئ . وها هي مصر ما زالت مقيدة بشروط المعاهدة ، مما حَجَّم دورها ، وعزلَها عن قيادة الوطن العربي فترة طويلة ، وقدمت هذه الفترة الفرصة الذهبية للعراق ليحتل موقع القيادة العربية ، فانفرد بقرار حرب إيران ، كما أن إسرائيل انتهزت الفرصة لتقوم بغزو لبنان ، وتأمين حدودها تجاهه ، وتعميق جوانب الخلاف داخله ، وانتهى الدور العراقي في إيران في أغسطس **1988** ، ولكنه انفرد مرة أخرى بقرار اجتياح الكويت في أغسطس **1990** .

وهكذا ، نجد أن معاهدة السلام كانت الخطوة الأولى لتمزيق الصف العربي تمزيقًا مروِّعًا لم يحدث من قبل ، وإضعافًا للأمة شيئًا فشيئًا ، وتحجيمًا لقوة مصر ، وشللا لفاعليتها ، وخلخلة لقواها الحربية ؛ حتى يتهيأ المسرح لوقائع أشد هولا ، تنتهي بتعريب كامب ديفيد .

ويقضي السلام الأمريكي في جوهره بالتحكم في دول المنطقة، وتحديد قوة جيوشها ونظم تسليحها، والتحكم فيما يمكن حيازته من أسلحة متطورة، وضبط أسعار النفط، ويحاول الأمريكيون باستمرار إقناع العرب بأن الأسلحة المتقدمة لا تتفق مع روح السلام! وأنه ينبغي ألا يسعى العرب لحيازتها، ومن عجب أن يصرح مسئول عربي رفيع إبان احتلال العراق للكويت- بعد لقائه مع وزير الخارجية الأمريكي بقوله: "إن السلام لا يمكن أن يستتب، مع وجود كل هذه الأسلحة لدى العراق".

ونحن نسأل: وهل يستتب السلام بوجود أسلحة أخطر منها لدى إسرائيل؟

وتقتضي المصلحة الغربية تثبيت الأوضاع الراهنة في منطقتنا، بمعنى تحقيق "الاستقرار" في المنطقة- كما نسمع دائمًا. وهذا الاستقرار هو وضعٌ ظالم لنا، وفيه جوْر على حقوقنا؛ لأن أرضنا محتلة؛ وأعداءنا متربصون، وأيدينا مقيدة، وأموالنا منهوبة ومضيعة، واقتصادنا يسير إلى الخلف، فنحن لا نريد استقرار أوضاع التبعية والتخلف والانحطاط. وقضية تحرير فلسطين هي المحرك الأساسي للتغيير في الأمة، وتحريك المياه التي تعطنَتْ وأسنَتْ، وهي التي ستفتح باب التحوُّل من التبعية إلى الاستقلال، ومن التخلف إلى التقَدم، ومن الانحطاط إلى الرفعة.

فنحن إذن ضد السلام الأمريكي؛ لأنه يعني العودة إلى السلام الروماني، الذي كان في حقيقته ديكتاتورية عالمية، فعادة ما يحاول الغالب أو الأقوى رفع غصن الزيتون، وطرح خطة سلام، ولكنه سلام الرومان، أي سلام المحاربين، حيث الرغبة في استمرار منطق القوة العسكرية، وفرض الأمر الواقع، وتكريس التفوق والاستعلاء، والتغلب بوسائل المفاوضات بين قوى غير متكافئة.

إن مثل هذا المفهوم للسلام هو الذي يصنع من "إسحق رابين" مثلا بطلا للسلام، برغم أنه لم يُنسَ بعْدُ أنه كان يتولى في الأربعينيات قيادة إحدى مجموعات "الهاجناه" الصهيونية، وهي عصابات إرهابية، كونّت النواة لجيش إسرائيل، وخاضت في دماء الفلسطينيين، ودبَّرت لهم المجازر البشعة. وقد اعتقلته السلطات البريطانية إبَّان انتدابها على فلسطين عام 1940، وحكمت عليه بالسجن. فهل نسي "رابين" عدو العرب (أطفالا وشيوخًا ونساء) الذين قتلهم، أو بقر بطونهم، وقطع

أوصالهم؟ وألا يستحي حين يتحدث عن ضرورة مكافحة الإرهاب الإسلامي؟

والمذابح التي تعرَّضت لها المدن والقرى الفلسطينية مثل: دير ياسين، وقبية، وكفر قاسم، كان يقود العصابات الصهيونية فيها: بيجن، وشامير، وشارون الذين صاروا رجال الدولة فيما بعد. فكيف نضع أيدينا في أيدي رؤساء عصابات، سفكوا دماء الأطفال والشيوخ والنساء، وانتهكوا حرماتنا، ونهبوا مقدساتنا، ولم يراعوا فينا عهدًا ولا إنسانية ولا رحمة؟!

وماذا عن جنودنا الأسرى الذين يعدون بالآلاف، قتلهم الإسرائيليون صبرًا، أو اتخذوهم هدفًا للرماية، أو تركوهم في جراحاتهم حتى الموت في حروبنا معهم؟ وهل من مراسم عهد السلام السعيد أن يفخر عسكري يهودي بأنه قتل وحده أربعين من الأسرى المصريين في حرب 1956، اتخذهم هدفًا للرماية؟

إن زعماء إسرائيل والسياسيين فيها ما هم إلا رؤساء عصابات سابقين، لهم جرائم في حقنا وحق الإسلام والإنسانية، فهم مطلوبون للعدالة والقصاص، لا أن نصافحهم ونصادقهم، ونجالسهم ونزاورهم، ونفتح لهم بلادنا وبيوتنا، ونطعمهم ونأمِّنهم، ونمدحهم ونشكرهم، ونهنئهم ونلاعبهم، ونمازحهم ونطارحهم الغرام على الطرقات وشاشات التلفاز. وإذا كان البعض نسي أن أيديهم ملوثة بدمائنا، فنحن ما نسينا؛ لأن المذابح الدموية الرهيبة لا تزال حية في أذهاننا.

ويقول الإرهابي نجم عصابات "البالماخ" سابقًا. ثم بطل السلام فيما بعد "مناحم بيجن": "أنتم الإسرائيليين يجب ألا تأخذكم رحمة أو شفقة عندما تقتلون عدوكم، يجب أن تقضوا عليه؛ حتى نقضي على ما يُسمَّى بحضارة العرب، التي سوف نشيِّد على أنقاضها حضارتنا اليهودية".

ويقول أيضًا- فُضَّ فوه: "إن الأسلحة العبرية هي التي ستقرر حدود الدولة العبرية، ولا يمكن أن نشتري السلام من أعدائنا بالمفاوضات، فهناك نوع واحد من السلام يمكن أن يُشترى، وهو سلام القبور" (1).

فهل نأخذ الحكمة من أفواه أعدائنا؟!

---

(1) مجلة المجتمع، ع: 1735، بتاريخ: 20/ 01/ 2007م.

إنه لمن المفارقات ذات الدلالة أن السادات، ومَن لفَّ لفه، كان يعلن دائمًا: أن سلامه هو من مركز القوة لا الضعف، وأن حرب رمضان كانت من أجل السلام (!!)، والعجب هنا أننا كنا نظنها- وكان ينبغي أن تكون حربًا من أجل التحرير، وإرغام الأعداء. وبعد ذلك نقرأ فتوى دينية: أننا مضطرون إلى السلام لأننا ضعفاء، على حين من يبرمون السلام يتشدقون بأنه سلام الأقوياء؟!

قالوا أيام الحرب: إن الحرب ستكون من أجل التحرير، واليوم يقولون إنها كانت من أجل السلام، فأي خداع هذا؟!

والمنطقي أن يقاتل المرء لاسترداد حقه، لا للتراضي مع خصمه على ما اغتصب منه، وإنما قالوا ما قالوه محاولين تنزيه أنفسهم عن موقف الضعف، لأن الضعيف- كما هو معلوم- لا يستطيع أن يبرم صفقة عادلة، تحفظ الحقوق، وتصون الحرمات.

ولله در الشيخ محمد أبو زهرة حين قال في مؤتمر جهاد إسرائيل بالأزهر الشريف:

"ليس الإسلام دين الاستسلام، وليست الفضيلة في الإسلام الركون إلى الدعة ولو كان فيها الرضا بالهوان وطلب المعيشة الذليلة المستكينة، وإنما الفضيلة في الإسلام هي رد الاعتداء، ومنع الخضوع للأقوياء، ولذلك شرع القتال لمنع الفساد في الأرض؛ إذ أنه لو ترك الأشرار يعيثون فسادًا من غير رادع يردعهم، ولا مانع يمنعهم، لَعمَّ الفساد البر والبحر، ولصار الهوان هو الذي يسيطر، وأن الرحمة بالأشرار قسوة بالأخيار، وأن الذين يذهب فرط حبهم للتسامح مع الأشرار وهم لا يلوون على شيء إلا جعلوه خرابًا، إنما يُحرِّضون على الشر، ورُبَّ تسامح يحوي في ذاته أكبر الجرائم فتكًا بالجماعة الإنسانية، ولذلك قال الله تعالى: ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: 251] أهـ[1].

وما أحسن ما قاله الشاعر الفلسطيني:

سيحدثونك يا بني عن السلام — إياك أن تصغي إلى هذا الكلام

كالطفل يخدع بالمنى حتى ينام — لا سلم أو يجلو عن الوجه الرغام

---

(1) كتاب المؤتمر الرابع لمجمع البحوث الإسلامية، ص 68.

صدقتهم يوما فآوتني الخيام

وغدا طعامي من نوال المحسنين يلقى إلي، إلى الجياع البائسين

فسلامهم مكر وأمنهم سراب تركوا الهوان على بلادك والخراب

ومفهوم السلام الروماني هو الذي جعل الغرب يؤيد العصابات الصهيونية، حين اغتصبت أجزاء من فلسطين، وحولت الشعب الفلسطيني إلى أسرى ولاجئين، وهو الذي جعل الغرب يدعم الصهيونية وهي تضم مزيداً من الأرض العربية عام 1967م، وحتى حين اجتاحت إسرائيل جنوب لبنان كان ببركة السلام الروماني الذي ورثه الغرب، وكذلك حين أعلنت ضم الجولان والقدس رسمياً، وإعلان القدس عاصمة أبدية لها، كان الفيتو الأمريكي مشهراً لإسقاط كل مشروع قرار لإدانة المعتدي. والإرهاب الصهيوني ضد الانتفاضة الإسلامية في فلسطين يسنده المال والسلاح الأمريكي، وكل ذلك برغم شعارات الشرعية الدولية والنظام العالمي الجديد، الذي هو نظام للأقوياء، وشرعية للأمر الواقع القائم على منطق القوة والإرغام، لا العدل والإحسان.

وكان هدف هذا "السلام" هو إنهاء الانتفاضة الفلسطينية، التي هي صورة من صور الجهاد الإسلامي، وقد نجح ذلك للأسف، بل الهدف الأساسي هو إبعاد الإسلام تمامًا عن الصراع العربي الإسرائيلي.

وننقل هنا ما قالته صحيفة "يديعوت أحرونوت" قبل الانتفاضة بوقت: "إننا نجحنا بجهود أصدقائنا في إبعاد الإسلام عن معركتنا مع العرب، ويجب أن يبقى الإسلام بعيداً عن المعركة، ولهذا يجب علينا ألا نغفل لحظة واحدة عن تنفيذ خطتنا في منع يقظة الروح الإسلامية، بأي شكل، وبأي أسلوب، ولو اقتضى ذلك استعمال العنف في إخماد أية بادرة ليقظة الروح الإسلامية".

إن الإسلام في منظور الغرب هو العدو الحضاري والنقيض الأيديولوجي، ولقد قامت الاستخبارات الأمريكية بتحسس أحوال الصحوة الإسلامية في الوطن العربي خاصة، واستخدمت طرقًا متعددة منها: الندوات، والحلقات الدراسية، واستطلاعات الرأي، والبحوث المشتركة التي يستغل فيها مثقفون وعلماء عرب دون أن يتفطنوا إلى حقيقة الأمر، وتصب المعلومات في النهاية في أضابير الاستخبارات الأمريكية.

وقد وضح لهؤلاء مدى تغلغل الصحوة الإسلامية وقوتها في الوقت الراهن، ومدى اتجاه الرأي العام إلى قضية فلسطين. والصحوة الإسلامية تضع القضية الفلسطينية في أول اهتماماتها، ولعله من العجيب أن يأتي الصحو الإسلامي قويًا ومنظمًا من داخل فلسطين نفسها، وأن يعود نداء "الجهاد المقدس" الذي تكأكأت قوى الغرب دومًا لخنقه، ويظهر جيل بدم جديد، لم تُمسخ روحه، ولم يُقتل وجدانه، وهي إرادة الله تعالى أن يأتي الحذر من مأمن العدو، ليشق بقوة المسلمين في فلسطين نهرًا جديدًا، في وقت تعطنت فيه الحياة العربية من ركودها.

إن وضوح العدو أمام الشباب الفلسطيني جعل الجهاد عملا له مصداقيته البينة ورايته المؤيدة، لأنه تعبير عن هوية الأمة وكينونتها التي يريدون أن يطفئوا نورها بأفواههم، ويأبى إلا أن يتم نوره.

وإن ثورة المسلمين في فلسطين كانت لا ينقصها إلا السلاح؛ لتكون أقوى خطر يهدد إسرائيل كلها بالانسحاق، ولقد رأى الغرب كيف أن هذه الحركة العزلاء من السلاح استطاعت أن تحرك جبال الجمود في المنطقة وتتحدى أقسى الظروف، فالانتفاضة كانت الطليعة التي يمكن أن تفجر قوى إسلامية لاحقة، لا يقف في وجهها شيء.

والوجع الذي يسكن في قلب أمريكا ومن ورائها اليهود هو أنه بعد عمل دائب لإنهاء حالة العداء بين العرب وما يسمى إسرائيل، تصطدم هذه الجهود بصخرة عنيدة اسمها الصحوة الإسلامية. وبينما وصلت بعض السياسات الرسمية إلى "صلح" مع الكيان الصهيوني، والى سلام متعاهد عليه، وبينما دخلت دول عربية أخرى بعد فترة الخندق نفسه من خلال البحث عن "السلام" والدعوة إليه والدوران حول طاحونته بجعجعة ولا طحن، وبالتعليق ببعض الأرض المحتلة (الضفة والقطاع) وإن في مقابل ماء الوجه، وأخيرًا بوضع خيار الحرب في طوايا النسيان... كل هذا يبدو هشًا أمام الإصرار الإسلامي، الذي تراه أمريكا أكثر الآراء تطرفًا- وهو الجهاد مقابل تحرير كل شبر في فلسطين.

ومن ذلك نرى أن الصحوة الإسلامية في المنظور الأمريكي/ الإسرائيلي هي أخطر الخصوم الذين يجب تصفيتهم أولا بأول، والسلام هو اليد الخفية الموكل بها هذه المهمة- الجريمة.

13- ماذا تغير حتى تغيَّرتم بين الأمس واليوم؟

هذه بعض شعارات الأمس:

صراعنا مع اليهود صراع وجود، لا صراع حدود.

ما أُخذ بالقوة لا يُستَرَد بغير القوة.

لا صوتَ يعلو فوق صوت المعركة.

إذا تنازلنا عن أي شيء، فقد تنازلنا عن كل شيء.

" إسرائيل لا تفرق بين الفلسطيني والعربي والمسلم، فكلنا أمامها أعداء. ولا وجود، ولا بقاء لإسرائيل مع وحدة العرب والمسلمين وقوتهم. ومن هنا، كانت الدولة الإسرائيلية الجرثومية هي النقيض الديني والحضاري لنا. فإما ليلٌ، وإما نهار".

وفي الخرطوم، تجلت الثوابت العربية في اللاءات الثلاث: لا صلح... ولا تفاوض... ولا اعتراف.

وقال الشيخ حسن خالد في مؤتمر مجمع البحوث الإسلامية الرابع بالأزهر عقب هزيمة 1967م:

" لقد ثبت أن ما أُخذ بالقوة لا ترده إلا القوة، وأن الأعناق الملتوية كبراً وغروراً لا يُقوِّم صعرها [1] إلا ضربات الحق منا- نحن العرب والمسلمين، إننا قادرون على تحقيقِ النصر- بإذن الله وعونه، ثم بإمكاناتنا: مالا ورجالا، وبلاداً شاسعة فياضة بالثراء، وتاريخًا مشرفًا بالأمجاد وحوافز النضال، ودينًا سمحًا وصارمًا وعزيزًا، فيه كل مبادئ الكمال. إننا بهذا كله قادرون على النصر إذا فهمنا وضْعنا، وآمنا بمستقبلنا، واتصلنا بقضيتنا اتصالا تشترك فيه القلوب والعواطف، والضمائر والمشاعر منا جميعًا، قادةً وشعوبًا، ووضعنا كل إمكاناتنا في معركتها، وخرجنا إلى

(1) الصَّعَرُ: ميل في العنق، وانقلاب في الوجه إلي أحد الشدقين. وربما كان الإنسان (أصْعَرَ) خلقة، أو (صَعَّرَهُ) غيره بشيء يصيبه. وهو مصدر من باب تعب. و(صَعَّرَ) خده بالتثقيل، و(صاعَرَهُ): أماله عن الناس إعراضا وتكبرا (المصباح المنير: الفيومي 1/ 340).

ساحتها بقلوب مفصولة من كل رواسب الخلاف، وشوائب الحقد. . . ولو بقينا معتمدين في طلب حقوقنا المسلوبة على منطق العدالة والحق في ردهات المؤسسات الدولية، فإننا سنبقى متطلبين في الماء جذوة نار" (1) .

تلك كانت بعض الشعارات السياسية والفتاوى الدينية التي اعتدناها قبل مرحلة السلام. فماذا تغيَّر في القضية الفلسطينية حتى تتغير الشعارات والفتاوى، والسياسات والرجال؟ هل عادت الأرض، وتحرَّرت فلسطين؟ أم تغيَّرت إسرائيل فصارت حَمْلا وديعًا مسالمًا؟ أم تغيَّر الحق؟ أم تغيَّرنا نحن؟

إن الله لا يتغير، والدين لا يتغير، والحق لا يتبدل، فالحق قديم، والحق واحد في كل زمان ومكان، ولا يمكن أن يتغير الحق من أجلنا، والدين لا يتبدل محاباة لنا، وسنن الكون لا تتحوَّل قواعدها. فلا نصرة، ولا عزة إلا بنصرنا دين الله تعالى. أما مَن حارب دين الله فله الخذلان: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ** ﴾ [الرعد: **11**].

وإسرائيل لم تتغير، ودورها الذي أنشئت من أجله لم يتبدل، وما جاء في "الميثاق وتقريره" عن وجوب الجهاد لتصفيتها عام **1970** أو قبلها بقليل، صالح لأن نقله اليوم. جاء الميثاق مؤكدًا إجماع الأمة العربية على ضرورة التعاون الإيجابي الفعال في تحرير فلسطين المغتصَبة، وتصفية الاستعمار الصهيوني على هذا الجزء من الوطن العربي.

ومما جاء بنصه: "إن إصرار شعبنا على تصفية العدوان الإسرائيلي على جزء من الوطن الفلسطيني، هو تصميم على تصفية جيب من أخطر جيوب المقاومة الاستعمارية ضد نضال الشعوب، وليس تعقب سياستنا للتسلل الإسرائيلي في أفريقيا غير محاولة لحصر انتشار سرطان استعماري مدمِّر".

"إن الأمة العربية قد مرَّت في محنة فلسطين بتجربة مريرة، أدركتْ منها أن الاستعمار ليس مجرد نهب لموارد الشعوب، وإنما هو فوق ذلك- عدوان على كرامتها، وعلى كبريائها. إن الأمة قد خرجت من تلك المحنة بدرس بالغ العبرة، تمثل في إصرارها العميق على كراهية الاستعمار، وعلى هزيمته، وفي تصميمها على

(1) كتاب المؤتمر الرابع لمجمع البحوث الإسلامية، ص **30**.

استرداد الجزء السليب من الوطن العربي، وفي إيمانها بأن وحدة الهدف يجب أن تكون شعارها وسلاحها وأسلوبها في النضال من أجل الحرية والكرامة والقوة والعزة القومية » [1].

ولليوم، اليهود لم يجنحوا للسلم، ولم يعلنوا استعدادهم لإرجاع فلسطين المحتلة، ولكن زاد كبرهم وعتوهم وعدوانهم، وتحديهم لنا، وإهانتهم لمقدساتنا.

أما سماحة الشيخ ابن باز، فقد أصدرَ فتاوى تحرم السلام مع اليهود، وتدعو للاجتماع والوحدة لقتالهم، وتحرير الأرض المقدسة منهم، وإقامة دولة فلسطين على حكم الإسلام، لا على حكم الشيوعية، ولا العلمانية. فإذا ما نشرت جريدة فتاوى جديدة تنسبها له، تجيز الصلح مع اليهود دون أن يتغيَّر شيء من الواقع أو من أطراف القضية: فلا تصالح حقيقي، ولا مبررات مقنعة، ولا مصلحة شرعية راجحة- فإننا نجزم هنا أن هذه الفتاوى لا تخص ابن باز الذي نعرفه.

إن الحقيقة الأساسية، التي تكشَّف عنها عملية السلام، هي أن بعضنا قد تغيَّرَ، وصار أكثر مراعاة للغرب ومصالحه، واتباعًا له، مداهنة وتصنعًا، وخوفًا وهلعًا، وتراجعًا عن الثوابت الوطنية والقواعد الإسلامية، بل قد صار هذا البعض أكثر وضوحًا في التعبير عما كان يكنه في صدره من قبل. وإذا ذهب الحياء، فاصنع ما تشاء.

وإلا ما المبرر لأن يتغير الميثاق الوطني الفلسطيني الذي كان يدعو إلى عدم الاعتراف بإسرائيل، وأن مَن اعترف بها يعد خائنًا للقضية الفلسطينية، وأن الكفاح المسلح هو الطريق الوحيد لتحرير فلسطين؟ وماذا تغيَّر حتى تعترف منظمة التحرير الفلسطينية بإسرائيل، وتنبذ ما يسمى الإرهاب، وتعترف بالقرارات الدولية الجائرة التي لم تعترف بها إسرائيل نفسها، والتي وقفت المنظمة ضدها، والتي وقفت المنظمة ضدها من قبل، مثل قرار مجلس الأمن بتقسيم فلسطين (242)، وقرار (338)؟ وأين شعار المنظمة الرئيسي: «ثورة... ثورة حتى النصر»؟؟

وماذا تغيَّر حتى تتبدل الفتاوى الدينية التي كانت ترمي بالكفر والارتداد من يبيع شبرًا، أو يتوسط في بيع حبَّة رمل من الفلسطينيين، أو يرضى بذلك، وبأنه إنما يبيع

(1) الميثاق وتقريره، ص 130، 223.

الأقصى نفسه؟ وماذا حدث لأمة القرآن التي يدعوها كتابها الخالد لمقارعة الباطل، ومدافعة الطغيان، ومنازلة المتجبرين؟ بل ماذا أصاب أمة العرب التي كنا نقول عنها حتى وقت قريب: "من المحيط الهادر، إلى الخليج الثائر"؟! وهل يجوز للمقاتل أن يلقي السلاح قبل أن تبدأ المعركة، ويساوم على حق معلوم لا يجوز له المساومة عليه، ويرضى بالفتات من الموائد، وهو قادر على النكاية في العدو؟

إنه لا شيء تغيَّر في الواقع، غير أن الرجال أنفسهم يتغيرون، ويتبدلون، ويتلونون، ويتراجعون، وينهزمون، ويبيعون!!

والذين يدفعون إلى الاستسلام لليهود وبيع القدس هم أصحاب المصالح الخاصة، التي يخافون عليها. وهذه المصالح ليست مصالح الوطن. وهم أهل المكاسب السريعة، والاستثمارات التي نبتت شيطانيًا خارج إطار القانون- وإن تكن في حمى القانون! ومنهم المرتزقة من غلاة العلمانيين والتقدميين، ممن لا دور لهم على ساحة المشروع الحضاري للوطن إلا التعويق، وممن خربت ضمائرهم، وباعوا ذممهم للشيطان الأكبر، وارتهنوا حرية الوطن في سوق النخاسة العالمي الجديد، ممن يتشدقون بالشعارات المضادة للإسلام المفرَّغة من المضمون، والجبناء الذين هم أحرص الناس على حياة، الذين يدعون إلى إنقاذ ما يمكن إنقاذه فقط بالكلام.

وهؤلاء إذا ذُكرتْ إسرائيل دعوا إلى السلام، فلم يحارب العرب إلا العرب، وفي حال إسرائيل نسمع كلمات الحكمة والتعقل، والتعايش السلمي، وحقن الدماء، وإنقاذ ما يمكن إنقاذه. أما إذا أغرى الشيطان، فالعراق يعلن الحرب على إيران، ما دام الغرب يرضى ويحب، ويندفع العراق إلى احتلال الكويت، وينقسم العرب إلى فريقين متصارعين متقاتلين في حرب الخليج الثانية، ويستخدم كل منهما آيات الجهاد والقتال في القرآن، التي لم تعد آيات ضد اليهود. فما أسهل أن يعلن العربي الحرب على العربي. أما إسرائيل فلها حلو الكلام، وشعارات السلام! ومن سخرية القدر من الأمة العربية وصولها إلى حد أن جيوشها التي دخلت فلسطين لتحافظ على الحق العربي فيها عام 1948م- كانت تحت القيادة العليا لأحد العملاء الذين اشتراهم الاستعمار بالثمن البخس... بل إن العمليات العسكرية تحت هذه القيادة العليا كانت في يد ضابط إنجليزي، يتلقى أوامره من الساسة أنفسهم الذين

أعطوا الحركة الصهيونية وعد بلفور، الذي قامت على أساسه الدولة اليهودية في فلسطين [1] .

وخطاب جمال عبد الناصر في عيد النصر السادس ببور سعيد (يوم 32/ 12/ 1962م)، فيه عبارات ذات دلالة هنا؛ إذ قال:

" السنة اللي فاتت، وأنا باتكلم معاكم هنا قلت: إن الرجعيين وأعوان الاستعمار والصحف المأجورة بيقولوا: الله. إيه لما بتعمل جيش ساكت ليه، ما تروح تحارب في فلسطين، وردُّ أرض فلسطين والأرض السليبة، قلت لهم هنا إن احنا اللي خلانا ضعفنا في فلسطين سنة 48 إن احنا دخلنا واحنا بنقول: وحدة الصف، ما كانش فيه وحدة هدف، كان فيه خيانة، كان فيه عملاء للاستعمار، وكان فيه رجعية، وكان فيه ناس بتاخد أوامر من لندن" .

" قلت لكم السنة اللي فاتت رد على هؤلاء الناس، قلت: إن احنا إن شاء الله حنروح- إن شاء سنكون قادرين على تحرير الأرض السليبة في فلسطين بعد ما ننضف جبهاتنا الداخلية، بعد ما نخلص من الرجعية المتآمرة مع الصهيونية والاستعمار" .

"كانوا بيقولوا سبع دول عربية اللي دخلوا حرب 48، الحقيقة ما كناش سبع دول عربية بأي حال من الأحوال، كنا دول عربية تحت السيطرة الأجنبية، إمتى نبقى دول عربية، حنبقى يوم ما تكون كل دول عربية تحررت من الرجعية ومن السيطرة" [2]

واليوم نحن لسنا بعيدين عن هذا الواقع. بل ما وصل إليه الحال بعد معاهدة غزة- أريحا، واتفاق "واي ريفر"، هو استجداء السلام من العنجهية الإسرائيلية، على حين إسرائيل متوقفة عن تنفيذ ما تم الاتفاق عليه، وفي كل يوم نشهد تراجع اليهود عن الشروط الإسرائيلية التي تم الاتفاق عليها من قبل. فهم فرضوا الشروط، وهم أنفسهم يتراجعون عنها، مما يجعلنا نجزم بأن إسرائيل لا تريد سلامًا، بل تراوغ لكسب الوقت والغنائم والأرض والسلام جميعًا، دون أن تعطي شيئًا. على حين نجد "السلطة الفلسطينية"، لا تملك أمام هذا الغرور الإسرائيلي إلا الاستمرار في

---

(1) انظر الميثاق وتقريره، ص 40.

(2) نشرته الهيئة العامة للاستعلامات المصرية .

استجداء السلام الإسرائيلي وإن يكن بالشروط الإسرائيلية نفسها . فكيف يكون سلامًا عادلا ، نتعاهد عليه ، ونلتزمه أمام العالم؟

بل صرنا نعلن ألا تفكير في الحرب ، ولا إعداد ، ولا استعداد ، وأن السلام لا بديل عنه . وكلما تعنتت إسرائيل ، وهَدَّدتْ بالحرب ، ذكَّرناها نحن بالسلام والأدب والهدوء ، ودعونا إلى التعايش بين الشعوب في المنطقة ، وأن هدفنا هو السلام العادل الأبدي ، وليس الوقتي أو المرحلي ، وأن حرب رمضان هي آخر الحروب ، وأنها كانت حربًا من أجل السلام ، سلام الأقوياء وليس سلام الضعفاء ، سلامًا يعيد الحقوق كاملة ، ويعزز الكرامة . . .

هذا ما سمعناه ونسمعه للآن ، **ثم نرى من يدعي - إذا أراد أن يصدر فتوى : أن السلام بيننا وبين اليهود مرحلي ، ويبني فتواه على ذلك . فعليه أن يذكر لنا من من السياسيين الذين أبرموا معاهدات سلام مع اليهود ذكر أن السلام معهم هو هدنة ، وليس سلاما أبديا ، وأي نص في هذه المعاهدات ذكر فيه أنها مؤقتة ، ومن يمكن أن يدعي رسميا أنها مؤقتة؟ وإذا كانت أبدية ، فلا يعني هذا إلا أنها ضد الشرع ، لأنها اعتراف بسيادة قانونية يهودية على مقدسات إسلامية أمام العالم ، وهذا باطل . فكيف يمكن لنا بعد ذلك أن نخون عهدا أبرمناه ، أو ننقض ميثاقًا التزمناه ، أو نتحدى العالم بأسره؟**

وقد كان يمكن أن نصدِّق أن السلام مرحلي لو رأينا استعدادًا للجهاد يومًا ، أو بثًا لروح الجهاد في الأمة ، أو تربية للأجيال الطالعة على قيم الجهاد وأخلاق الإسلام ، ولكن العكس هو الذي نراه : إغفالا متعمدًا للجهاد ولذكره ، بل إغفالا متعمدًا للإسلام نفسه ، وتآمرًا على الدين وأخلاقه وقيمه ، وبثًا لأخلاق الانحلال والانحراف والفساد ، وكأن هناك مؤامرة وحلفًا لضرب الإسلام ، وقتل روح الكبرياء في الأمة لكي تجثو على الركب ، ولا ترفع يومًا رأسًا مطالبة بحق أو استرداد أرض .

وحين دعا بعض المسلمين إلى الجهاد لتحرير القدس ، وأعلنوا مشروعهم في تكوين جيش من مليوني مقاتل لهذا المقصد ، استهزأ بهم المثبطون والمرجفون ، وسخروا منهم . سخر الله منهم ، وعدوا ذلك نوعًا من المزايدة السياسية لا غير ، لأنهم لا يفهمون إلا لغة الخداع السياسي المألوفة في عالمهم . وقد زايدوا بدورهم

على هذه الدعوة للجهاد، وكأن تحرير القدس صار من المستحيلات، بعد أن كانوا هم أنفسهم أبطال المزايدة على قضية القدس وفلسطين.

إن الدعوة لتحرير القدس صارت- في زمن الاستسلام العربي- تلاقَى بالسخرية والاستهزاء، بدلا من المعاونة والتأييد!! والذين خضعوا للشروط الإسرائيلية لم يقولوا لنا ماذا بعد هذا، ولم يبينوا أن هناك فعلا خطة علمية، أو طريقًا يرسمونه يمكن السير فيه إلى النهاية التي هي التحرير، والواضح أننا مدعوون إلى الاستسلام للأبد، فلا شيء يوحي بغير ذلك!

ولكننا لا ننسى لعدة عقود مضت، كانت هناك عهود يعاهدون الله عليها: أن يحرروا فلسطين، ويعيدوها إلى أهلها، ويردوا المشردين إليها، ويطهِّروا المقدسات الإسلامية من دنس اليهود، وبسبب ذلك كمَّموا أفواهنا بقولهم: لا صوت يعلو فوق صوت المعركة. فماذا حدث حتى تُنسى هذه العهود والمواثيق المغلظة مع الله تعالى في لحظة واحدة؟

وماذا عن المليارات التي أنفقت لشراء الأسلحة حتى لصقت أيدينا بالتراب؟ وماذا عن الصواريخ المرصودة تحت الأرض، وأحدث الأسلحة التي صدعت رءوسنا بذكرها والتفاخر بها؟ أليست هي لعزة الوطن، أم لغرض آخر بعيد عن ذلك؟ وإذا كانت كل هذه السنوات مضت، وكل هذه الأموال أنفقت لشراء الأسلحة والمعدات الحربية المتطورة، ثم في ساعة الجدِّ ندَّعي الضعف، ونركن إلى التخاذل. فمتى يمكن أن نكون أقوياء، نقاتل كالرجال لاسترداد حقوقنا المنهوبة من أحفاد القردة والخنازير؟

إن الصواريخ التي أطلقت في حرب المدن بين العراق وإيران، وتزيد على ثلاثمئة صاروخ من الجانبين، لو كانت أطلقت على إسرائيل لحرقت نصفها، والأموال التي أنفقت في حرب الخليج الأولى والثانية، كانت كافية لتحرير فلسطين ثلاث مرات، وعدد المقاتلين المسلمين الذين سقطوا كان كافيًا لتحريرها مرتين!

ثم ألا يستحي هؤلاء من قولهم: نحن ضعفاء في مواجهة إسرائيل؟ فأين كانوا؟ وماذا فعلوا طوال نصف قرن؟ وماذا حين كانت إسرائيل وليدًا لم يزل يحبو؟ ولماذا لم نأخذ بالقوة الواجبة كل هذه السنوات لتحرير مقدسات الإسلام؟ هل يريدون لنا

أن ننتظر خمسين سنة أخرى إلى أن يموت الحق، فلا يعود هناك مطالبٌ ممن ضيعوا الحق، وخدَّروا الشعب؟

ها هي إسرائيل المسالمة تطلق قمر تجسس علينا بعد آخر، وتضع صواريخ متطورة، وتستمر في تطوير صناعتها العسكرية والتكنولوجية، وتتقدم صناعيًا وزراعيًا وتقنيًا، ونحن لا نتقدم لكي نحدث توازنًا استراتيجيًا مطلوبًا معها، برغم أن لدينا الإمكانيات!

ومن يخوفنا الآن بالسلاح النووي الإسرائيلي، نسألهم أين كانوا حتى امتلكت إسرائيل وحدها السلاح النووي، وتقدمت فيه؟ وقد حذر كثير من خبراء الاستراتيجية العسكرية منذ وقت مبكر من امتلاك إسرائيل السلاح الذري، ودعوا إلى أن نسعى لامتلاكه أيضًا، ومن هؤلاء اللواء الركن محمود شيت خطاب- رحمه الله- الذي قال بعد هزيمة **1967** في مؤتمر مجمع البحوث الإسلامية الرابع بالأزهر الشريف عام **1968**:

"إني أنذر العرب والمسلمين بأن إسرائيل أوشكت على إنتاج السلاح الذري. والحل الوحيد أمام العرب والمسلمين هو امتلاك هذا السلاح. لقد تعلمنا من تاريخ الحروب، أن امتلاك سلاح جديد من طرف واحد، يؤدي حتمًا إلى استخدامه للقضاء على الطرف الآخر. وفي حرب **1936** بين الحبشة وإيطاليا، استخدمت إيطاليا الغازات السامة في الحبشة؛ لأن الأحباش لم يكونوا يمتلكون السلاح الغازي. وفي الحرب العالمية الثانية (**1939-1945**) بين المحور والحلفاء، لم تستخدم الغازات السامة؛ لأن الطرفين المتحاربين كانا يمتلكان هذا السلاح. وعندما استطاعت الولايات المتحدة الأمريكية إنتاج السلاح الذري، استعملته عام **1945** ضد اليابان دون تردد، لأن اليابان لم تكن تمتلك هذا السلاح. ويجب على الدول الإسلامية التي تمتلك المال أن تجاهد بمالها، والتي تمتلك الخبرات العلمية أن تجاهد بخبراتها، وإلا فلن تبقى الأموال ولا الخبرات إذا سبقت إسرائيل العرب بإنتاج السلاح الذري، وإني أنذر وأحذر، فهل من سميع مجيب، أم على قلوب أقفالها؟!" [1].

---

(1) كتاب المؤتمر الرابع للمجمع، ص 157-158.

وإن كنا ضعفاء، فمَن المسئول عن هذا الضعف؟

إن كنا ضعفاء فبسبب السياسات الخاطئة، والقرارات الطائشة، والكبت السياسي، والفساد الإداري، والقصور الفكري. ولم يصنع الضعف إلا من يريد أن يركن إليه، ويحتج به علينا؛ لكي نفرط في حقوق متقررة. فما كفاهم أن أضعفونا، حتى يريدوا الانحدار بنا إلى الجبن والتخاذل، والاستسلام واليأس.

وإن كانت إسرائيل قوية، فبسبب من وضوح مشروعها السياسي، وإن يكن ظلمًا وباطلا، وبسبب إدارتها السليمة لهياكل الدولة، والحرية السياسية المكفولة لمواطنيها وأحزابها، ولأنها تقوم على حكم القانون والمؤسسات، لا على حكم الزيف والديكتاتورية والادعاء.

إن ضعفنا الحقيقي هو افتقاد الإرادة السياسية، وعدم تكوين توجهات سياسية وطنية تضع المصلحة الإسلامية في أولوياتها. إنه ضعف الساسة، لا ضعف الشعوب، فهم يزدادون ضعفًا أمام أعدائنا؛ لأنهم لم يختاروا الانحياز لشعوبهم. فبقاؤهم ليس متوقفًا على مساندة هذه الشعوب لهم وعلى تأييدها وبيعتها التي تعطي بها ثمرة القلب، فهي مغلوبة على أمرها، ولو فتح لها باب الجهاد لما تراجعت، ولا بخلت حتى تحرِّر كل شبر من فلسطين، وتغسله من أدرانه، من البحر حتى النهر.

إن المشكلة ليست في أننا ضعفاء في مواجهة اليهود، فلسنا كذلك. وكل فرد في هذه الأمة يعلم يقينًا أننا الأقوى. بل إننا قادرون، وفينا عزة الإسلام، وكبرياء المسلم وشموخه. ونحن طرف فاعل في صناعة الحضارة العالمية، فلدينا أرقى فكر، وأسمى عقيدة، وأحكم شريعة، وأشرف أخلاق. ومهما يكن ببعضنا من انحراف، فلا يزال بأمتنا الخير. ونحن نزداد كل يوم قوة وعزمًا وإيمانًا، بفضل صحوة إسلامية متنامية، وإقبال من الشباب والشابات على دين الله تعالى، وتصاعد روح التضحية والبذل في الأمة.

والمأساة هي فيمن لا يريدون استثمارًا لهذه القوة وتلك القدرات في الأمة، ولكن يعملون على هدرها، وكأنهم أحرص على خدمة الأعداء! وكأنهم يريدون القضاء على الطموح الفاعل في قلوب الشباب المؤمن، الراغب في الجهاد والشهادة

والتحرير. ونحن نتحدى أن تكون فتاوى المهادنة، والاستسلام راجعة إلى نبض الجماهير، أو معبرة عن طموحات الأمة بقواعدها الواسعة. والمشكلة هي أن الزمام بعيد عن أيدي هذه الجماهير التي تُهدر حقوقها على مسرح السياسة الدولية. ولكن هذا لن يستمر إلى الأبد.

إن احتجوا علينا بأن إسرائيل ليست وحدها، ولكن الدول الغربية كلها تقريبًا من ورائها، تساندها وتؤيدها ضدنا، قلنا لهم: إن هذا مخالف لما تقولونه دائمًا من أن دول الغرب هي "دول صديقة لنا"، ومخالف لنمط العلاقات التي نراها تبرم مع الغرب. فإما أن يكون الغرب مع إسرائيل ضدنا، وإما أن يكون معنا ضد إسرائيل، وإما أن يكون على الحياد. وهذه ثلاث حالات لا يجتمع منها اثنان، على حين تقول السياسة القائمة: إن الغرب مع إسرائيل ضدنا، وفي الوقت نفسه صديقنا. فهل هو خداع آخر؟ ولماذا لا تُعلن الخصومة مع الغرب، ويغير نمط العلاقات معه إذا كان هو المحرض لإسرائيل، والمساند لها على تحدينا والعدوان علينا، واستمرار احتلال بلادنا، بدلا من الادعاء أنه صديق؟

إن للغرب مصالحه الحيوية في العالم الإسلامي، الممتد الأطراف، والعظيم السكان، والمتنوع الاقتصاد. وإن اجتمعت كلمة العالم الإسلامي سياسيًا على موجهة إسرائيل لاستطعنا التأثير على الغرب إلى حد كبير في موقفه من إسرائيل. وإذا دخل العالم الإسلامي كله في حرب لتحرير فلسطين، فلن يكون الغرب مستعدًا لمواجهة العالم الإسلامي كله، لأن الغرب بوضوح لا يعرف إلا مصالحه، وهو غير مستعد نفسيًا لحرب طويلة يخسر فيها كثيرًا من جنوده، وكثيرًا من اقتصاده ورفاهيته التي اعتادها، ولديه من خبرات الحروب العالمية: دمار وخراب وتشويه مادي، حتى إنه ليحجم عن الدخول في حرب مفتوحة تكلفه خسائر كبيرة في الأنفس والثمرات.

ومن الأحداث ذات الدلالة هنا: أن الأوربيين سارعوا بتأييد الموقف العربي في صراعهم مع إسرائيل؛ لفزعهم من فرض العرب حصارًا بتروليًا كاملا على أوروبا، إبان حرب رمضان **1393هـ**.

ويجب ألا نغفل الرأي العام العالمي؛ إذ سيقف ضدنا إذا حاولنا الخروج على

معاهدات دولية التزمناها . أما إذا رفضنا هذه المعاهدات بداية ، فقد ضمنا- مع العمل الدبلوماسي الجيد- وقوفه بجانبنا ، وليس العالم كله أمريكا وأوروبا فقط ، إذ هناك الصين واليابان والهند وغيرها . وقد وقف الرأي العام بجانب مصر في عام **1956** ضد عدوان إسرائيل وانجلترا وفرنسا ، وكان له أثره في تراجع هذه الدول عن عدوانها ، فبرغم تفوقها العسكري الواضح على مصر ، إلا أن تبلور رأي عام عالمي ضد هذا العدوان عجَّل بوقفه واندحاره ، كما أن المقاومة الشعبية الباسلة في بورسعيد ، ورفض الشعب الاستسلام ، كان من أهم أسباب تراجع العدوان .

ومن هنا ، نفهم أهمية أن يؤيد الرأي العام العالمي قضيتنا العادلة ، وذلك حين لا نتنازل نحن أولا عن هذا الحق ، ولا نخضع لقوة العدوان الغاشمة مهما يكن بنا من ضعف . أما إذا أبرمنا معاهدات صلح ، وتنازلنا فيها عن حقوقنا بمشهد من العالم ، فلن نجد نصيراً حين نريد أن " ننقض " هذه المعاهدات- كما تقترح الفتوى .

إننا لا نستطيع أن نتقبل من يعلنون السلام لإسرائيل ، وأنه لا سبيل لحل القضية الفلسطينية سوى السلام ، على حين يعلنون الحرب على الشباب المسلم ، ويرفضون تمامًا الحوار معه حين يريد نظامًا إسلاميًا خالصًا من شوائب العلمانية . ونعجب حين نرى كل الحلم والصبر والصفح تجاه اليهود ، وتحمل الإهانات والوقاحات والبذاءات ، والتغاضي عن القرارات اليهودية الخطيرة التي يمكن أن تشن لأجلها حروب عالمية- على حين يؤخذ المسلم بالشبهات ، وتُبذل المحاولات لتحجيم الصحوة الإسلامية ، وتجفيف منابع التدين ، ونشر الانحلال والتفسخ في شباب الأمة ، وإلهائه عن واقعه السيىء ، بإعلام فاسد يؤدي إلى الميوعة والسفاهة .

ومَن صاحب المصلحة في السعي لمسخ الهوية الإسلامية ، والمصادرة على الدعوة ، وتخويف الناس من الإقبال على الدين ، وملاحقة المتدين واعتقاله وتصفيته ، وتشويه الإسلام نفسه إيمانًا ببعضه وكفراً ببعض ، وعزلا له عمداً عن الإعلام والتعليم والتربية والقوانين والتشريعات والإدارة والحكم والثقافة والسياسة؟

ومن العجيب ، أن نرى إسرائيل في جوارنا ، تقوم على عقيدة يهودية دينية ورؤية توراتية . ونحن نرفض أن نقيم دولتنا على أساس من عقيدة الإسلام ، بل

نفضلها علمانية على النمط الغربي، وكأن الإسلام والنصرانية سواء في تقدير علاقة السياسة بالدين . . . والعقيدة اليهودية تدفع إلى مزيد من ضم الأرض حتى تنطبق حدود إسرائيل على ما في كتبهم الدينية المزيفة، واليهودية تعد غير اليهود كلابًا وحميرًا جُعلت لخدمة اليهود . ولن يواجه هذه العقيدة الخطيرة إلا عقيدة الإسلام، حين تكون في القلوب والأفئدة .

إن روح التخاذل والتردد هي التي ضيَّعت فلسطين، فما كان لعصابات من شذاذ الآفاق أن تستولي على قطر إسلامي، وتقيم فيه دولة، إلا إذا كان هناك متواطئون وجبناء وخونة . ومقاومة هذه الدويلة الشيطانية لن يكون إلا بإحياء روح الجهاد في الأمة، لا بالدعوة إلى الاستسلام والانهزام أمام عنجهية يهودية فارغة . ومن الحق أن نقول إن الزمن قد تغيَّر، فالمسلمون الآن يجاهدون عتاة الكفر وقوى الظلم في العالم، في فلسطين، والعراق، وأفغانستان، والشيشان، والفلبين، وكشمير، وداغستان، والسودان وغيرها . ولن يرضى أبناء هذه الأمة بالاستسلام؛ لأن الله ا قد منَّ عليها بروح الإيمان، وعقيدة الاستشهاد في سبيل الحق . والمسلمون اليوم في جميع أنحاء العالم يقفون بالمال والدعاء والمتطوعين والسلاح والعتاد وراء كل ثغر من ثغور الإسلام، فالحمية الدينية قوية، واليقظة الإسلامية واضحة، وإن افتقدت التنظيم أحيانًا . وقد تعلمنا من المحن كيف نستعد للنكبات بالإعداد الروحي والمادي، لا خور، ولا سقوط .

* * *

14- الأعزُّ والأذلُّ...
صراع بين الحق والباطل!

نحن أمة عريقة في حضارتها، قوية بروح الإيمان وقيم الإسلام. دينها الاستشهاد واسترخاص الأرواح في سبيل الحق، وكرامة الأمة، وصيانة الشرف. ولدينا من الإماكانيات والقدرات ما يؤهلنا لتحرير كل شبر من بلاد المسلمين محتل. ومن العار أن ندَّعي الضعف والخور، ونركن إلى الذل والهوان. ومن الظلم لأنفسنا أن نزين للجبناء والمتخاذلين منا ذلك، وأن نقدم لهم المبررات لترك الجهاد، والدعوة إلى المهادنة، والتنازل والتصالح مع المعتدين المتجبرين.

ومن أعظم الشذوذ، وأبلغ العجب أن نعد أنفسنا، أو أن نكون كذلك حقًا- ضعفاء أمام من حكم الله عليهم بالذلة والمسكنة. وهم فعلا أهل ذلة ومسكنة، وسخط من الله وغضب، وتشريد في الأرض- فأمام من إذن سنكون الشجعان الأشداء، رهبان الليل، فرسان النهار- كما كان سلفنا الكرام؟

ربما يوجد عندنا حكومات ضعيفة، ولكن الشعوب غير ضعيفة. ولو كانت الحكومات الضعيفة تركن إلى الشعوب، وتستند إلى قاعدتها العريضة، وتؤثر مصالحها على مصالح غيرها- لما كان بها هذا الضعف والوهن. ولو فتح لشعوبنا باب الجهاد لما تراجعت، ولا بخلت حتى تحرر كل الأرض الإسلامية في جميع بقاع العالم.

ولا ننكر أن بالأمة بعض ضعف وانحرافات وأخطاء، ولكنا نعتقد أن سببها الرئيسي، ترك الجهاد في سبيل الله. فإن حياة الجهاد إذا فتَرَتْ في الأمة، أصابها الوهن والضعف بلا شك، وطمع فيه الأعداء. وما ترك قومٌ الجهاد، إلا ضربهم الله بالذل والمسكنة والانحطاط. وإن الجهاد يجدد شباب الأمة، ويصنع لها مقصدًا ساميًا، يحفظ تماسكها، ويحشد طاقاتها، ويفعِّل قواها تجاه العدو الخارجي، وفي ساحته يتربى الشباب على المعاني العلية، والقوة والخشونة وحياة الجندية، مترفعين عن الرخاوة وسفاسف الأمور، وتبرز روح الجماعة والرغبة في البذل والفداء والتضحية، وتظهر البطولات والمهارات والمعجزات، وتصاغ روح الأمة من النار والبارود صياغة العزة والإباء والكرامة. فلا استسلام، ولا خوف، ولا وهن، ولا تركًا للحقوق تنتهب من الأقزام المعتدين.

وإن يكن في الأمة ضعف، فترك الجهاد مُزيد لضعفها وهنًا على وهن، وانحطاطًا على انحطاط، وانحلالا على انحلال. فسبب الذلة والضعف، هو ترك الجهاد. فإذا تركنا الجهاد احتجاجًا بالضعف، فقد قلبْنا القضية، وجعلنا السبب نتيجة. والنبي ﷺ يبين في الحديث:

"إذا تبايعتم بالعيْنة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد، سلطَ الله عليكم ذلا لَا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم" [1].

وهذا الحديث يوضح أن ترك الجهاد هو ترك للدين، وسبب للمذلة والانحطاط، وأن الجهاد هو سبب العزة ومهابة الأمة في قلوب أعدائها، وما يؤدي إلى ترك الجهاد هو الكسل والدعة، والترف والتنعم، والركون إلى متاع الدنيا الزائل. فإذا كان الأمر كذلك في أمة، فإنّ تسلط الأعداء عليها محتوم، يقول الله تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ (٢٠) كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ** ﴾ [المجادلة: 20-21]

وعن النبي ﷺ في حديثه: "**ما ترَك قومٌ الجهاد، إلا عمهم الله بالعذاب**" [2].

وأعظم درس في هذا الجانب هو الجهاد الأفغاني، حيث لم تستطع روسيا الملحدة حين كانت امبراطوريتها عظمى أن تخضع عزة المسلم الأفغاني، برغم عددها وعتادها وسلاحها المتقدم، وقنابلها النووية، والأسلحة المحرَّمة دوليًا، وباءت بالهزيمة والخسران أمام جماعات مجاهدة، لم تكن جيشًا نظاميًا، ولم تتسلح بما يكفي، ولم تتدرب كما تدرب الجنود الروس. ولكنها إرادة الشهادة، وعظمة الجهاد الإسلامي حين تشتعل جذوتها في الصدور.

ودليل قوتنا هو أن يجتمع كل هذا الكيد العالمي ضدنا، من صهيونية عالمية رأسها إسرائيل، وصليبية دولية رأسها أمريكا، وصليبية جديدة رأسها روسيا، وشركية وثنية رأسها الهند. فإن اختلفت هذه الدول في شيء، فهي متفقة على حرب الإسلام والمسلمين، وبينها التخطيط الشامل لتعويق كل صحوة وقوة تنبت في

(1) أخرجه أحمد في المسند، مسند عبد الله بن عمر (5562). وأبو داود، كتاب الإجارة، باب ف النهي عن العينة (3462). والبيهقي في السنن، كتاب البيوع، باب ما ورد في كراهية التبايع بالعينة (10484). وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (11).

(2) أخرجه الطبراني في الأوسط (3839). وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (2663)

العالم الإسلامي ؛ ولذلك هم وراء مخططات ضرب الصحوة الإسلامية ، ومحاولات وأدها في مهدها ، وكتم أنفاسها ، وتشويه صورتها ، وتزييف أهدافها ، ومحاولة عزلها عن الجماهير بالتضليل والخداع والمكر السيئ . وما أوجدت إسرائيل أساسًا في قلب وطننا العربي إلا لزرع الشقاق ، والتعويق المستمر لكل نهضة عربية .

إننا لسنا فقراء ، ولا ضعفاء ، ولا جبناء . ولدينا من مخزون البترول- السلعة الاستراتيجية- ما يمكن أن يخضع الغرب لكثير مما نبغي ، إذا كانت عندنا الإرادة في استثمار هذه السلعة التي منَّ الله علينا بها ، كما فعلنا في حرب رمضان **1393**هـ . فالغرب يُشلُّ بدون البترول العربي . والحقيقة أنه يحصل على البترول منا بثمن زهيد بعيد عن العدالة .

والمسلمون هم قنبلة سكانية تغيظ الغرب وتخيفه ، فنحن لدينا خصوبة عالية ، وهم لا يلدون .

ونحن نتحكم في مضايق العالم البحرية الرئيسية ، وطرق التجارة والموانئ . والعالم كله يحتاج لموارد المسلمين ، وموانئ المسلمين ، وأرض المسلمين ، وصداقة المسلمين . ونحن لا نريد- برغم ذلك- أن نستفيد من هذا لمصلحة قضيتنا !

وبرغم كل هذه الإمكانيات والقدرات ، لم ننهض لإعادة بناء الذات ، ولم نأخذ خطوات رسمية جادة للتقدم العلمي والاقتصادي . اللهم إلا في بلاد مثل : أندونيسيا ، وماليزيا تقدمت صعدًا ، وشذت عن معادلة التخلف التي رسمناها على جباهنا وصدورنا ، وكأنه قدر محتوم . وصار تقدمها هو الاستثناء الذي يؤكد القاعدة الغائبة في عالمنا الإسلامي ، ويبرز لنا أن العيب ليس فيما نملك ، ولكن في كيفية إدارة ما نملك ، وفيمن يدير ، وأهدافه الحقيقية التي يسوق إليها البلاد والعباد .

وما الذي يمنع هذه الأمة من التوحد ، أو على الأقل التعاون للنهوض وإنقاذ المقدسات الإسلامية؟ وإذا لم يسع للوحدة والتحرير الخائفون والطائفيون ودعاة الجاهلية الحاضرة ، فليس دورنا أن نقر- فضلا عن أن نزين- هذا الواقع المزري ، ولكن دورنا هو أن ندعو إلى الوحدة التي تؤدي آليًا إلى تحرير الأرض والمقدسات ، لا أن ندَّعي أننا ضعفاء ، ولا يجب علينا تحرير ، ولا جهاد ! فالعرب هم القوة الثالثة في العالم ، والمسلمون هم القوة الثانية في العالم .

إن من مَزَّقوا الأمة شرَّ مُمَزق، وحاربوا أنفسهم وطواحين الهواء، بدلا من حرب إسرائيل، واستنفدوا طاقات الأمة في غير قضية، يجب أن نقول لهم: كفوا أيديكم عن حرب بعضكم بعضًا، وحاربوا إسرائيل، أو ارحلوا واتركوا للأمة الخيار في أن تجاهد من أجل كرامتها، ولتدفع العدو المغتصب.

ماذا عند إسرائيل يجعلنا نخاف ونهتز؟

إن كان مالا، فلدينا من المال الكثير.

وإن كان رجالا، فلدينا من الرجال أكثر.

وإن كان سلاحًا وعتادًا، فلدينا منه الكثير الذي يكفي.

وإن كانت شجاعة، فلدينا شجاعة المجاهدين الراغبين في الشهادة، الذين قال الله في شأنهم: ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً ﴾ [الأحزاب: 23]، وعدونا قال الله فيه: ﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ [البقرة: 61].

وإذا لوحوا بالقنابل الذرية، فلدينا السلاح الكيماوي المعادل- بوجه ما- للقنابل النووية. والعالم الإسلامي ليس خاليًا من قنابل نووية في باكستان، وتركمانستان وغيرهما. وإسرائيل لا تجرؤ على استخدام السلاح النووي إلا في حالة اليأس والانتحار.

ويؤكد الدكتور "أسامة الباز" - مستشار الرئيس المصري للشئون الخارجية- أن القدرة النووية الإسرائيلية لن تخيف أحدًا؛ لأن هناك قيودًا وحدودًا لاستخدامها، وأنه إذا استخدمت إسرائيل القدرة النووية، أو هددت باستخدامها، فلدى العرب من الوسائل الأخرى الكفيلة بتحييد هذه الميزة والتقليل منها كثيرًا، كالأسلحة التقليدية، وأسلحة الدمار الشامل. وسيكون تأثيرها على إسرائيل- لو استُخدمت- أكبر من تأثير السلاح النووي على العرب. وهي لا تستطيع أن تتفوق على العرب حتى لو كانت تحوز القدرة النووية؛ لأن المسألة في النهاية لا تحسمها القدرة النووية، وإنما الجيوش على الأرض، ووضع إسرائيل كدولة صغيرة يمكن اجتياحها في مدة

وجيزة . ولكن كل هذا لا مبرر له حاليًا ؛ لأننا لا نسعى إلى حروب في المنطقة ؛ لأنها لم تعد تحتمل ذلك "[1] .

وهذا كلام رجل خبير ، وسياسي محنك ، ومسئول مطلع . ويؤيد جميع ما ذكرناه للآن في هذا الكتاب ، وما سنذكره أيضًا ، إلا أننا لا نتفق معه في عدم وجود مبرر حاليًا لاجتياح إسرائيل ، فهذا الاجتياح هو حل للمشكلة التي صنعتها إسرائيل ، ونهاية للآلام ، ورد للحقوق إلى أهلها . وهذه مبررات قوية لإنهاء هذه المحنة بما قاله العرب قديمًا : " القتل أنفى للقتل " ، **فسيظل التوتر والقتل موجودين بوجود إسرائيل ، ولن ينتهيا إلا بنهايتها .**

وكلام أسامة الباز يوضح أننا متفوقون على إسرائيل ماديا وعسكريا ، فأين الضعف ؟ ولماذا الوهن إذن ؟ وهل يصح هنا أن نصدر فتوى دينية تقول إننا ضعفاء ، علينا الاستسلام بشروط العدو ؟

آلا فلنترك المتخصصين يصدرون تقديراتهم بالقوة والضعف ، لأننا بادعاء الضعف نوجه ضربة قاضية إلى روحنا المعنوية ، ونقتل روح المقاومة وإرادة الفداء والتضحية في قلوبنا ، ونغذي دوافع التدمير الذاتي وفقد الثقة بالله وبالنفس ، والشعور بالإحباط والوهن والحزن والدونية ، وتنمية عقيدة نقص لا نستطيع أن نبرأ منها بعد أن تحررنا من مثل هذه العقد في حرب رمضان **1393**هـ ، وحطمنا أسطورة التفوق الإسرائيلي .

ولماذا نتصرف – مع هذه التصريحات السياسية الواضحة بقوتنا – وكأننا أمة مهزومة ؟

لماذا نفكر كمهزومين ؟ ونعيش كمهزومين ؟ ونرضى بنصيب المهزومين ؟ إننا أمة ليست مهزومة في روحها ، ولا في أبنائها ، ولا في جيوشها ، فقد انتصرنا في آخر حرب واجهنا فيها الإسرائيليين نصرًا مبينًا ، غسلنا به عار الماضي . ولو كانت الحرب استمرت وقتًا قليلا لانتهت إسرائيل تمامًا ، وصارت أثرًا من الماضي !

إن المؤسف هو أننا لم نستفد من هذا النصر ، وقتلنا في داخلنا روح الانتصار ، وتجمد شعورنا عند لحظات الهزيمة المريرة والعجز والانسحاق . فنحن أقوياء ، ولكننا

(1) مجلة الشباب ع **214** ، مايو **1995** م ، ذو الحجة **1415** هـ .

نشعر بالضعف. والقوة إحساس، والنصر إيمان، والعزة شعور، والشرف ضمير. هذه كلها كانت تنقص رؤساء المسلمين أيام اجتاح الصليبيون بلادهم: كانت لديهم قوة، ولكنهم كانوا يحسون أنهم ضعاف، وكانت لديهم أدوات النصر، ولكن كان ينقصهم الإيمان، وكانت لا تنقصهم أسباب العزة بالإسلام والعروبة، ولكن قلوبهم كانت خاوية من الشعور بالإيمان والعزة، وكانوا يمثلون شعوبًا تجمعت لها أسباب الشرف جميعًا، ولكن ضمائرهم كانت قد ماتت منذ زمان طويل، وقوم هذه حالهم، حقيقون أن تنزل بهم الهزيمة، ولو كان خصمهم هَمَلا وغثاء، كهذا الذي قذفته أوروبا على بلادهم باسم الصليبيين [1].

ويقينًا سيُحدِّث التاريخ عنا يومًا كما حدَّث عن هؤلاء. ولو كان لنا أن نأخذ درسًا من الحروب الصليبية، لعلمنا أن الصليبيين استطاعوا أن يحتلوا مساحات أوسع مما تحتله إسرائيل الآن، ومكثوا مئتي عام يتمددون في منطقة الشام، ويهددون مصر والعراق. ومن المفارقات أن بعض العرب كانوا يوالونهم، ويستعينون بهم، ويبيعونهم السلاح. والبابا في روما وأباطرة الكنائس في أوروبا يظاهرونهم، ويمدونهم بالمال والسلاح والرجال والتأييد الديني والسياسي.

ولكن أسلافنا كانوا أفضل منا؛ إذ برغم كل هذا لم يستسلم أسلافنا، ولم يفكروا جميعًا في النهاية كمهزومين. ولو فعلوا لأعطوا الصليبيين شرعية الوجود في مملكة القدس، وإمارات طرابلس والرها وأنطاكية التي أسسوها في بلادنا، ولو عقدوا معهم صلحًا لربما مكثوا حتى يومنا هذا، وكنا الآن نتكلم ونكتب بغير لغتنا العربية، بل كانت كثير من الأقطار العريقة في إسلامها ربما تحولت عن دينها.

إن الضعف معناه العجز عن تحرير فلسطين وتخليص المسجد الأقصى. والسؤال هو: هل نحن حقًا عاجزون عن ذلك أن نحن متخاذلون؟ وهل لدينا الرغبة فعلا في الجهاد والتضحية أم نريد أن نخلد إلى الأرض ونتبع الأهواء؟

وإن الذي لا شك فيه عندي، هو أننا قادرون على تحرير فلسطين اليوم- كما كنا

---

(1) د. حسين مؤنس: نور الدين محمود- سيرة مجاهد صادق، ط 2، الدار السعودية، 1404هـ، 1984، ص 85.

(2) تصور الإخوان المسلمين للقضية الفلسطينية: د. عبد الفتاح محمد العويسي، دار التوزيع والنشر والإسلامية، القاهرة، 1989، ص 6.

قادرين فعلا من أول يوم أعلن فيه قيام إسرائيل، ولو كنا حقيقة نفتقد الإرادة السياسية- لا الإمكانات المادية والبشرية إذا أردنا إنقاذًا لماء وجهنا أمام العالم، أو إرضاءً لربنا بأداء ما افترض علينا من صيانة لبلاد الإسلام ومقدساته.

يقول د. عبد الفتاح محمد العويسي في كتابه: "تصور الإخوان المسلمين للقضية الفلسطينية":

"إن قضية فلسطين لم تحل، ليس لأن المسلمين لا يقدرون، بل لأنهم لا يريدون، وهم لا يريدون لأنهم لا يشعرون، وذلك لأنهم مسلمون أدعياء".

ومن الخطأ سياسةً، إن كان بنا ضعف، أن نصرح به، أو نكشف للعدو عنه. بل الواجب أن نستره ونخفيه، ونظهر من القوة ما يرهبه. فإظهار الضعف يضيع الهيبة، ويجرئ العدو، ويبخس الحقوق. والواجب إن كان بنا ضعف أن ننتظر حتى تقوى شوكتنا ونتهيأ للجهاد، دون أن نبرم مثل هذا السلام المهين. إذ ما الداعي إليه؟ وما المصلحة فيه؟

إن اليهود لا يهتمون بمبادرات السلام إلا لأنهم يخشوننا، فحياتهم رعب قائم منذ تأسيس دولتهم؛ لأن مصير كل دولة مغتصبة إلى زوال مهما بلغت من قوة وتمكن، وهذا درس من أعماق التاريخ. وهم اليوم يريدون سلامًا بشروطهم، وأولى بنا أن نرفض، لأننا الأقوى، وألا نرضى الدنيَّة في ديننا ودنيانا، **فالضعف يأتي من الاستسلام للأعداء، والركون إلى السلامة والدعة، والرغبة عن الجهاد، وتفضيل عرض الدنيا القليل على الشهادة والجهاد في سبيل الله تعالى.**

إن الأمة الإسلامية لا تحتاج إلى هذا السلام، وليس هو في مصلحتها، بل هو في مصلحة اليهود ومَن لف لفهم.

وعادة ما نسمع- إذا وصلنا إلى هنا- قول الخائفين: إنَّ ضعفنا ليس في مواجهة إسرائيل وحدها، ولكن في مواجهة الغرب كله، لأن إسرائيل هي ربيبة الغرب؛ ولن يألو هؤلاء جهدًا في الدفاع عنها.

نقول: إن الغرب ليس صفًا واحدًا في موقفه من إسرائيل، وهو لا يعرف إلا مصالحه، وإذا رأى أنها تهددت فسوف يضطر لأن يعدل سياسته؛ حفاظًا على

مصالحه. والغرب لا يستطيع أن يشن علينا حربًا شاملة؛ لأنه لا يعرف معنى الشهادة، ولا يرى الطريق إلى الجنة، ولا يستطيع التضحية بجنوده إلا لمدى قريب محدود، وإذا قُتل منهم عدد؛ فإنه يجزع ويتراجع أمام الرأي العام الثائر هناك، ويضطر لاستخدام أساليب السياسة والحوار والمفاوضات.

ويجب ألا ننسى أنه إذا كان الغرب مع إسرائيل، فمعنا الله وروح القدس وتأييد الملائكة، ونحن الأعلون بإيماننا وقوة اليقين بالله وبوعده بالنصر لمن نصره، والهزيمة لمن عاداه. فالله قادر على إبطال كيدهم، وتعطيل سلاحهم، وخسف قوتهم، واستئصال جذورهم، وإلقاء الرعب في قلوبهم، وإذا كان الله معنا فمن علينا؟: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل: **128**]، ﴿ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: **104**]، ﴿سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ [الأنفال: **12**].

وأخيرًا لقد قال المنافقون قديمًا: إنهم الأعز. ولكن الله حكَم بالعزة لنفسه وللمؤمنين، وأن المنافقين هم الأذل، وهم الذين كتب الله عليهم الإخراج من الديار والهزيمة: ﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾ [المنافقون: **8**].

وهكذا نحن اليومَ الأعز، واليهود هم الأذل.

* * *

15- هل يقاتل اليهود كما يقاتل الرجال؟

إسرائيل هي معزل ديني أصولي متطرف، يقوم على عقيدة توراتية محرَّفة. وهي عسكريتاريًا ضخمة، تستخدم العقيدة اليهودية للأغراض السياسية، وتضع قوانين تمييز عنصري خارج القانون الدولي والأعراف والتقاليد جميعها، ولم تضع دستورًا يحكمها؛ لأنها ليست متجانسة الفكر ولا محددة الأهداف والمطامع.

وعدم التجانس يجعلها ضعيفة في نسيجها الداخلي. ويزيدها ضعفًا اعتمادها على غيرها في قيامها واستمرارها. وهي تعد بلا ماء تقريبًا، ولا بترول، ولا غاز، ولا عمق استراتيجي، ومعظم الأرض التي نهبتها غير خصبة.

وإسرائيل ليست دولة تمامًا، ولا تحمل مكونات وخصائص الدولة بوجه ما، فهي مجتمع حرب، تتفشى فيه أوجاع الحضارة الغربية وأمراضها. ومع ذلك، هي ذات طموح إمبراطوري، ولكن طموحها يعد خرافة، أو حلمًا ووَهمًا عريضًا. ولا يشفع لها أن جيشها يعد الخامس في العالم؛ إذ يخاف جندها الموت، ويفرون من المواجهة، ولا يصمدون في ميدان الحروب الشعبية، كما حدث في لبنان عام **1982** وعام **2000** وعام **2006**م، حين انسحبت مضطرة تحت ضربات المقاومة الشعبية اللبنانية التي قادها حزب الله.

ولأنها مجتمع حرب، فلا هي من الناحية السياسية، ولا الاجتماعية، ولا الاقتصادية، تأهلت لسلام ما. وهي تعلم أن دورها هو الحرب، وأنها عبارة عن محارب يلبس لأمته باستمرار، ولا يضع سلاحه أبدًا، فالحرب هي هدف استراتيجي قائم ومستمر لإسرائيل، وبدونه تتعرض للتفكك والتحلل والانهيار، ولذلك هي حريصة على بقاء هذا الهدف مطروحًا بقوة.

وهي بعد ذلك، قزم اقتصادي يريد أن يلعب دور عملاق عسكري وقوة عظمى في منطقتنا. وأي حرب برغم ذلك ضدها، سوف تؤدي نفقاتها الباهظة إلى انهيار اقتصادها تمامًا، والى سلسلة من الاحتجاجات والاضطرابات والمظاهرات والانهيارات والتراجعات السياسية. ويكفي أن تحجب أمريكا دعمها المالي لإسرائيل

حتى تنهار اقتصاديًا، وتفقد كل ثقة في عملائها. وهي تعاني تضخمًا ماليًا مزمنًا، وتعجز أن تعيش على مواردها الخاصة، وتتصاعد ديونها الخارجية، حتى ليعد كل إسرائيلي مدينًا للخارج بأكثر من خمسة آلاف دولار.

ووظيفة السلام المرجوَّة، هي جعل إسرائيل قادرة على الاستغناء عن المساعدات الغربية بالاعتماد على نفسها، والتعاون والاعتماد المشترك مع دول المنطقة. فالغرب لا يستطيع أن يعطي المساعدات للأبد، ولا أن يضمن سلامة إسرائيل للأبد؛ لذا هو يعتمد استراتيجية السلام ليتحقق تقبل إسرائيل في المنطقة، وتعمقها فيها، وسيطرتها عليها اقتصاديًا وعسكريًا.

ومن الناحية المعنوية، يعاني اليهود من الجبن المزمن والهلع المرعب كلما واجهوا العدو، وكأن الجبن مرض وراثي أخذوه كابرًا عن كابر، فحين دعاهم موسى و لدخول الأرض المقدسة رفضوا، برغم أن الله كتب لهم النصر، وضمن لهم التمكين فيها في ذلك الوقت إن دخلوها. ويبين القرآن الكريم هذه القصة بقوله تعالى: ﴿ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ۝٢١ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ۝٢٢ قَالَ رَجُلانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝٢٣ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾ [المائدة: 21-24].

ويتضح لنا في هذه الآيات من أحوال اليهود التالي:

1 . خوفهم من القوم الجبارين. فهم أذلاء يرهبون أعداءهم.

2 . لا يريدون قتالا على الإطلاق، ويخشون المواجهة.

3 . لا تؤثر فيهم الموعظة البليغة، فقلوبهم قاسية.

4 . يجمعون إلى الجبن الوقاحة حين يجترئون ويقولون لموسى في عبارة عجيبة: ﴿ فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾ [المائدة: 24].

5 . تصريحهم بجبنهم وذلتهم وقعودهم عن القتال، برغم أن الله وعدهم النصر هناك.

وفي كل زمان ومكان، كان اليهودي يجعل من بيته حصنًا، ويتجمع اليهود في حصون وقلاع، كما كانوا في المدينة النبوية وخيبر وفدك وتيماء. وفي أوروبا عاشوا في الجيتو اليهودي المغلق. وفي فلسطين يعيشون في مستوطنات ومستعمرات (كيبوتز). وهم يحصنون بيوتهم منذ القدم بالحديد المصفح، والكتل الخرسانية، والأخشاب القوية. ويُبيِّن الله تعالى دأبهم هذا، وجانبًا من أحوالهم مع النبي ﷺ في سورة الحشر في قوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ (٢) وَلَوْلَا أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ (٣) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٤) مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ (٥) وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٦) مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٧) لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (٨) وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٩) وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (١٠) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١١) لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ (١٢) لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ (١٣) لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ [الحشر].

وهذه الآيات تنعتهم بنعوت، وتفضحهم بأحوال تلزمهم أبد الدهر. وتؤكدها آيات أخرى منها قوله تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: 96]، ومنها قوله سبحانه: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۝٦ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [الجمعة: 7].

ومن أجل هذا، يفضل اليهود أن يقاتل غيرهم بالنيابة عنهم لو أمكن، أو يوقعون بين أعدائهم، ويتركونهم يُفني بعضهم بعضًا، ويلجئون إلى المراوغة والتآمر للوصول لأهدافهم، فهم يخافون رفع السلاح والتعرض للموت الذي يكرهون، ولا يثبتون في مواجهة، بل يتخذون جُدُرًا وحصونًا يستترون بها، فاليهودي الحقيقي لا يقاتل إلا مضطرًا. وقد قالها لهم زعيمهم في حصار خيبر "كعب بن أسد القرظي": "ما بات رجلٌ منكم منذ ولدته أمه ليلة واحدة من الدهر حازمًا"[1].

ولذلك كانت كل مواقفهم مع النبيﷺ يستسلمون فيها، ويقعون سريعًا:

أ - يهود بني قينقاع يخورون بعد الحصار، ويخرجون من حصونهم.

ب - يهود بني النضير يستسلمون بعد الحصار، ويسلمون حصونهم.

ت - يهود بني قريظة يذعنون بعد الحصار، ويُخربون حصونهم بأيديهم.

ث - يهود خيبر ينهارون بعد مناوشات قليلة، فيطلبون الصلح برغم تحصنهم المنيع.

وفي كل جولة حاولوا أن يستعينوا بأعداء النبيﷺ من القرشيين وأهل نجد والأعراب والمنافقين. ولكن حكمة النبي الكريم، وتأييد الله سبحانه، جعلتهم يتلقون الهزائم المتكررة؛ ولأن المسلمين كانوا أولياء الله المدافعين عن دينه المستمسكين به، رفعهم الله على عدوهم، فأصبحوا ظاهرين.

فإذا رأيت بعد اليوم خنفساء تفر منك سريعًا إلى جحر خرب، أو تستتر بجيفة منتنة، فذاك هو اليهودي حين يواجَه بالقتال.

(1) تاريخ الطبري 2/ 99. البداية والنهاية: ابن كثير 4/ 120.

لقد كانت ابنة "موشي ديان" في رعب مع قومها كما عبرت في كتابها : "جندي من إسرائيل" عند بداية حرب **1967**، كتبت : "إن فرائصنا كانت ترتجف بسبب أنباء تجمع جيوش العدو على جبهتها الجنوبية مع مصر، فجاء إلينا الحاخام وصلى، وقرأ نصوصًا من التوراة، فانقلب خوفنا أمنًا" .

وقد يبدو هذا متناقضًا مع نتائج هذه الحرب، ولكننا نريد أن نؤكد أنه في يونيو **1967** لم تجر حرب حقيقية، والحرب الحقيقية التي جرى فيها قتال ومواجهة بين العرب واليهود هي حرب رمضان **1393**هـ، وغير ذلك لم يجر قتال، ولا كانت حروب. بالإضافة إلى أن الأمة في ذلك التاريخ كانت بعيدة بعدًا كبيرًا عن الدين وتعاليمه.

وعن ملابسات هزيمة **1967**، يقول اللواء حسن البدري- مدير أكاديمية ناصر العسكرية العليا في مؤتمر رسمي : أؤكد لحضراتكم أن هزيمة التاسع من يونيو ليس مرجعها إلى قدرات خارقة للعدو، وليس مرجعها قط إلى قصور مادي في القوات المسلحة العربية، أبدًا- لم تكن الهزيمة نتيجة قصور وعجز في الماديات، أبدًا- لم يكن النصر الإسرائيلي نتيجة قدرات غير طبيعية لجيش الدفاع الإسرائيلي، ولكن كانت الهزيمة من انصراف المسلمين من المعنويات، وتحولهم إلى الماديات تحولا كاملا، وكان النصر الإسرائيلي مرتكزًا على بغضاء وحقد وتفرقة عنصرية وأباطيل وأكاذيب. . [1] .

ثم يُبيِّن حسن البدري ذلك. ومنه :

"لم يكن سبيل القيادة الإسرائيلية السياسية أو العسكرية أو المعنوية هو شحذ العقائد والإيمان في صدور المقاتلين الإسرائيليين، ولكنهم كانوا يخاطبون أخس المشاعر الإنسانية، ويبثونها في صدورهم، ومن هنا كان المقاتل الإسرائيلي يقاتل وهو ممتلئ بالخوف الذي يدفعه إلى القتال : (إما أن تقاتل، وإما أن تُذبح أنت وأهلك، ويلقى بكم في البحر)! . . هذه الركيزة المعنوية التي ترتبط إليها أجهزة المعنويات الإسرائيلية، ركيزة خسيسة لا تستند على حقيقة، وتبعد تمامًا عن أي شيء صحيح. أما نحن العرب، فقد ذهبنا إلى الميدان، ونحن لا نعلم لماذا نذهب! ومكثنا

(**1**)رسالة الإمام (**5**)، وزارة الأوقاف، مصر، جمادى الأولى **1389**هـ، يوليو **1969**، ص **11**ـ**13** .

في الميدان، ونحن لا نعلم لماذا نرابط في ساحة الشرف! وأمرنا أن نعود من الميدان، ونحن لا نعلم لماذا عدنا! فكان أن وقعت الهزيمة، وكانت ساحقة دُمر فيها 80٪ من أسلحتنا ومعداتنا، واستشهد فيها آلاف من جند العرب. وفوق كل ذلك، وأهم من كل ذلك، تعثرت المعنويات تعثرًا بالغًا، كاد يأتي بها إلى حافة اليأس، وهنا كانت الطامة الكبرى، والخطورة الشديدة".

"لقد كان لنا في الميدان 800 دبابة من أحدث أنواع الدبابات، وكان لنا في الميدان نيف وألف وستمئة مدفع، وكان لنا في الميدان 30 ألف مقاتل، وكان لنا في أجواء المسرح [1] المختلفة ما يزيد على 150 طائرة قتال ومقاتلة قاذفة، وكان لنا أسطول بحري له شأن في شرق البحر المتوسط، من مدمرات وغواصات، وزوارق طوربيد، وزوارق صواريخ، وأسلحة أخرى. وقامت الحرب في الخامس من يونيو، في الساعة الثامنة والنصف، وانتهى القتال في ظهر اليوم التاسع من يونيو، وحاقت هزيمة كبرى بالقوات المسلحة للجمهورية العربية المتحدة- هزيمة لا تتعادل مع ما كان للقوات المسلحة من عتاد وأسلحة، وذخائر وأفراد، وأمل في النصر- لم يكن ينقص القوات المسلحة في هذا اليوم العتاد، ولا ينقص القوات المسلحة في هذا اليوم الذخائر، ولم يكن ينقصهم الأفراد ولا القادة ولا الخطط، ولكن كانت تنقصهم الروح المعنوية".

«انت العقيدة، عقيدة الجهاد، لاشك أنها كانت مهزوزة ومختفية، وكانت الماديات قد تسلطت على الفكر والعقل بما حجب السلاح الحقيقي، السلاح الأول، وهو سلاح الإيمان والإصرار والعقيدة، هذا هو الدرس الأول والحقيقة الناصعة»[2] أهـ.

كان عدد الإسرائيليين إبان حرب 1967 مليونين ومئتين وخمسة وستين ألفًا، استطاعت حشد 11٪ من هذا العدد في ميدان القتال أي مئتين وثمانين ألفًا، على حين حشد العرب (592) ألف جندي عربي، وكان هناك سبعمئة دبابة إسرائيلية لمواجهة (2730) دبابة عربية، و (450) طائرة إسرائيلية مقابل (580) طائرة عربية. ويتضح من قراءة هذه الأرقام أن إسرائيل كان مقضيًا عليها بالتدمير قبل أن تتعرض

(1) مسرح العمليات العسكرية.

(2) رسالة الإمام (5)، وزارة الأوقاف، مصر، جمادى الأولى 1389هـ، يوليو 1969، ص 11_13.

للهجوم لو كانت قامت حرب حقيقية، لجنودنا فيها استعداد نفسي. ولكن الذين حاربوا العقيدة، وحاولوا وأدها في القلوب، حاقت بهم هزيمة 1967 المنكرة؛ جزاءً وفاقًا لصدهم عن سبيل الله. وهنا تلفتوا حولهم، فلم يجدوا إلا سلاح الإيمان والعقيدة؛ لإعادة الروح المعنوية المنهارة إلى الجيوش والشعوب، ولتبديل السلبية واللامبالاة إلى شجاعة وإقدام.

وبعد هزيمة يونيو 1967م، كان "ديان" يختال عجبًا ويُردد: "إنني في انتظار تليفون من القاهرة؛ لنجلس سويًا؛ ونوقع معاهدة سلام".

ويعني طبعًا معاهدة استسلام.

وكان خيرًا للأمة أن عادت إلى الدين بعد الهزيمة، وقد وضح ذلك في حرب رمضان1393هـ، حيث أبرزت الدراسات التي أجريت على حرب رمضان أن مبادئ الحرب أعيد ترتيبها على ضوء نتائج هذه المعركة، وأصبحت "الروح المعنوية" تأتي في مقدمة المبادئ الحربية، وبعدها عنصر المفاجأة، ثم القدرة القتالية، وقوة النيران. وهذه إحدى التطورات الجديدة التي أدخلتها معركة رمضان على الحرب الحديثة.

لقد زاد معدل إطلاق النيران مع صيحة الله أكبر، وكان جميع الجنود المصريين- مشاة ومدرعات وجوية- يطلقونها عالية فتهتز المشاعر، وتهمل العيون، وثمانون ألفًا يرددون صيحة واحدة تشق عنان السماء. ويروي أحد المهندسين العسكريين قصته يومها: أنه كان يشعر بأن رمال الساتر الترابي تنصهر مع صيحة الرجال، أكثر مما تنصهر بخراطيم المياه.

وعَبَرْنا إلى الضفة الشرقية للقناة في ساعات معدودة، عبر ثمانون ألف جندي مصري، وحطموا خط بارليف، أعظم خط دفاعي صناعي في التاريخ، واجتازوا الساتر الترابي تحت ضرم النار وقذائف العدو، وكانت صيحة الله أكبر أعظم سلاح ومعين لجندنا، وإرهاب لأعدائنا، برغم أنه قيل: إن خط بارليف يستحيل تخطيه، ولا يمكن نسفه إلا بقنبلة ذرية، فأراد الله أن ننسفه بالماء. وقيل: إن أية محاولة لعبور القناة ستحولها إلى مقبرة، فعبرناها على رءوس جسور.

وبهذا العدد من الجنود، وما استطعنا نقله من معدات إلى الضفة الشرقية، هُزم الجيش الذي زعم أنه لا يُقهر، وتحطم معظم ما يملكه الإسرائيليون من مدرعات ودبابات، وهلك معظم سلاحهم الجوي.

وكانت القيادة العسكرية المصرية في حرب رمضان تقدر أن عملية العبور لقناة السويس ستكلفنا خسائر في الأرواح قد تصل إلى (35) ألف جندي. أما في الواقع، فقد ثبَّت الله الجنود، وصرَفَ كيد الأعداء، فلم يستشهد سوى (64) رجلا، وجرح (420) رجلا، وأصيب في العبور 17 دبابة، وتعطل 26 عربة مدرعة، وهذه الخسائر رمزية جدًا بفضل الله. على حين فقدت إسرائيل أكثر من ألفي مقاتل. وفي الأيام الأربعة الأولى للمعركة، فقد الجيش الإسرائيلي خُمس طائراته، أي 49 طائرة، وربع دباباته، أي 500 دبابة. وبعد أسبوعين، ارتفعت هذه الخسائر إلى 800 دبابة، وأكثر من 200 طائرة على جبهتي مصر وسوريا.

وكان الجيش الإسرائيلي متفوقًا في الطيران عمومًا والمدرعات والتعبئة العامة، ولكن التخطيط المصري للحرب واجه هذا التفوق باستعمال الصواريخ المضادة للطائرات والصواريخ المضادة للدروع، وبعنصر المفاجأة على جبهتين معًا في وقت واحد.

وقد كان من الممكن تطوير عمليات حرب أكتوبر، وتحقيق انتصار كاسح، كما يعرف جميع العسكريين المطلعين، لو توافرت الإرادة السياسية. ولكن يبدو أن الهدف كان قاصرًا على مجرد العبور للضفة الشرقية للقناة، ثم التوصل إلى هدنة مع العدو! وكل هذا برغم الانهيار التام الذي أصاب الجيش والقيادة في إسرائيل: «الجيش الذي لا يُقهر»!

وكانت هذه الحرب مظهرًا لتكتل الدول العربية على مشروع قومي واحد، عندما استخدمت سلاح البترول، وأثبتت بتحديها أنها قوة مؤثرة، بل ثالث قوة في العالم، وصار هناك فرصة لأن يؤدي الوطن العربي الكبير دورًا على ساحة السياسة الدولية، فضلا عن الزحف الإسلامي الأوسع الذي يمكن أن يمدنا بقوته. ولكن نحن بأيدينا حوَّلنا القوة ضعفًا، والوحدة فرقة وانقسامًا.

إن عدم إدراكنا لأطراف المعادلة بيننا وبين العدو، يجعلنا على خطأ في التقدير، وضعف التصور لإمكانات وقدرات الفريقين، وهذا يؤدي إلى الاستخذاء حين نظن بأنفسنا الضعف والهوان، لأننا لا ندرك حقيقة نقاط القوة فينا والضعف في خصومنا. وهذا ما نعانيه الآن، إذ نضخم كثيرًا قوة العدو، ونغمط قوتنا، وبذلك

يُقلب الميزان، وتضطرب المعادلة. ومن الضروري أن نعيد دراسة ما حدث من نصر مؤزر في حرب رمضان، ووحدة العرب بسبب هذه الحرب، ثم تمزقهم بسبب السلام، ودراسة انتصار حزب الله اللبناني على الجيش الإسرائيلي، حيث انكشف هشاشة القوة الإسرائيلية، وانكسرت كبرياؤها، وتبين أنها تقف خائفة على ساقين من قصب، أو تختبئ في دبابة الميركافا. ولا يمكن زراعة شيء في دبابة، ولا حتى زهرة رقيقة.

* * *

16- المثبطون والمرجفون ومنطق الاستضعاف

منطق الاستضعاف المؤدي إلى الاستخذاء ليس هو منطق الإيمان؛ لأن المؤمن لا يعرف الاستسلام والتسليم وقبول الأمر الواقع الظالم، وهو لا يحرص على حفظ أعراض الدنيا على حساب دينه. ولو كان الأمر على غير ذلك لما قاتل ولا قاوم المسلمون يومًا ما؛ لأنهم لم يكونوا يومًا أكثر عددًا أو أعظم قوة وسلاحًا من عدوهم.

ولو كان النبي م- والمسلمون من بعده- يسيرون على منطق الاستضعاف والاستخذاء هذا لما قاتلوا عدوًا، ولا ظهَر الإسلام على الأرض، وما دخل فيه كل هذه الشعوب. فغالب حروب الإسلام وفتوحه، لم يكن جيش المسلمين إلا أقل عددًا وعتادًا، من موقعة بدر، و إلى أن يأتي المسيح الدجال بقوته الرهيبة المتألهة.

ومن المعلوم: أن المسلمين كانوا مستضعفين في المدينة، وكان الأعداء يحيطون بهم من كل جانب إحاطة السوار بالمعصم، متحزبين ضدهم، متظاهرين على القضاء عليهم، واقتلاع الإسلام من جذوره. وفي هذا المعنى قوله تعالى:

﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [الأنفال: 26] . ومع ذلك، لم يفتر للمسلمين همَّة، ولا لانت لهم عزيمة في نصرة الدين، وأرسل النبي الكريم السرايا تترى، وقاد الغزوات. ففي السنة الأولى من الهجرة، أرسلت سرية حمزة بن عبد المطلب، وسرية عبيدة بن الحارث، وسرية عبد الله بن جحش. وفي السنة الثانية كانت غزوات: الأبواء، وبواط، والعشيرة. وبعد بدر الكبرى، كانت غزوة بني سليم، وغزوة السويق، وسرية زيد بن حارثة، ثم غزوة أحد في نهاية العام الثالث.

وبعد أحد كان غزوة الرجيع، وسرية بئر معونة، وغزوة بني النضير، وغزوة بني لحيان، وغزوة ذات الرقاع، وغزوة بدر الآخرة، وغزوة دومة الجندل، ثم غزوة الخندق في العام الخامس للهجرة، ثم غزوة بني قريظة، ثم غزوة ذي قرد، وغزوة بني المصطلق.

ولو كان النبي ﷺ يفكر من منظور الاستضعاف الذي نسمعه من الأفواه الخائفة الآن، لما بعث سرية، ولا قاد غزوة؛ لأن الصحابة كانوا مهددين دائمًا في ديارهم، فكيف يخرجون لغزو العدو وقد كانوا قلة وسلاحهم ضعيف، وأحيانًا يخرجون بغير زاد كاف، وبغير دواب تحملهم، فيعتقب الرجلان والثلاثة البعير. وفي غزوة ذات الرقاع، تمزقت أقدام الصحابة من الحجارة؛ لأنهم كانوا بلا نعال.

وفي غزوة الأحزاب، كانت قوات قريش وحلفاؤها يحيطون بالمدينة في حصار محكم، وظهر النفاق داخل المدينة، وفشل الناس، وعظم البلاء، واشتد الخوف على الذراري والنساء، ونقض اليهود من بني قريظة العهد، وانضموا إلى حلف مشترك. فهل يكون من الصحيح أن يستسلم المسلمون في هذه الحال لأنهم ضعفاء؟ يقول تعالى: ﴿ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلاَّ إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب: 22]

ويبيِّن القرآن الكريم حال الخائفين، ومن بأس الأحزاب بقوله: ﴿وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلاَّ فِرَارًا (١٣) وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلاَّ يَسِيرًا (١٤) وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ لا يُوَلُّونَ الأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولاً﴾ [الأحزاب: 15]

فأمام زخم الأحزاب لم يستسلم المسلمون، وقاموا برغم الحصار الرهيب من عدو عظيم العدد والعدة والعتاد. وهنا تظهر رءوس الجبناء والمرجفين في المدينة، يثبطون العزائم، ويدعون للانهزام خوفًا على المال والنفس والديار والأهل، برغم أنهم عاهدوا الله من قبل هذا على الجهاد وعدم الفرار. ولو استولى العدو على المدينة لسارعوا إلى الكفر خوفًا على دنياهم، فالله سبحانه يفضحهم ويبكتهم بقوله: ﴿ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لاَّ تُمَتَّعُونَ إِلاَّ قَلِيلاً (١٦) قُلْ مَن ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُم مِّنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا (١٧) قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَالْقَائِلِينَ لإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ [الأحزاب: 16-18]

وتواصل سورة الأحزاب كشف هؤلاء في حال الخوف وحال الأمن . ففي حال هجوم العدو ، يوشكون على الموت خوفًا وهلعًا ، فإذا انكشفت الغمة أعملوا ألسنتهم في المؤمنين سبًا وقذفًا ، ويتجسسون على المؤمنين لحساب أعدائهم . ثم يبين الله سبحانه يقين المؤمنين ، وتوكلهم على الله ، وثباتهم عند الخوف ، وإلحاقه سبحانه الهزيمة العظيمة بأحزاب الباطل ، وردهم بغيظهم لم ينالوا خيرًا ، وكفى الله المؤمنين القتال ، وأورثهم الأرض يفتحها عليهم . وهذا وعد إلهي ، فالله ينتصر لجنده دائمًا .

وفي سورة النساء ، يبيِّن القرآن حال المثبِّطين مرة أخرى فيقول : ﴿ وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا (٧٢) وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُن بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [النساء : 72-73]

ثم يدعو الله للإعراض عن هؤلاء المتثاقلين عن الجهاد ، ويأمر المؤمنين بقوله : ﴿ فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء : 74]

وتستمر الدعوة ممتدة في الآيات بعدها ؛ لاستنقاذ المستضعفين من المسلمين من الرجال والنساء والولدان , الآيات : [الآيات : 75-77] وعند هذه الدعوة يتزلزل الخائفون : ﴿ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلا أَخَّرْتَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلا تُظْلَمُونَ فَتِيلاً (٧٧) أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِندِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلاءِ الْقَوْمِ لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴾

[النساء : 77-78]

وفي غزوة مؤتة في السنة السابعة من الهجرة ، كان جيش المسلمين ثلاثة آلاف رجل ، وكان جيش الكفار مئة ألف ، فقال نفر من المسلمين لما رأوا كثرة جيش العدو : نكتب إلى رسول الله نخبره بعدد عدونا ، فإما أن يمدنا بالرجال ، وإما أن يأمرنا بأمره فنمضي له . ولم يرق ذلك لعبد الله بن رواحة ، فشجع الناس قائلا : "يا

قوم! والله! إن التي تكرهون للتي خرجتم تطلبون: الشهادة، وما نقاتل الناس بعدد، ولا قوة، ولا كثرة. وما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به، فانطلقوا فإنما هي إحدى الحسنيين: إما ظهور، وإما شهادة[1].

فكان لهذه الكلمة الملتهبة أثرها، فاختفت من صفوف المسلمين مشاعر التردد، وعزموا على القتال مهما تكن النتائج.

وفي موقعة اليرموك، هَزم بضعة آلاف من المسلمين جيش القوة العظمى الرومانية البالغ **70** ألف بيزنطي بالتروس والدروع، على حين المسلمون يتشارك كل اثنين أو ثلاثة منهم في سيف واحد، يناولون السيف من يد ليد آخر ليضرب كل منهم ضربة في سبيل الله، وتغرب شمس يوم المعركة بانتصار ساحق للمسلمين، ويقول بعدها هرقل: "سلام عليك يا سوريا، سلامًا لا لقاء بعده"[2].

ويقول المؤرخ توينبي: "إن انتصار المسلمين في اليرموك، والقادسية، ونهاوند، يعدل تمامًا أن تقوم كوبا بمحاربة أمريكا وروسيا، فتقهرهما في بضع سنين".

وفي عصرنا الحديث، الذي يتميز بدخول التكنولوجيا المجال الحربي، هزم المجاهدون الأفغان الاتحاد السوفيتي، وقاتل المجاهدون الشيشان روسيا، وقاتل المسلمون في البوسنة الصرب ومَن وراءهم، وهزم اللبنانيون إسرائيل في الجنوب اللبناني، ولا أحد يستطيع أن يقول إن المقاومة الإسلامية في العراق، أو لبنان، أو الشيشان، أو البوسنة تعد أكثر عددًا أو سلاحًا من عدوها. ومع ذلك، تزيد النكاية في العدو كل يوم، فهل كان يمكن لأحد أن يفتي هؤلاء المجاهدين بأن يحفظوا دماءهم، وأن يستسلموا ولا يقاوموا عدوًا مدججًا بالسلاح حتى الأضراس؟ هل نقول لهم اتركوا الجهاد لأنكم الأضعف، واحرصوا على الحياة، واخلدوا إلى الأرض، وارضوا بالدنيَّة، واتخذوا عدوكم أصدقاء وبطانة ووليجة، واقتسموا معهم لقمة عفنة، وإن كانوا يهودًا، أو شيوعيين، أو صليبيين؟!

إن ظن السوء بالله هو الذي يدفع إلى الانهزام، كما بيَّن سبحانه: ﴿ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن

---

(1) حلية الأولياء: أبو نعيم الأصبهاني 1/ 119.

(2) تاريخ الطبرى: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري 2/ 131.

لَّن يَنقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴾ [الفتح : 12] . فظن المنافقون أن المسلمين يُبادون من عدوهم ؛ لأن عَدد العدو أكثر وعددهم أعظم ، وتخلفوا عن القتال معهم لأجل ذلك ، ودعوا إلى عدم النفرة في سبيل الله ، وتمحَّلوا الأعذار الواهية ، من الخوف على الأهل والمال والديار . وما هم إلا جبناء متشككون ، يتمنون في سريرتهم فناء المسلمين .

ولكن الله تعالى هو الذي ينتصر لأهل الإيمان ، ويرفعهم على حالهم من القلة والضعف والذلة . وهذه سنة إلهية في الصراع بين الحق والباطل ؛ حتى تظهر قوة الله تعالى ونُصْراته الغيبية لجنده ، وليُعلم أن الحق ينتصر بحول الله وقوته ، وينتصر لأنه حق محضٌ . لا أن ينتصر أهل الحق لأنهم الأقوى ، أو الأكثر . وهذا معنى كامن في التوحيد الإلهي ، أن ينصر الله جنده حين تقعد بهم الأسباب عن النصر .

إن لله إرادة لابد أن تتحقق ، وهي قوله تعالى : ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ۝ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴾ [القصص : 5-6] ، وهذه إرادة إلهية عامة ، وإن ارتبطت بأبلغ مثال ، حين كان موسى و مستضعفًا مع قومه ، وفرعون يستكبر ، ويريد أن يُبيد هؤلاء المؤمنين الضعفاء ، فأغرقه الله تعالى : ﴿ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ﴾ [الأعراف : 137]

النصر لا تصنعه كثرة باغية طاغية ، ولكن قلة عادلة مؤمنة ، كما قال تعالى : ﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [البقرة : 249] ، وكما قال سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾

[آل عمران : 123]

والله سبحانه ينصر جنده بالإمداد بالملائكة ، وإلقاء الرعب في قلوب الأعداء ، أو يرسل عليهم ريحًا تقتلع جذورهم ، أو ماءً يغرقهم ، أو أمراضًا تقعدهم ، وما يعلم جنود ربك إلا هو : ﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ۝ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾

[الأنفال : 12-13] .

وهؤلاء الملائكة يكون عددهم بالآلاف، يدفعون عن المؤمنين الصادقين الصابرين المتقين، في مدد مفتوح من السماء بالسلاح المناسب للعصر، كما يقول سبحانه: ﴿ بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾ [آل عمران: 125]

وعن أنس قال: "كنا مع النبي ﷺ في غزوة، فلقي العدو فسمعته يقول: "يا مالك يوم الدين، إياك نعبد وإياك نستعين"، فلقد رأيت الرجال تصرع، تضربها الملائكة من بين أيديها ومن خلفها" [1].

وهكذا يكون الدعاء سببًا من أسباب النصر والعزة والغلبة. وقد كان النبي ﷺ يبدأ حروبه بتعبئة الجيش، والدعاء إلى الله بطلب النصر والمدد. وكذا كان الصحابة الكرام. ويشتهر في ذلك دعوة صحابي أبرَّ الله قسَمه، وهو البراء بن مالك الأنصاري في قتال الفرس، حين رفع يديه ودعا: "أقسم عليك يا رب: لما منحتنا أكتافهم، وألحقتني بنبيك!" [2].

واستجاب الله دعاءه، فهُزم الفرس، ونال البراء الشهادة.

لذلك يمكننا أن نقول: إن الدعوة إلى ترك الجهاد، والتخاذل عنه، بدعوى ضعفنا أمام العدو، ليس مصدرها الحقيقي أهل الإيمان. فمنبعها الحقيقي من الذين في قلوبهم مرض، الذين يثبطون عن البذل والتضحية، أمَّا ﴿ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ (١٧٢) الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣) فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾

[آل عمران: 174]

وتبين هذه الآيات: أن ما أصاب المسلمين في أُحد من جراح وكسرة، لم يقعد بهم حين دعاهم النبي الكريم للخروج إلى "حمراء الأسد"، برغم أن الجروح

---

(1) المعجم الأوسط، للطبراني، حديث رقم (8163).

(2) أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب معرفة الصحابة رضي الله تعالى عنهم، ذكر البراء بن مالك الأنصاري (5274). والبيهقي في الشعب، الحادي والسبعون من شعب الإيمان، وهو باب في الزهد وقصر الأمل (10483).

مازالت على حالها، وانطلقوا لشن حرب وقائية، وهم أقل عدداً وعدة من عدوهم. ولم يكن بهم تردد، ولم يرهبهم التخويف بقوة الخصم، بل زادهم إيمانًا وتوكلا على الله، فأرهبوا العدو، وأقاموا بساحة الحرب أيامًا، وفرَّ العدو كثير العدد والعتاد خائفًا.

يقول الحق سبحانه: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ (١٤٦) وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (١٤٧) فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمران: **146-148**].

وتوضح هذه الآيات ثبات الأنبياء وأتباعهم في مواطن القتال، ورفضهم الاستضعاف والوهن والاستخذاء برغم ما يصيبهم في القتال، ثم يعترفون بالضعف النفسي، ويُقرون بالخطأ والذنوب، ويستغفرون منها ويتصبرون، فآتاهم الله ثواب الدنيا، وهو النصر والغنيمة، وحسن ثواب الآخرة، وهو الجنة.

ونحن لم يصبنا ضرٌ في سبيل الله، ومع ذلك نريد التخاذل، ولا نستحي أننا نتقلب في نعم الله ليل نهار، آمنين في بيوتنا، نأكل ملء البطون، ونشرب فنتضلع، وننام ملء الأجفان، ونستخدم التكييف صيفًا، والمدافيء شتاءً. ونضع حسابات في البنوك بالعملات الدولية، وننفق عن سعة، أو نمسك عن شح. فإذا ما كُتب علينا القتال ادعى فريق منا الضعف، ورضي الوهن، وبخل واستغنى، فاستغنى الله.

الله سبحانه يقول: ﴿ وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: **104**]، أي لا تجبنوا عن متابعة العدو وطلبه استهانة بقوتكم، فكما بكم من ضعف أو آلام لقلة عدد أو عدة أو عتاد، فبعدوكم ضعف مقابل في شيء ما ظاهراً أو مخفيًا، فلا تظنوا بأنفسكم الانهزام، ولا تتقاعسوا لما يظهر من قوة العدو، ولما يبدو من ضعفكم.

وتكثر الآيات القرآنية التي تعالج من يدعو إلى الفشل والانهزام بحجة الضعف أو ركونًا إليه، ومنها الآيات (**121-129**) من سورة آل عمران وما بعدها، وهي تصور وقعة أحد حين بوَّأ النبيُ ﷺ المؤمنين مقاعد للقتال، وأظهرَ الله طائفتين كانتا

على خط الفشل والانهزام احتجاجًا بالضعف. والله يذكر بأنه نصر جنده في بدر وهم أذلة، وينهي عن الخنوع لما نراه في أنفسنا من ضعف أمام العدو، ويعد بمدد من الملائكة المسلحين، من ثلاثة إلى خمسة آلاف ملك. وفي ذلك بشرى لتثبيت المؤمنين؛ لأن النصر حقيقة هو هبة إلهية. فالله يريد أن يذل الباطل وأهله، ويكبتهم فينقلبوا خائبين. وهذا تصريف بيد الله وحده. وما علينا إلا أن نعتمد على قوته وحوله، فهو مالك ما في السموات والأرض، وبيده أن ينزل السخط والغضب على من يشاء، ويعفو عمن يشاء.

وتدعونا الآيات إلى تأمل هذه الموعظة وذلك البيان: ﴿ **هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ (١٣٨) وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١٣٩) إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ** ﴾ [آل عمران: **138-140**]

وفيها نهي صريح عن الوهن والركون للضعف، فالمؤمنون أعلى بإيمانهم. وإن كان بهم ضعف، فعدوهم دائمًا يعد أضعف منهم، فإن أصاب منا يومًا فسنصيب منه أيامًا، وإن كسرنا مرة فلا ينبغي أن نركن إلى الضعف، فسيديلنا الله عليهم، فالله يمحص ويطهِّر المؤمنين، ويمحق الكافرين.

والاحتجاج بالضعف وراءه حقيقة هامة يكشفها القرآن الكريم وهي الخوف من الموت، يقول تعالى: ﴿ **أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ (١٤٢) وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ** ﴾ [آل عمران: **142-143**]. والآيات هنا تحث المؤمنين على الشهادة في سبيل الله، وعدم التعلق بالحياة الدنيا.

ويُميز الله بين المؤمنين والمنافقين في مواطن البأس، يقول سبحانه: ﴿ **وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لاَّتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ (١٦٧) الَّذِينَ قَالُوا لإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ** ﴾ [آل عمران: **167-168**].

ولعله يتبين لنا الآن أن فتوى تدعو المسلمين إلى الرضا بالظلم، والاستسلام لشروط العدو، والتخلي عن الجهاد باسم الضعف، بعيدة عن هدى القرآن، وسنن الأنبياء، وروح هذه الأمة. وهذه الفتوى لو لم تكن خطأ دينيًا لكانت خطأ سياسيًا، والله تعالى يقول: ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً (٨٣) فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلاً ﴾ [النساء: 83-84].

* * *

17- الضعف المجيز لمهادنة الأعداء

لفقه في عصرنا الحاضر صار علمًا واسعًا، يحسن أن ينقسم إلى تخصصات دقيقة، على أن يستعين الفقيه بالخبراء والإخصائيين في الموضوع الذي سيُفتي فيه، أو أن يُصار إلى الفقه الجماعي، الذي يُسند البحث والدراسة والإفتاء فيه إلى جماعة من الفقهاء، يكمل بعضهم بعضًا في العلم بجوانب موضوع الفتوى المختلفة.

وفتوى في الصلح مع اليهود، تقتضي دراسات تاريخية وسياسية، وقانونية ودبلوماسية، واستراتيجية وعسكرية. بل دراسات نفسية واجتماعية، بالإضافة إلى الدراسة الشرعية الفقهية، التي تعتمد على النص الديني.

فمن الواجب الاطلاع على الظروف التي بدأت فيها المشكلة الفلسطينية، والأسباب التي صنعتها، وتطور القضية، ومعرفة جميع العوامل الدولية والمحلية المؤثرة فيها، وقياس الرأي العام العالمي والمحلي، والاستعانة بالبيانات والأرقام والحقائق، التي تغيب عن عامة الناس، ولكنها لا تفوت الإخصائيين، ودراسة الأهداف السياسية اليهودية والغربية، والاطلاع على مخططات هؤلاء، والعلم بالخطاب السياسي والعلاقات الدولية وغيرها.

ومن الواضح أن فتوى جريدة "المسلمون" تنطلق من مقدمات خاطئة، وتعتمد رؤى بعيدة عن الواقع، فتفترض فينا الضعف والخوَر، والجبن والمذلة، وما أبعد هذا عنا! وما أقربه إلى أعدائنا! وتنسى الفتوى ما في أيدينا من سلاح وعتاد وأموال، التي- مع الإيمان- يمكن أن تفتح العالم، لا فلسطين وحدها، وتحرِّر كشمير، والعراق. . . إلخ.

ونسأل أصحاب الفتوى: على أي أساس بَنَوْا حكمَهم الخطير بأننا ضعفاء، وأن ما في أيدينا لا يكفي لمدافعة العدو، ولا يكفي فقط إلا للخضوع لشروطه؟

إن تقرير حالة الضعف من القوة، يقتضي دراسات واستشارات من خبراء ومختصين، في مجالات كثيرة عسكرية واقتصادية، واجتماعية وشرعية، كما يقتضي أيضًا وجود قاعدة معلومات وأرقام وإحصاءات، لا تتوافر عادة إلا لهيئات

كبرى، ومؤسسات عظمى، ووزارات وحكومات. فهل فعلتْ "مجلة المسلمون" ذلك، وبنَتْ الفتوى على معلومات صحيحة، وإحصاءات حديثة، واستشارات أهل الاختصاص والخبراء في المجالات المخالفة؟

ونريد أن نقول: إن فتوى دينية بالصلح مع العدو أو حربه- هي من الخطورة بمكان، وتعدُّ قراراً بالحرب أو بالسلم، يلزم رجال الدولة العمل بمقتضاها، لذلك لا يصح أن تصدر مثل هذه الفتوى من رجل واحد، قليل الحيلة، أو قليل العلم، أو يتقيد بقيود ما، تؤثر على فتواه. فالدول تعتمد في اتخاذ القرارات على دراسات موسعة، وخبراء متمرسين، وقاعدة معلومات دقيقة وواضحة ومتجددة. وتنشأ لذلك الهيئات الرسمية، التي مهمتها تيسير صناعة القرار، واتخاذ الموقف الصحيح، ورؤساء الدول عادة ما يكون لهم هيئة رئاسة، ومستشارون من كل الاختصاصات، يرجعون إليهم قبل اتخاذ القرازات المختلفة. وكثيراً ما يحدد هؤلاء الخبراء كلمات بعينها تستخدم في التصريحات الرسمية، وأخرى لا تستخدم. بل أي محافظ في مقاطعة، أو مسئول في شركة، أو مؤسسة يفعل ذلك.

وهذه الفتوى هي بمثابة إعلان حرب أو سلم- كما قلنا. وبالتالي لا يصح أن يُصار إليها، إلا بعد اطلاع ودراسة وبحث، واستشارات مخلصة، ومعلومات صحيحة، لا كاذبة، ولا مغرورة [1].

ومهما يكن، فقد بيَّن لنا القرآن الكريم الضعف الحقيقي الذي يُعذر عن الجهاد، يقول الله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِن تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِن تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾ لَّيْسَ عَلَى الأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلا عَلَى الأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفتح: 17]

ففي هذه الآيات، يُبيِّن القرآن الكريم أن العدو شديد البأس. وبرغم ذلك، دعا

---

(1) يقول الإمام ابن القيم: « الحاكم إذا لم يكن فقيه النفس في الأمارات ودلائل الحال، كفقهه في كليات الأحكام- ضيع الحقوق، فههنا فقهان، لابد للحاكم منهما: فقه في أحكام الحوادث الكلية، وفقه في الوقائع وأحوال الناس، يميز به بين الصادق والكاذب، والمحق والمبطل. ثم يطبق بين هذا وهذا بين الواقع والواجب، فيعطى الواقع حكمه من الواجب. انظر: بدائع الفوائد، مكتبة نزار الباز، مكة المكرمة، 1419 هـ مج 3، ص 634.

إلى قتاله، ولم يعذر إلا أصحاب الأعذار المعوقة: الأعمى، والأعرج، والمريض. ومع هذا، خرج في جيش النبي ﷺ الأعرج، وهو عمرو بن الجموح، وقاتل برغم أن عرجه كان بيِّنًا، وبرغم أنه كان له أربعة أبناء يقاتلون مع النبي ﷺ.

ويزيد القرآن الكريم الأمر بيانًا في قول الله تعالى: ﴿ **لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٩١) وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ (٩٢) إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾ [التوبة: 91-93]

وطبقًا لهذه الآيات، يعذر عن الجهاد أربعة:

1 . من لا قوة له على القتال، كالشيخ الطاعن، والمرأة، والطفل، والمعاق.

2 . من لا صحة بدنية لديه حاليًا؛ لتعرّضه لمرض وجهد.

3 . من لا مال لديه للنفقة في الخروج، حيث كان المجاهد ينفق على نفسه طعامًا وشرابًا، وسلاحًا وانتقالا، وغير ذلك.

4 . من لا تتوافر له المعدات القتالية، ولا المركبات، ولا وسائل الانتقال.

ومع هذا، نجد ثلاثة الأصناف الأولى التي عجْزها مستمر، سواء لبعض الوقت، أو للأبد- يجب عليهم النصح لله ولرسوله، بالمعاونة في المعركة بطرق أخرى غير القتال. وما أكثر هذه الطرق!

وأما الذين لا عتاد، ولا مركبات، ولا سلاح لهم، فالواجب أن يكون عندهم الصدق والحرص على الجهاد، والإخلاص الذي يُفيض الدموع من المآقي لهذا التخلف المؤقت عن الجهاد. وهذا يستدعي منهم الاستعداد للقتال فيما بعدُ بما يتيسر.

ونحن نرى من معهم القوة البدنية والصحة والفتوة والمال في الأمة كثيرين، والمعدات والعتاد الحربي مخزون تحت الأرض وفي مخازن سرية، تُترك للرطوبة والتلف، أو ترصد لحرب العرب ضد العرب.

ومن ناحية أخرى، لا تجوز المهادنة مع المحاربين المعتدين، إلا إذا خيفَ فناء المسلمين، يقول الشيخ البوطي في فقه السيرة: "أجمعَ الفقهاء على أن المسلمين إذا كانوا من قلة العدد أو ضعف العدة بحيث يغلب على الظن أنهم سيقتلون من غير أي نكاية في أعدائهم إذا ما أجمعوا على قتالهم، فينبغي أن تقدم هنا مصلحة حفظ النفس، لأن المصلحة المقابلة، وهي مصلحة حفظ الدين موهومة، أو منتفية الوقوع. وقال العز بن عبد السلام: "فإن لم تحصل النكاية وجب الانهزام؛ لما في الثبوت من فوات النفس مع شفاء صدور الكفار، وإرغام أهل الإسلام. وقد صار الثبوت هنا مفسدة محضة ليس في طيها مصلحة". قلت- أي البوطي: وتقديم مصلحة النفس هنا من حيث الظاهر فقط، أما من حيث حقيقة الأمر ومرماه البعيد، فإنها مصلحة دين، إذ المصلحة الدينية تقتضي في مثل هذه الحال أن تبقى أرواح المسلمين سليمة؛ لكي يتقدموا ويجاهدوا في الميادين المفتوحة الأخرى، وإلا فإن إهلاكهم إضرار بالدين نفسه، وفسح للمجال أمام الكافرين، ليقتحموا ما كان مسدودًا أمامهم"[1].

وقال الإمام الشافعي: "وإذا ضعف المسلمون عن قتال المشركين... جاز لهم الكف عنهم ومهادنتهم على غير شيء... ولا خير في أن يعطيهم المسلمون شيئا بحال على أن يكفوا عنهم؛ لأن القتل للمسلمين شهادة؛ وأن الإسلام أعزّ من أن يعطى مشرك على أن يكف عن أهله... إلا في حال واحدة...: أن يلتحم قوم من المسلمين، فيخافون أن يصطلموا[2] لكثرة العدو وقلتهم، وخلة فيهم- فلا بأس أن يعطوا في تلك الحال شيئا من أموالهم على أن يتخلصوا من المشركين؛ لأنه من معاني الضرورات"[3].

ويقول الإمام ابن قدامة في المغني: "لا تجوز المهادنة مطلقًا من غير تقدير مدة؛ لأنه يُفضي إلى ترك الجهاد بالكلية"[4].

ومعنى اصطلام المسلمين استئصالهم من جذورهم، وقد عرض رسول الله ﷺ

(1) فقه السيرة ص 77.
(2) الاصطلام: الاستئصالُ. واصطلم القوم: أبيدوا. والاصطلام إذا أبيد قوم من أصلهم قيل: اصطلموا (لسان العرب: ابن منظور المصري 12/ 340).
(3) الأم: الشافعي 4/ 268.
(4) المغني 10/ 509.

على بعض الأحزاب في غزوة الخندق أن يرجعوا ولهم ثلث خراج المدينة، ولكن الأنصار رفضوا، ومنعهم إباء المسلم من هذا، مع أن الأحزاب كان لهم ظاهر قوة على استئصال المسلمين من الأرض، إلا أن الأنصار أبَوا المهادنة والاستسلام، أو حتى التنازل عن بعض عزتهم، ونصروا الله ورسوله فنصرهم الله، ورفعوا كلمته عالية فرفعهم إلى عليين. ويُصوِّر القرآن الكريم هذا بقوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴾

[الأحزاب: 11]

ومن هنا، اتفق العلماء على أن المهادنة لا تجوز إذا أمكن النكاية في العدو، بمعنى إحداث خسائر فيه. إما بحرب استنزاف، أو حرب عصابات (كرٌّ، وفرٌّ)، أو حرب شاملة. فلا تجوز الموادعة وبنا قوة إذا اعتُدي علينا، ولنا دار وسلطان، وعدة وعدد، ولدينا قدرة على النكاية في العدو. وإنْ لم نستطع صبرنا وصابرنا، وجمعْنا القوة، واتخذنا العدة حتى نرد العدوان بلا تنازل عن حق في الأرض، أو انتقاص للعزة الإسلامية. فالعجز هو أن نموت في ذلة، ونحن نستطيع الموت في عزة.

إذا لم يكن من الموت بُد   فمن العار أن تموت جبانًا

ولم يترك الله تعالى بيان حال الضعف العددي لاجتهاداتنا، وإنما وضع حدًا يكون معه رخصة للمسلمين بالتراجع أمام العدو، فقال تعالى في سورة الأنفال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: 65-66].

فهاتان الآيتان الكريمتان نسخت أخراهما أولاهما بمعنىً ما، فالأولى حرَّمت على المسلمين الفرار والانهزام أمام العدو، إذا كان عددهم لا يزيد عن عشرة أضعاف المسلمين. ثم خفّف الله تعالى عن المسلمين حال العذر، وقدَّر ما يكون بهم من

ضعف، فحرَّم عليهم الانهزام للأعداء إذا كانوا على الضعف من عددهم، أو أقل من ذلك. فكم يبلغ عدد المسلمين اليوم في العالم؟ وكم يبلَغ عدد اليهود؟

إن لدى الإسرائيليين حساسية خاصة- كما هو لدى الغربيين- تجاه فقد عدد كبير من جنودهم في حرب ما، إذ ما إن يفقد هؤلاء بضع مئات أو آلاف حتى تزلزل أركانهم، ويفقدوا توازنهم، إذ إن قدرتهم على إرفاد الجيش بأعداد متزايدة غير ممكن ولا متيسر؛ فهم محدودو العدد، قليلو الخصوبة، حتى إن سعوا إلى تعويض هذا بجلب المهاجرين اليهود من كل حدب وصوب إلى أرض فلسطين.

والله سبحانه ضرب لنا مثلا بنصرة الفئة القليلة المؤمنة على الفئة الكثيرة الكافرة؛ حتى لا يكون هناك إبطاء أو وهن عن مواجهة الباطل. يقول تعالى: ﴿**قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ**﴾ [آل عمران: **13**].

وإذا كان العدد قد تحدد بنص القرآن تحديداً جازماً، فإن الله ا- في مقام بيان العدة والعتاد- لم يحدد تحديداً جازماً مقدارها، ولكن أمر باتخاذ ما نستطيع من قوة ومن عتاد حربي لمواجهة العدو، فليس لأحد أن يدعو الأمة إلى ترك الجهاد ومهادنة الأعداء تحت وهم قلة عدة وعتاد، فالله سبحانه يقول: ﴿ **وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ**﴾ [الأنفال: **60**].

ولو أراد الله ا تحديداً للقوة والعتاد الحربي، لبيَّن في هذه الآية، كما بيَّن في الآيتين أعلاه مقدار العَدد، وكذلك يسبَق آية إعداد القوة المستطاعة هذه، الأمرُ بمبادرة الأعداء في حال خوف خيانتهم، أو هجومهم المباغت علينا، يقول تعالى: ﴿**وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ**﴾ [الأنفال: **58**]. واليهود لا يعقد لهم عهد أصلا، فهم خفروا عهد الله ورسوله، فكيف يحفظون لنا عهداً؟ بل إنهم يهددون بالحرب صراحة ووقاحة!

ويبين الحق سبحانه أن كيد أعداء دينه ضعيف، فيقول سبحانه: ﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ**

كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: 76]، كما يبين تعالى أنه يضعف قوة هؤلاء بقوله: ﴿وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لا يُعْجِزُونَ﴾ [الأنفال: 59]، فليس معنى قوة الأعداء وبأسهم الشديد، أن لهم السبق والغلبة والظهور، وأنهم يُعجزون الحق، ويهزمون أهل الإيمان. بل أمرنا الله بأن نعدَّ ما نستطيع، وتكفل هو بهزيمتهم: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة: 21].

فلا وضْع لأوزار الحرب، ولا إلغاء للجهاد بسبب تفوق العدو في السلاح، فما دام بيدنا سلاح يدفع شر المعتدي، وينال منه، وينكي فيه. فلا يصح موادعته إلا أن يرد ما اغتصبه، وإلا نعد مقرِّين له على الاغتصاب، فعلينا أن نعد من السلاح مثل ما عند العدو- وأن نتدرب عليه جيدًا، وأن نصنع ونطور منه ما يحقق لنا استقلالا. فلا معنى لأن نمتنع عن صنع الأسلحة النووية مثلا، ونظل مهددين من أسلحة العدو النووية، ولا نستخدم هذه الطاقة النووية حتى في الأغراض السلمية، لمجرد أن يعترف لنا الغربيون بالتهذيب والأدب، فنظل مهددين من أسلحة العدو النووية، ونكتفي بمطالبة العدو بالتوقيع على اتفاقية الحد من الانتشار النووي؛ لنغطي بذلك عجزنا، مع أن هذه التوقيع لا يمنع عدونا من الاحتفاظ بما عنده من قنابل نووية.

والقوة عمومًا ليست قوة السلاح فقط، ولكنها قوة اليد التي تمسك السلاح، وشجاعة القلب، وقوة الإيمان أيضًا التي تجعل المرء يتقدم ولا يتقهقر، ويرفع السلاح ولا يُلقيه، ويُحسن التصويب، ولا يهتز.

أما هؤلاء المستضعفون الذين يريدون فرارًا، فالإسلام ليس مسئولا عن ضعفهم، وهو لم يدعهم للضعف والخور، بل دعاهم إلى القوة والجلد، والوحدة والاستقامة، والشجاعة. وهم اختاروا الضعف والمذلة والضعة، برغم كل ما هو تحت أيديهم من أسباب المكنة والتدبير، فلا حق لهم في أن يبحثوا في الإسلام عن عذر للقعود والتخلف والانحطاط.

ولقد قدم لنا النبي الكريم وصحابته الكرام حسن الأسوة. ومن ذلك، ما كان في ساعة العُسْرة، حين أراد النبي م الخروج إلى تبوك في شدة الحر وجدب البلاد، وحين طابت الثمار وحان جنيها، والطريق إلى الشام وعرٌ خطر مهلك، وعدد الروم عظيم جدًا. ومن شدة الإعسار كاد يزيغ قلوب فريق من المؤمنين، ولكن الله ثبتهم،

ولم يتخلف عن الخروج إلا المنافقون، وكان النبي ﷺ قد صرح بوجهته في هذه الغزوة؛ حتى لا يخرج إليها إلا من يطيقها. ويبين القرآن ذلك بقوله: ﴿ **لَقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [التوبة: 117].

ولو لم يقاتل المسلمون إلا في وقت الرخاء، ولم يجاهدوا إلا عددًا ضعيفًا، فبِمَ يستحقون الجنة؟

ومع كل هذا، لا يعدم العرب القوى البشرية، ولا الأموال، ولا السلاح اللازم للجهاد في سبيل الله، وتحرير كل شبر من أرض الإسلام. ففي التقرير العربي الموحد لعام **1992**م [1]: أن نسبة الاحتياطي النفطي المؤكد في الدول العربية (**631** بليون برميل)، أي **2**، **62**٪ من الاحتياطي العالمي عام **1991**، ويبلغ إنتاجها **1**، **16** مليون برميل يوميًا، ونسبتها **25**٪ من إجمالي الإنتاج العالمي، وتبلغ نسبة احتياطي الغاز في الدول العربية **20**، **24**٪ من الاحتياطي العالمي، على حين يبلغ إنتاج الغاز **11**٪ من الإنتاج العالمي.

والعالم الإسلامي هو قنبلة بشرية، توشك أن تنفجر في إسرائيل، ويُذكِّر هذا بما كان عام **1979**م، حين دعا الملك فيصل إلى إعلان الجهاد المقدس لتحرير بيت المقدس، وحين طرح فكرة زحف مليونين من مختلف الشعوب الإسلامية إلى القدس في مظاهرة شعبية سلمية، فأعلن رئيس باكستان "بوتو" أن بلده وحده مستعد لتقديم مليونين لهذه المسيرة، ومليون شهيد أيضًا لإرجاع القدس!

وذكرت منظمة المؤتمر الإسلامي أن عدد سكان العالم الإسلامي وصل إلى مليار مسلم ونصف المليار في عام **2000**م. وتقدر الإحصاءات أن نصف سكان العالم في عام **2050**م سيكونون مسلمين، وذلك تبعًا للتطور الطبيعي في أعداد المواليد، وتزايدها في كل أنحاء العالم.

وبلغت عائدات النفط العربية نحو **101** مليار دولار عام **1990**، وبلغ فائض الميزان التجاري العربي الكلي نحو **31** مليار دولار عام **1990**، وسجل الميزان الكلي

(**1**) تقرير سنوي يصدر بالتعاون بين صندوق النقد العربي والصندوق العربي للإنماء الاقتصادي والاجتماعي وجامعة الدول العربية ومنظمة الأقطار العربية المصدرة للبترول (أوابك). (**amf.org.ae**)

للدول العربية فائضًا يقارب 4 مليارات دولار، وتجاوزت قيمة الاحتياطات الرسمية العربية 43 مليار دولار عام 1991.

وتبلغ الودائع العربية لدى المصارف الأجنبية 700 مليار دولار. ويمتلك العالم الإسلامي في السوق العالمي رأس مال متحركًا قدره 800 مليار دولار، ويمتلك أشخاص مسلمون حول العالم ممتلكات قدرها 840 مليار دولار.

وتعد السعودية مثلا، سادس دولة غنية في العالم، وكان الناتج الإجمالي القومي مضافًا إليه الواردات الخارجية للسعودية عام 1983 يساوي 967، 119 مليار دولار، وكانت ميزانية الدفاع 731، 22 مليار دولار، أي أن نسبة مصروفاتها العسكرية بلغت حوالي 18٪.

أما مصر، فالناتج القومي مضافًا إليه الواردات الخارجية عام 1983 كان 755، 31 مليار دولار، وبلغت ميزانية الدفاع 043، 3 مليار دولار، أي حوالي 11٪.

أما ليبيا، فأنفقت في عام 1979 ما يقدر بـ 45، 4 مليار دولار، وفي سنة 1982 انخفضت النفقات العسكرية إلى 182، 2 مليار دولار.

وبلغ إنفاق سوريا العسكري لعام 1988 ما مقداره 2، 2 مليار دولار.

وأنفقت السعودية عام 1988 ما مقداره 2، 3 مليار دولار، وكلفت صفقة طائرات الأواكس للسعودية عام 1981 خمسة مليارات دولار، وزادت صفقة الأسلحة المضادة للجو الفرنسية إلى السعودية عام 1984 عن 4 مليارات دولار، وصفقة طائرات التورنادو مع بريطانيا، كلفت حوالي 8 مليارات دولار، وحجم العمولة في هذه الصفقة الأخيرة وحدها، زاد على مئات ملايين الدولارات!

وخصصت منطقة الخليج مئة مليار دولار، تنفقها على صفقات السلاح في السنوات الخمس الأخيرة.

ولعلَّ أهم صفقة حصلت عليها السعودية، هي صواريخ قادرة إلى الوصول إلى أية بقعة في فلسطين، ويمكنها حمل رءوس نووية أو كيماوية. وقد صُممت أساسًا لحمل رءوس نووية، ويمكن تعديلها بحيث تستوعب رأسًا تفجيريًا اعتياديًا، طاقته قد تصل إلى ألفي كيلو جرام، مما يجعلها ذات قدرة تدميرية هائلة.

ويوضح الجدول التالي استيراد الأسلحة لبعض دول العالم الثالث، (ومنها دول عربية)، من الدول الصناعية لعام 1984 فقط :

الدول المستوردة	مقدار الأموال المصروفة (ملايين الدولارات)	حصة الدول الصناعية (نسبة مئوية)
السعودية	١٣٣٥	20٪ بريطانيا، 37 أمريكا، 20٪ فرنسا
الأردن	٦٠٠	35٪ بريطانيا، 35 أمريكا، ٢٥٪ إيطاليا
مصر	٤٢٠	14٪ بريطانيا، 36 أمريكا، 19٪ فرنسا
عمان	٣٢٥	84٪ بريطانيا، 11٪ أمريكا
قطر	٢٢٠	59٪ بريطانيا، 36 فرنسا
الهند	٣٥٠	14٪ بريطانيا، 78٪ الاتحاد السوفيتي
البرازيل	٢٩٠	61٪ بريطانيا، 10 أمريكا 10٪ فرنسا
الصين	١٧٥	42٪ بريطانيا، 25٪ الاتحاد السوفيتي

(عن جريدة الأوبزرفر البريطانية بتاريخ 25/ 9/ 1985- مجلة العالم ع119في 24 مايو 1986، ص77).

وهناك إحصاءات دقيقة متوافرة لعدد الجنود والأسلحة والمعدات، لدى لإسرائيل وجميع الدول العربية والإسلامية، قد ينوء بثقلها هذا الكتاب، وهي ليست سرًا مخفيًا، ولكنها متاحة للطالبين وخصوصًا على الشبكة الدولية للمعلومات (الإنترنت). وتُظهر الإحصاءات بوضوح، التفوق الساحق للدول العربية مجتمعة على إسرائيل، فضلا عن الدول الإسلامية.

ومن ذلك، ما ذكرهُ كلٌّ من تقرير معهد الدراسات الإستراتيجية في لندن، ومركز يافا للدراسات الاستراتيجية، التابع لجامعة تل أبيب لعام **2000**. والجدول التالي نقارن فيه بين حجم القوات العسكرية لكل من تركيا وسوريا والأردن وإسرائيل، في الطائرات والغواصات والسفن الحربية وعدد الجنود.

البلد	عدد الجنود (بالألف)	عدد الدبابات	عدد الطائرات المقاتلة	عدد الطائرات العمودية	عدد الغواصات	عدد السفن الحربية	عدد السفن الحربية
مصر *	٤٥٠	٣٥٠٠	٥٠٠ منها ٢٠٥ متطورة من طرازي إف ١٦ فالكون وميراج ٢٠٠٠	٢٢٥ منها مئة هجومية	٤	١٨	٦٥ منها عشرفرقاطات صاروخية
تركيا	٦٤٠ + ١٨٠ من وحدات الدرك المسلحة	٤٢٠٠	٤٨٥	٤٠٠	١٥	٦٤	١٠٨
سوريا	٣٨٠	٣٧٠٠	٥٢٠	٣٠٠	٣	١٤	٨
الأردن	٩٤	٩٠٠	١٠٠	٧٠	٠٠٠٠٠	٠٠٠٠٠	٠٠٠٠
إسرائيل	١٩٠	٣٩٠٠	٦٣٠	٢٩٠ منها ١٤٠ هجومية	٣	٢٠	٣٢

(*) تعد مصر إحدى القوى العسكرية الرئيسية في المنطقة؛ نظرًا لما لجيشها من قوة وتحديث، وبه إضافة لما ذكر أعلاه: **(5300)** ناقلة جنود، و**(5300)** مدفع، وقد ازداد عدد منصات الصواريخ أرض- أرض خلال العقد الأخير من **9** إلى **24** منصة. ويملك الجيش المصري قرابة مئة صاروخ بالستي من طراز سكود، إضافة إلى تسعين صاروخًا بالستيًا من طراز يشبه سكود، تنتجها مصر محليًا، طبقًا لتكنولوجيا كانت قد ابتاعتها من كوريا الشمالية.

وليس هذا كله ما في الأمر، إذ لدينا الآن في الوطن العربي والعالم الإسلامي مصانع عديدة لإنتاج السلاح والذخائر، والطائرات والصواريخ، والدبابات والغواصات، والأسلحة الكيماوية والبيولوجية والذرية.

وفي النهاية، ننقل ما قاله الشيخ نديم الجسر - عضو مجمع البحوث الإسلامية، في مؤتمر المجمع بالأزهر الشريف - عقب هزيمة يونيه **1967**، يقول:

" إن غفلة الإنسان عن معرفة قدر نفسه، في حقيقة ضعفها وعجزها ونقصها، ليست أكثر ضرراً من غفلته عن عرفان قدر نفسه، في حقيقة قوتها وقدرتها. ويزداد هذا الضرر ضراوة واستشراء إذا كانت الغفلة في حادث يتعلق بالجماعة والأمة، لأن للاستخذاء والخور واليأس والتهالك عند صعقة البلية وبغتة النازلة، عدوى سارية طاغية، تنتقل من الضعفاء إلى الأقوياء، بل من السخفاء إلى الحكماء. وهذا من حقائق علم النفس. ولولا ذلك لما استخذينا وتهالكنا كلنا بعد النكبة، حيارى مولولين، يائسين قانطين، كأن المسلمين لم يصابوا قبل اليوم بأية نكبة، وكأن تاريخ الأمم التي تتحكم اليوم في الأرض خلو من النكبات " !

" وهكذا دلت أحوال المسلمين من قبل النكبة على أنهم في غرور، ودلت أحوالهم بعد النكبة على أنهم في استخذاء، والاستخذاء شر من الغرور، واستخذاء النفوس أول علامات موت الأمة، كما أن الأمل والثقة بالنفس أول أسلحة النصر والبقاء. والواثق بالله وبنفسه يستطيع أن يعد العدة، أما القانط من ربه ونفسه فلا يستطيع، ولو أعدَّ له السلاح لا يحمله، وإن حمله لا يصدق في استعماله، لأنه يصبح إلى الكفر أقرب منه إلى الإيمان: ﴿ **الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ** ﴾ [الأنعام: **20**] [1] .

(**1**) كتاب المؤتمر الرابع لمجمع البحوث الإسلامية، ص **122**.

18- أسس الحل الإسلامي للقضية الفلسطينية

بعد فترة من الزمان- طالت، أو قصرت- لن يكون هناك شيءٌ اسمه إسرائيل، فإسرائيل نبْتٌ شيطاني، زرَعه الغرب في رحم أمة الإسلام؛ حتى لا تقوم للإسلام قائمة، ولكن الزمن لا يجري لصالح إسرائيل، فهي الماضي الذاهب، ونحن المستقبل الباسم؛ إذ تُعد فلسطين قضية الأمة المركزية التي تستفز قواها، وتوحِّد صفوفها، وترأب صدعها، وتذيب خلافاتها من أجل تحرير الأرض المقدسة.

والباطل قد يكسب جولة، ولكنه لا ينتصر على الحقِّ أبدًا، قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ [الصافات: 173]. وقال سبحانه: ﴿ وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً ﴾ [النساء: 141]. وبرغم كثرة عَدَد العدو الإسرائيلي وعُدده، إلا أن الخوف يَعْمُر قلبَه، فالإسرائيليون قومٌ يُحبون الدنيا، ويكرهون القتال، وخصوصًا إذا لقوا مسلمين لا يخافون الموت، ولا يتعلقون بالدنيا. وهذا الرعب الذي يلقيه الله في قلوبهم، يُعد نصرًا للمسلمين. فلو لقيناهم، لَوَلَّوا الأدبار ثم لا يُنصَرون، ولشفَى الله صدور المؤمنين، وأذهَبَ غيظ قلوبهم.

وبرغم معاهدات السلام، إلا أن اليهود في خوف وقلق وهمٍّ مقيم؛ لأنهم يُدركون أنهم يعيشون في بحر من الكراهية والبغض المحيط بهم من كل جانب، وأن بغض المسلمين والعرب لهم أصيلٌ مستقرٌ في العقيدة الإسلامية، ونابعٌ من الصراع التاريخي الطويل. ويَسعى الإسرائيليون من وراء معاهدات السلام إلى تطمين أنفسهم، ومعانقة وهْم إمكان تقبُّلهم في المنطقة التي لا ينتمون إليها. والحالة النفسية للمواطن الإسرائيلي غير مستقرة، بل هو يعيش في رعب وتوجُّس وحذر، يتوقع كل يوم هجومًا عربيًا، أو عملا فدائيًا، يَحسَبون كلَّ صيحة عليهم، ولا يمرُّ أيام كثيرة دون أن يسقط من الإسرائيليين قتيل أو جريح؛ ولذا همْ لا يضعون السلاح، بل هم في استنفار دائم، وتحفز مستمر، برغم كل ترساناتهم من الأسلحة والعتاد المتقدم، وهم في ذلك كما قال أحَد كتابهم: "نحن نحاول أن نزرع شجرة في داخل دبابة"!

أمَّا المسلمون من شباب الصحوة، فجيلٌ لا يبيع دينه بدنياه، ولا يستبدل آخرته،

ولا يرضى بعَرَض حقير، وليس له مطمح بعد الجنة.

جيلٌ يقاتل بالكلمات والحجارة، وبكل ما يجْد من قوة واستطاعة، لأنه يعي أن الإيمان لا يجتمع مع المذلة، وأن الكفر والاستسلام سواء، وأن ركن الله الشديد، آمَنُ من أركان النظام العالمي الجديد.

جيل لنصرة دين محمد. فدينه حيٌ، وأمته باقية، وأبناؤها رجال لا يخافون في الله لومة لائم. رُهبان بالليل، وفرسان بالنهار، لا يأوون إلى حضن مشرك أو ملحد، بل الاعتصام بحبل الله وحده.

والجهاد اليوم فرضُ عين على كل مسلم قادر، بالنفس والمال، واللسان والقلم، في مواجهة أعداء بُغاة ظالمينَ متجبِّرين. وكلُّ مسلم واجبٌ عليه أن يعد نفسه ليكون جنديًا، يجاهد بروحه ودمه وماله في سبيل تحرير بلاده، التي هي كل بلاد الإسلام. وعلى كل قادر أن يُنفق من ماله في سبيل الله؛ إعدادًا لمتطلبات الجهاد، من عُدَّة وعتاد، ومعدات وذخائر على أحدث ما أنتج العصر. وعلى كل مواطن أن يبذل جهده؛ لتقدُّم هذه البلاد، وتحررها من الضعف والفقر والتخلف، وإعدادها للجهاد والكفاح، ولتكون على قدم المساواة مع أرقى الأمم المعاصرة.

إن القرآن قد حسم الصراع بيننا وبين اليهود بقوله تعالى: ﴿ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلاَّ أَذًى وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الأَدْبَارَ ثُمَّ لا يُنصَرُونَ (١١١) ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلاَّ بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ﴾ [آل عمران: 111-112]، وقوله سبحانه: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ﴾ [الأعراف: 167]. وسيكون من ذلك ما شاء الله تعالى.

ونرى أن تحرير فلسطين يكون بتحرير أنفسنا أولا، وتحرير إرادتنا السياسية، ولن يكون ذلك إلا بتطبيق الشريعة الإسلامية، ونظام الحكم الإسلامي كاملا في ديار المسلمين. ولابد لذلك من إنهاء تحكم المنافقين والملحدين والعلمانيين في المؤسسات السياسية والإدارية، والثقافية والاقتصادية، والعسكرية في العالم الإسلامي. فلن يكون تحريرٌ حقًا لفلسطين إلا بعد أن نتحرر نحن أولا من قبضة الغرب وربقة أذنابه، الذين يعوقون تقدمنا وصلاحنا، وهم قوم من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا، ولكنهم

دعاة على أبواب جهنم، مَن أجابهم إليها، قذفوه فيها.

لابد أن نتحرر من يهودنا أولا، ومن أهل النفاق والإلحاد، حتى نتمكن من أن ندير صراعًا دينيًا، لا وطنيًا، ولا قوميًا فقط. وهذا التحرير الذاتي، سيؤدي تلقائيًا إلى الوحدة الإسلامية، والقوة التي ستدفع إلى تحرير ما اغتُصبَ من بلاد المسلمين. ولذا تعلن إسرائيل صراحة أن عدوَّها الحقيقي ليسَ العلمانيين، ولكن "الأصوليين"؛ لأن لهم مبادئ تزول الجبال ولا تزول، وأفكارَهم عصية الترويض، ومستحيلة الاختراق.

وتمُرُّ قضية فلسطين عبر عودة الخلافة الإسلامية، وكذلك علاج غيرها من المشكلات الأساسية في العالم الإسلامي. فهذه القضية وغيرها عَرَض للخطر المُحيق بنا من كل جانب؛ نتيجة لسقوط الخلافة الإسلامية منذ عام **1924**م. وقد أُرِيدَ بالقضية الفلسطينية- فيما أُرِيدَ- أن تشغلنا عن التطلع إلى القضية الأساسية، وهي عودة الخلافة، وأن تلهينا عن أمِّ الداء في واقعنا المعاصر، وهو تشرذم المسلمين شيعًا وأحزابًا، وتمزُّقهم إلى دويلات.

وإذا كانت فلسطين أرضًا إسلامية اغتُصبت، فهناك أراض إسلامية كثيرة مغتصبة ومضيَّعة، وبتقادم الزمان هي معرَضة للمحو من خارطة الإسلام، أو معرَّضة لغزو صليبي، يريد ألا يُبقي ولا يذر من الإسلام شيئًا. وصحيح أن لفلسطين خصوصية من ناحية أنها أرضٌ بها مقدسات الإسلام، إلا أن هذا ينبغي ألا يجعلنا ننسى مشكلاتنا الأخرى في العراق، وأفغانستان، والشيشان، ومقدونيا، وكشمير، وقبرص، والصومال، وكوسوفو، والفلبين، والجمهوريات الإسلامية السابقة، التي لم تتخلص من نير الاتحاد السوفيتي، إلا لتُقيَّد بحكام لا يزالون على الشيوعية، والحبشة ذات الأغلبية المسلمة والأقلية النصرانية المسيطرة، والجمهوريات المسلمة ذات الحكم الذاتي في روسيا الاتحادية، والمقاطعات الإسلامية في الصين. . . وهلمَّ جرًا.

وكل ذلك وغيره، يجب ألا يُعمي بصائرنا وأبصارنا عن الحقيقة المؤلمة المعلقة فوق رءوسنا، وهي أن سقوط الخلافة يُعَدُّ أروْمة لكل أعراض المرض المتمكن من الجسد الإسلامي. وقد كان العالم الإسلامي تحت الخلافة العثمانية رجلا مريضًا في

آخر سنيها- يترَنّح، فأرادت الدول الكبرى له الموت، وتم كيدها سنة **1924**م.

فكل هذه المشكلات المؤسفة، أولُ الطريق إلى حلها، هو في استعادة إرادتنا السياسية، وتحقيق الاستقلال الحقيقي عن نفوذ الدول الكبرى، والتخلص من سيطرة دعاة التغريب على مقدراتنا. وجميعُ ذلك لن يُؤتي أكله إلا بعودة الخلافة الإسلامية بوجه يُناسب العصر. وهذا ما يعمل الغرب باستمرار لتعويقه، فكل المشكلات التي يغصّ بها العالم الإسلامي اليوم ومنها فلسطين، لا يجب أن تستغرقنا لتنسينا الحقيقة الأساسية، وهي أن المسلمين على مسرح السياسة الدولية كالأيتام على مائدة اللئام: لا سياسة تجمعهم، ولا إرادة ترفعهم، ولا قيادة توحدهم.

والخلافة الإسلامية، هي الطريق لحلٍّ جذري لجميع مشكلات العالم الإسلامي، فعلينا ونحن نسعى لتلمُّس حلول لهذه المشكلات، أن نضعَ هذا الأمر نصْب أعيننا، حتى لا نذهب بعيدًا عن الأهداف الاستراتيجية، التي يتعلق بها وجودنا وفاعليتنا في العالم المعاصر.

ويجب ألا ننسى، أن الخلافة الإسلامية هي التي حافظت على فلسطين، وبسقوطها وُضعت فلسطين على طريق الضياع. ومن المفيد هنا أن نورد ما كان بين الخليفة العثمانيَ عبد الحميد وزعماء اليهود. فقد ذهب اليهودي "قره صو" إلى السلطان، يرجوه أن يوافق على بيع القدس لليهود قائلا: "إنني قادم مندوبًا عن الجمعية الماسونية، لرجاء جلالتكم بأن تقبلوا خمسة ملايين ليرة ذهبية لخزانتكم الخاصة، ومئة مليون قرضًا لخزينة الدولة، على أن تسمحوا لنا ببعض الامتيازات في فلسطين. وعندما سمع السلطان عبد الحميد هذا الكلام، وكان رجلَ دولة، يفهمُ ما وراءه- استشاط غضبًا، والتفَتَ إلى مُرافق "قره صو"- وهو عارف بك- وقال: "أفما كنتَ تعلم ما يريد هذا الخنزير؟ ثم نظر إلى "قره صو" وصاح في وجهه: اخرجْ من وجهي يا سافل".

وفعْلا، خرج هذا اليهودي الدنيء، واتجه إلى إيطاليا، ليرسل إلى السلطان عبد الحميَد هذه البرقية: "أنتَ رفضتَ عرْضنا، ولكن هذا الرفض سيكلفك أنت شخصيًا، ويكلف مملكتك الكثير".

وفي هذه الأثناء، قابل السلطان عبد الحميد زعيمٌ يهودي آخر، هو "هرتزل" برفقة الحاخام "موسى ليفي". وظل "هرتزل" - يرجو السلطان أن يبيع أراضي فلسطين بالثمن الذي يريد، فقال له السلطان: "**إن هذه الأراضي قد امتلكها المسلمون بالدماء، وهي لا تباع إلا بنفس الثمن**".

وجاء في مذكرات هرتزل نفسه: أن السلطان عبد الحميد رَدَّ عليه بما يلي: "انصحوا الدكتور هرتزل بألا يتخذ خطوات جدية في هذا الموضوع، **إنني لا أستطيع أن أتخلى عن شبر واحد من الأرض، فهي ليست ملك يميني، بل ملك شعبي. لقد ناضل شعبي في سبيل هذه الأرض**، ورواها بدمه، **فليحتفظ اليهود بملايينهم، وإذا مزقت إمبراطوريتي يومًا، فإنهم يستطيعون آنذاك أن يأخذوا فلسطين بلا ثمن، أمَّا وأنا حي، فإن عمل المبضع في بدني، لأهون علي من أن أرى فلسطين قد بترت من إمبراطوريتي، وهذا لا يكون**. إنني لا أستطيع أن أوافق على تشريح أجسادنا ونحن على قيد الحياة".

وكان من رأي السلطان عبد الحميد، أنه **إذا ما سمح لليهود بالتوطن في فلسطين، فإنهم سيستطيعون في وقت قليل جدًا أن يجمعوا في أيديهم وسائل القوة في المكان الذي يستقرون فيه. وفي هذه الحالة نكون قد وقعنا قرارًا بالموت على إخواننا في الدين**". ويقصد الفلسطينيين [1].

إن العالم الإسلامي كله معنيٌ بفلسطين، وإسرائيل معنية بالعالم الإسلامي، فأمن إسرائيل مُهدد من ثلاث دوائر كما يُبيِّن المجرم "إيريل شارون" (رئيس الوزراء الإسرائيلي الأسبق): حيث تتأثر مصالح وأمن إسرائيل بتطورات وأحداث، تتجاوز منطقة المواجهة المباشرة، التي ركزت عليها إسرائيل انتباهها في الماضي. وفيما وراء الدائرة الأولى التقليدية لدول المواجهة المحيطة بإسرائيل، ينبغي أن تتسع اهتمامات إسرائيل الاستراتيجية، لتشملَ مجالين جغرافيين آخرين لهما أهمية أمنية: الدائرة الثانية تتعلق بالدول العربية الواقعة وراء دول المواجهة، التي تضيف قدرتها العسكرية المتزايدة بُعْدًا أكثر خطورة إلى الخطر المباشر الماثل أمام إسرائيل، سواء بواسطة إرسال قوات مقاتلة إلى منطقة المجابهة، أو بواسطة عمليات جوية وبحرية

(1) انظر مذكرات السلطان عبد الحميد، ترجمة محمد حرب، دار الأنصار، القاهرة، **1978**، ص **10-11**، **65**.

مباشرة، تستطيع تنفيذها ضد خطوط المواصلات الجوية والبحرية لإسرائيل.

والمجال الجغرافي الثالث للمصلحة الاستراتيجية الإسرائيلية، يشمل تلك الدول الخارجية، التي قد تؤثر مكانتها وتوجيهاتها السياسية الاستراتيجية بمقدار خطر على أمن إسرائيل القومي.

ويضيف شارون: "بكلمات أخرى ما وراء الدول العربية في الشرق الأوسط، وعلى سواحل البحر المتوسط والبحر الأحمر، ينبغي أن نوسّع مجال الاهتمام الاستراتيجي والأمني لإسرائيل، بحيث يشمل في الثمانينات دولا مثل تركيا وإيران وباكستان، ومناطق الخليج الفارسي وأفريقيا، وبشكل خاص دول أفريقيا الشمالية والوسطى" (1).

ويَعرض أحمد ديدات (رحمه الله) فكرة جديرة بالدراسة- على طريق حلٍّ القضية الفلسطينية- مضمونها مقابلة اللوبي اليهودي في أمريكا بلوبي إسلامي- أمريكي، وذلك بالعمل على هداية ستة ملايين أمريكي من أصل أفريقي، وتسليحهم بالعلم والمال؛ لمعاونتهم على "**أسلمة أمريكا**". ويذكر أن ما سَيُنفَق في هذا سيكون أقل من ثمن طائرة إنذار مبكر (أواكس)، أو طائرة مقاتلة، فضلا عن كونه عملا يُرضي الله ورسوله ﷺ. وكلٌّ هذا بدون إراقة دماء (2).

الحل الإسلامي للقضية الفلسطينية كما نراه يمر عبر طريق واضح، ويبدأ هذا الطريق بدعوة اليهود إلى الإسلام، ﴿ **فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ اهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ** ﴾ [آل عمران: **20**]. وليس هذا من باب الافتراض المجرَّد، أو الأماني الكاذبة، والخيالات الجامحة. بل هو أمرٌ إلهي، وتشريع رباني: أن ندعو كل إنسان إلى الإسلام، مهما كانت العداوة قائمة، وأن ندعو أعداءنا إلى الإسلام ثلاثة أيام قبل قتالهم، ﴿ **فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** ﴾ [البقرة: **137**].

---

(1) صحيفة معاريف **28/ 12/ 1981** - عن الأمن القومي العربي: عبد الله بلقزيز، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ص **60**.

(2) أحمد ديدات: العرب وإسرائيل- صراع أم صلح؟ ترجمة: محمد مختار، مكتبة النور، القاهرة، **1411** هـ/ **1991**، ص **88** وما بعدها.

ويتوجب الدعوة إلى الإسلام قبل القتال إذا كانت الدعوة لم تبلغ الأعداء، فلا قتال ولا قتل لمن لم تبلغه دعوة الإسلام. ولا يُبَرر ترك هذه الدعوة يأسٌ من العدو أن يُسلم، فالدعوة حقٌ له، قرَّره الشرع، ويجب علَينا ألا نتجاوزه بتبريرات، مهما بلغ كفر الخصوم، وعتوهم وطغيانهم.

وإننا أكثر تسامحًا مما يظنون، وأكثر حرصًا على الحفاظ على حياة الإنسان التي هي هبة من الله تعالى. وليس القتال عندنا إلا لرد المظالم، والحفاظ على الحقوق، والدفاع عن الحرمات.

وأمام اليهود إذا لم يُسلموا أن يكونوا معاهَدين، كما كان أسلافهم يعيشون في ظل دار الإسلام رعايا آمنين، وكما احتضنهم تاريخ الإسلام بحقوق مواطنة كاملة، وأمَّنهم على معابدهم وأموالهم وممتلكاتهم، فلا يزال أمامهم هذه الفرصة ليعيشوا مطمئنين بلا خوف، بشرط أن يُفككوا سلطتهم الباغية في فلسطين، ولهم بعد ذلك، ليس فلسطين وحدها، ولكن العالم الإسلامي كله، لينعموا بالحياة فيه على العهد والذمة.

أمَّا العداء المعلن، ونقض العهود، والاعتداء المستمر على مقدسات المسلمين وبلادهم، فهذا عار يأمرنا ديننا ألا نرضاه، وأن نقاتل مَن يرضاه.

وبَعْد عرض الإسلام، وعرْض العهْد على عدونا، لا يَبْقى بعد رفضهم إلا عَرْض السيف، لأنهم الذين اختاروه، ويُمكن للعالم الإسلامي حشد جيش يبلغ تعداده ملايين لتحرير فلسطين، ومن ورائهم مَددٌ آخر من الرجال والاتساع الاستراتيجي الهائل.

ونحن لا ندَّعي أن حربًا بيننا وبين اليهود ستكون نزهة قصيرة، ولكن يمكن أن يكون فيها جروح وكبوات، وآلام وتضحيات، وخسائر بالغة. ولذلك لا ندعو إلى شن حرب في التوِّ، وإنما نريد ترافر روح الفداء أولا، وإرادة القتال، والاستعداد للجهاد، حَتى نكون مؤهَلين لحرب طويلة، على أسس علمية قويمة، تخضع لسياسة مستقلة، وعلم عسكري، وتقنية حربية، وتخطيط سليم، وتنظيم للإمكانات والمهارات التي تمتلكها الأمة.

إن في الأمة اليوم ملايين الأرواح الظامئة إلى الجهاد، والشهادة في سبيل الله؛ تحريرًا لفلسطين، وغيرها من أراضي الإسلام المحتلة. وهناك ملايين الصالحين والأتقياء، المتطلعين لبذل الغالي والنفيس؛ لإرواء المقدسات الإسلامية؛ وتخليصها من دنس اليهود وغيرهم من المعتدين.

وهناك وسائل كثيرة إذا فكرنا- لتحرير الأرض، وهناك طرُق متعددة معروفة لشلّ فعاليات العدو، يَعْرفها العسكريون، وتبتدعها الشعوب المجاهدة، ويَدريها أهل الاختصاص، الذين قضوا حياتهم في دراستها وتدبرها وتطويرها. وحتى الأسلحة النووية والكيماوية وما إليها، يمكن اتباع أساليب قتالية تُحيِّد فيها هذه الأسلحة. وليست الحرب دائمًا التحامَ جيوش ضخمة، وقيام حروب ظاهرة مكشوفة، بل أساليب القتال والنكاية فيَ العدو أكثر من أن يُحدها حصْر، ولو أخلصنا في النكاية في العدو، لأورثناه الجنون والارتياع، ولترك الأرض، وولى من حيث أتى، فهو لا صبْر له على المواجهة كصبر المؤمنين، ولا رغبة له إلا في الحياة الدنيا الرخيصة: ﴿ **وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ** ﴾ [البقرة: 96]. ولو أحسَّ باليأس لاستسلم، أو لفرَّ وترك كل شيء خلفه.

إن للحرب أشكالا عديدة غير محصورة، يمكن أن تنهك العدو، وتفجِّر الأرض تحت قدميه، وتشعل السماء فوق رأسه. ومن هذه الأشكال ما كان يقوم به حزب الله في جنوب لبنانَ من جهاد يومي، خارج عن النطاق الرسمي للدولة اللبنانية، ومنها ما تقوم به حركة حماس ومنظمة الجهاد الإسلامي من عمليات استشهادية ضد جنود الاحتلال، ومنها ما كان يقوم به الفدائيون الفلسطينيون من اختراق لأعماق العدو، ومباغتته بضربات موجعة، ومنها ما كان بيننا وبين هذا العدو من حرب استنزاف طويلة ومتصلة... إلخ.

والانتفاضة الفلسطينية صورة حيَّة من صور الجهاد الشعبي، فجَّرها الشعب بجميع فئاته، فأقضتْ مضاجع الاحتلال الإسرائيلي، وحرَّكت الوضع الفلسطيني الذي أصيب بالخمول لسنوات، وأحيَتْ القضية التي كانت على وشك الموت، وجذبت الاهتمام العالمي إلى أبعاد إنسانية كانت مفقودة في التعامل مع الشعب

الفلسطيني وقضيته المأساوية . والعالم عادة يحترم الأقوياء، الذين يُضحون في سبيل حقوقهم .

وقد كلفت فترة احتلال إسرائيل لجنوب لبنان ألف قتيل من الجيش الإسرائيلي، ومئتي مليار دولار ، ستظل تؤثر على الاقتصاد الإسرائيلي ردحًا من الزمن .

وقد كلفت الانتفاضة الاقتصاد الإسرائيلي مليارات الدولارات، ودفعت العدو إلى مراجعة استراتيجية بشأن الفلسطينيين، ودعم هذا الاتجاه، أن المحرك الأساسي للانتفاضة كان هو الحركة الإسلامية المتألقة، التي أنشأت تنظيماتها وهياكلها ومؤسساتها الشعبية، وهي التي عبَّأت الجماهير في مواجهة يومية لقوات الاحتلال .

إن رجال التخطيط والاستراتيجية العسكرية، لديهم من الوسائل والأساليب المتجددة، ما يمكن أن يُدوِّخ الخصم، ويفقده توازنه . وعندنا منهم أصحاب مهارة وكفاية نادرة بما يكفي .

هذا هو الطريق لتحرير فلسطين، وإلا فإن التاريخ سيحكم علينا حُكْمًا قاسيًا بأننا كنا أذلاء جُبناء، لا ضعفاء، ولا فقراء- كما ندَّعي . فالتاريخ لا يُحابي، والأجيال القادمة لا يمكن الكذب عليها .

كيف هُزمتْ إسرائيلُ في لبنان وتضعضعت دولة الغباء والغرور؟

واجهت إسرائيل في لبنان أول هزيمة كاملة، وهي ليست مجرد هزيمة عسكرية، ولكنها هزيمة في تخطيطها السياسي الذي كان دائماً يفرض انتصاراتها. وقد استطاع لبنان البلد الصغير بجدارة أن يضع إسرائيل في وضع جديد، وضع الدولة الغبية التي لا تستطيع أن تحمي مصيرها، دولة عاشت منذ أن وُجدت وهي في منتهى الغرور ومنتهى الغضب، إلى أن كشف لبنان غباءها. وهو غباء لا تفيق منه إسرائيل إلى الحل، حتى لو كان الحل هو انسحابها من لبنان، ولكنه غباء سيفقدها ثقتها بنفسها، إلى أن تفيق من غرورها، وترضى صاغرة بأن تكون طائفة على أرض فلسطين [1].

ولنعرف كيف هُزمتْ إسرائيل في لبنان؛ نقرأ المقالة التالية [2]:

المقاومة الوطنية الإسلامية هزت من الأساس النظرية العسكرية الإسرائيلية

إسرائيل دولة صغيرة بالمقارنة مع مساحة فلسطين وإمكاناتها الاقتصادية، لكنها في الوقت نفسه ذات طموح إمبراطوري، يتسع ليشمل منطقة الشرق الأوسط كلها.

وهذه المفارقة تنطوي على مفارقة أخرى أبلغ دلالة، وهي أن الطموح الإمبراطوري يحميه جيش هو الخامس في العالم، وذراعه الضاربة سبق أن وصلت إلى مطار عنتيبي، وإلى المفاعل النووي العراقي، ثم إلى بيروت لكنه في الوقت نفسه ذراع تحمله قدمان من قصب!

الإمبراطورية الإسرائيلية خرافة، لا أكثر، ولا أقل. وهذه الحقيقة ترتكز على ثلاثة محاور، تدور بها الأزمة العامة في إسرائيل: الأول محور الجيش، والثاني محور الاقتصاد، والثالث محور الوضع السياسي الداخلي.

أما المحور الأول، وهو الجيش الإسرائيلي- الذي طبَّقت شهرته الآفاق في

(1) إحسان عبد القدوس، المجلة ع (209)، 11 فبراير 1984، ص 19 بتصرف.
(2) مجلة العالم ع (46)، ٢٩ ديسمبر 1984، 6 ربيع الآخرة 1405 هـ، ص 12-13.

الحروب النظامية مع الجيوش العربية، فقد بدا ضعيفًا ومتهافتًا في ميدان الحرب الشعبية. والدليل الصارخ على ذلك تجربة هذا الجيش في جنوب لبنان سنة (١٩٨٢م). لقد تأكد أن الجيش الإمبراطوري المعد والمسلح بأفضل الأسلحة والخبرات العالمية- عاجز تمامًا عن تحمل قليل من الخسائر البشرية، التي لا يمكن مقارنتها بما خسرته الجيوش العربية في ساحات القتال.

وعلى سبيل المثال القريب، فالقوات السورية فقدت في حرب يونيو (١٩٦٧م) ما لا يقل عن ثلاثة آلاف جندي، ومع ذلك لم تظهر على الجيش السوري عوارض التعب والإرهاق. وأكثر من هذا فالمجتمع السوري، وهو كأي مجتمع آخر المسئول عن رَفد القوات العسكرية بالرجال، سرعان ما هضم هذه الخسائر. خلافًا للجيش الإسرائيلي الذي خسر في جنوب لبنان بضع مئات من الجنود، وبضعة آلاف من الجرحى، الأمر الذي أدى سريعًا إلى ظهور عوارض من الوهن والخوف، وإلى نشوء حركات معارضة للحرب في إسرائيل، قامت تطالب بسحب جنود الاحتلال بسرعة من الجنوب اللبناني؛ لأن مشاهد الموت فاقت قدرة الصهيوني على الاحتمال!

إن الصبر ميزة بالغة الأهمية في المجتمعات الإسلامية عمومًا. والمسلم المؤمن الذي يدعوه إيمانه الديني لمحاربة الكفر والظلم والطغيان مهما كان الزي الذي تزين به، لا يحفل بالموت، ما دام للموت معنى يختلف تمامًا عن معناه في ذهن اليهود الاشكينازيم المشبعين- بالرغم من الطابع الديني للدولة الصهيونية- بنظرة الغرب للحياة والموت، وبالتالي للطبيعة والإنسان.

ويلحظ أنه، إذا كان فقدان بضع مئات من الجنود، له كل هذا الخطر على توازن المجتمع الصهيوني، فكيف سيكون الحال لو فقد هذا الجيش ما فقده الجنوبيون من أرواح خلال سنوات عشر مثلا؟! والرقم التقريبي بالنسبة للجنوب اللبناني وحده يزيد على عشرين ألف شهيد، سقطوا جميعًا: إما على محاور القتال في بيروت، أو الجبل، أو في مقاومة الاحتلال الإسرائيلي. وثمة قرى لا تستطيع أن تميز في نسائها إلا اللون الأسود، الذي يدل على فقدان قريب أو صديق. ومع ذلك كله فقد احتفظ مجتمع الجنوب الزراعي الفقير عمومًا بتوازنه، ولم تستطع دبابات الميركافا كسر هذا

التوازن أو اختراقه. وهذا وحده أبلغ نقد ملموس للنظرية العسكرية الإسرائيلية عمومًا، التي تُولي السلاح والتقنية أهمية حاسمة في الحروب مع العرب.

وما دام الطموح الإمبراطوري قائمًا وملحاحًا ولجوجًا أيضًا، فلابد من الافتراض بأن الجيش الإسرائيلي- الذي سبق واحتل بيروت- قد يصل إلى دمشق، وربما إلى حلب، وبغداد، وبر الأناضول. وهذا التوقع لا يقال جزافًا؛ لأن "إرييل شارون" فكَّر خلال حرب أكتوبر (١٩٧٣م) بالسير قدمًا باتجاه القاهرة، وإسقاط عاصمة المعز لدين الله الفاطمي بالضربة القاضية. وإرييل شارون ظل يردد أنه ارتكب خطأ قاتلا، عندما توقف بالقرب من طريق بيروت- دمشق في سهل البقاع، ولم يتقدم باتجاه دمشق نفسها، حيث بقيت المسافة بينه وبينها بحدود خمسة وعشرين كيلو مترًا فقط!

وما دام الأمر كذلك، فكيف كان شارون سيتدبر الأمر وهو في دمشق، أو القاهرة؟ فقد فتح شارون بيروت من أبوابها الخمسة، وكانت مشاعر الانتصار مما لا يمكن وصفه، ولكن بعد أسبوعين فقط من اجتياح بيروت الغربية، وبعد خمس عمليات فقط، هي فاتحة درب المقاومة الطويل والصعب والمضيء، وسقوط خمسة قتلى من جنود الاحتلال، وأقل من عشرة جرحى- أخذ جنود الاحتلال يدورون في أحياء بيروت، وهم ينادون السكان قائلين: "لا تطلقوا النار على جيش الدفاع الإسرائيلي؛ لأنه سينسحب فورًا من بيروت"، وهذا يعني أن الطموح الإمبراطوري يقوم على قاعدة غريبة عجيبة، وهي أن باستطاعة هذا الجيش أن يقوم بكل الحروب والاجتياحات، وأن يحطم الجيوش العربية، وأن يحقق أعظم النتائج السياسية؛ لأنه لن يفقد إلا القليل الضروري من الجنود.

إن هذه الخرافة الثانية كان لها ما يبررها، ويجعلها مقبولة على صعيد هيئة أركان الجيش الإسرائيلي. وفي الخصوص، فالنظرية العسكرية الإسرائيلية تعطي للمبادرة في الحرب أو المفاجأة أهمية أولى، وللحرب الخاطفة التي ينبغي حسمها في أقصر وقت ممكن أهمية أولى أيضًا. ومن هنا جاء اسم حرب حزيران يونيو (١٩٦٧)، فسميت حرب الأيام الستة. والواقع أن حرب الأيام الستة لم تكن حربًا إلا بالمعنى الضيق لهذه الكلمة، لقد كانت حربًا من طرف واحد، أما الجيش المصري، فقد

اكتفى بانسحاب غير منظم ؛ لأنه فقد منذ الساعات الأولى تغطيته الجوية . أو بعبارة أدق ، كان يفتقد القرار السياسي بالحرب .

والأوهام هي التي جعلت إسرائيل تخلع على الأيام الستة الأساطير ، وهذه الأساطير أصبحت في مستوى الحقائق التي لا يمكن التشكيك فيها ، ويكفي إذن توفر المفاجأة ، وسرعة الهجوم حتى يتحطم أي جيش عربي ! وبقيت الأوهام سيدة الموقف فعلا حتى جاء أكتوبر (١٩٧٣) . ولأول مرة منذ عام (١٩٤٨) ، تقوم دولتان عربيتان بالهجوم بعد إعداد طويل ، ولأول مرة تجد إسرائيل نفسها على كف عفريت ، كما جاء في كتاب " المحدال " . وتفكر جولدا مائير بالانتحار ، ويصاب عقل موشي ديان بالشلل . ولكن في هذه اللحظة من الارتباك الكبير ، استطاع الأمريكيون- الذين كانوا حاضرين طبعًا ، وبسكوت من السوفيات- اكتشاف ثغرة الدفروسوار . والثغرة لم تكن عسكرية ، بل سياسية ؛ لأن السادات- كما روى الفريق الشاذلي فيما بعد- كان قد أصبح في قبضة واشنطن ، ومن هذه الثغرة دخل إرييل شارون ، ومنها أيضًا عادت الأوهام لتصبح سيدة الموقف في إسرائيل .

وكان ينبغي انتظار حرب يونيو(١٩٨٢م) حتى تتضح الحقائق وتتبدد الأوهام ، وفي هذه المرة أيضاً اتخذ بيجن وشارون القرار بالاجتياح ، وهما تحت تأثير أوهام الأيام الستة ، وقبلها أوهام " حرب الاستقلال " لعام ١٩٤٨ ، وكذلك أوهام ثغرة الدفرسوار ، وكان تقدير المخابرات الإسرائيلية وهيئة الأركان متطابقاً : ثمة " نزهة " يستطيع جيش الدفاع المزعوم أن يقوم بها ، وقد تتطلب وقتًا لا يزيد عن ستة أيام أيضًا ويصير الجيش في قلب بيروت . وبالفعل خلال ستة أيام كان الجيش الإسرائيلي قد أحكم الحصار علي بيروت ، ودارت عجلة الأوهام بسرعة مذهلة ، فصرح شارون عندئذ قائلا : هذا انتصار لا يضاهيه بالأهمية إلا الانتصار في " حرب الاستقلال " . .

ثم ماذا حدَث بعد ذلك؟

من تحت الركام والدخان والدماء والدموع ، خرجت المقاومة بتجهيزات بسيطة للغاية ، ولكن بإرادة حديدية ، وقلب صابر صخري . والجيش الإمبراطوري ، الذي كان في وضعية هجومية ، أصبح بعد وقت قليل من عمليات المقاومة في وضعية

دفاعية ميئوس منها، والقرار الإسرائيلي ببدء مفاوضات عسكرية مع لبنان اعتراف بهذه النتيجة.

لقد تأكد إذن أن الحرب الخاطفة مستحيلة في أجواء حرب الشعب، وأن الطريقة الناجحة الوحيدة لقتل الذئب الإسرائيلي ليس تكديس الأسلحة والجيوش النظامية وحسب، مع الاعتراف بأهمية ذلك شريطة وجود القرار السياسي، بل في المقام الأول: جر الجيش الإسرائيلي إلى المدن والقرى وإنزال الضربات بجنوده، وهي ضربات لا تنفع معها لطائرات، ولا المدفعية، ولا الدبابات!

والأمر ليس جديداً، بل إن حرب الشعب في الجنوب اللبناني، نفضت الغبار، وأعادت الاعتبار لهذه الفكرة البسيطة، القائلة بأن حرب الشعب هي الوسيلة الوحيدة، التي تستطيع الشعوب المستضعفة والفقيرة، التي لا قدرة عندها على إنتاج آلات الحرب المتطورة والعملاقة، واستخدامها في مواجهة عدوان مجهز بتقنية عالية.

وعندما يفقد الجيش الإسرائيلي توازنه، يفقد المجتمع الإسرائيلي توازنه، والأزمتان الاقتصادية والسياسية نتيجة فقد التوازن. وليس دون دلالة أنه في الوقت الذي تكشف فيه نظرية الحرب الخاطفة عن محدوديتها وضيق أفق أصحابها، تكشف جوانب الأزمة الأخرى عن الانشقاق الحاصل والمتسع دائمًا بين العلمانيين والمتدينين، وبين العلمانيين أنفسهم، وبين المتدينين أنفسهم، كذلك بين الاشكنازيم والسفارديم، وبين يهود إسرائيل ويهود الخارج، ثم بين الجيش والسياسيين، وشيئًا فشيئًا تجد إسرائيل نفسها في دائرة واسعة من الحلقات المفرغة.

وهذا سيرمي بأعداد كبيرة في هاوية البطالة والتمزق ومشاعر الإحباط والفقر المدقع، كما سيؤدي إلى استمرار تزايد نسبة التضخم، بالرغم من المليار ومئتي مليون التي حولتها واشنطن إلى أحد المصارف لحساب حكومة إسرائيل.

والحل الذي يلوح في الأفق، ويرعب الكثيـــرين، هو الذي يلوح به إرييل شارون: انقلاب عسكري لتقنين الديمقراطية الصهيونية في أضيق نطاق ممكن! تصوروا إذن كيف أن إسرائيل تترنح بسبب ديمقراطيتها. وينسى شارون وأمثاله أن الديمقراطية الصهيونية هي الوجه الآخر لدبابة الميركافا والطموح الإمبراطوري، وأنه

عندما واجه هذا الطموح- ولأول مرة- مقاومة غريبة عليه، وغريبة على الميركافا التي اعتادت منازلة دبابة مثلها، أصبحت الديمقراطية في إسرائيل عبئًا لا يطاق؛ لأن الأصل في إسرائيل العدوان واغتصاب الحقوق والتدمير والتخريب أما الديمقراطية في الداخل، فلأجل تمويه هذا الأصل، وذر الرماد في العيون. ا.هـ

إسرائيل تدرك ألا بقاء لها في المنطقة بالسلام، فلابد لها من الحرب، والحرب نفسها ستؤدي إلى انتهاء إسرائيل، لأنها لا يمكن لها أن تشن حربًا مستمرة ضد كل من حولها.

واستدعاء عشرين ألفًا من الاحتياط لاجتياح الضفة الغربية وحدها! واستخدام الطائرات والمجنزرات والمصفحات والمدافع الثقيلة والقنابل المحرمة والديناميت والصواريخ لهدم البيوت على رءوس المدنيين الفلسطينيين. ومع كل هذا، يظل الجيش الإسرائيلي عاجزًا أمام المقاومة الباسلة لأيام عن اقتحام المخيمات الفلسطينية، أي أنها تعد كل ذلك لحرب مدنيين، ولمواجهة الدولة العربية الوحيدة التي لا جيش لها.

الجهاد هو السبيل الوحيد لتحرير فلسطين

فتوى علماء المسلمين عام 1989م

وبعد،

فإن مهمة علماء المسلمين، وأهل الرأي فيهم، أن يكونوا عصمة للمسلمين، وأن يبصروهم إذ حارت بهم السبل، وادلهمت الخطوب.

ونحن- الموقعين على هذه الوثيقة، نعلن للمسلمين في هذه الظروف الصعبة: أن اليهود أشد الناس عداوة للذين آمنوا؛ اغتصبوا فلسطين، واعتدوا على حرمات المسلمين فيها، وشرَّدوا أهلها، ودنسوا مقدساتها. ولن يَقرَّ لهم قرار حتى يقضوا على دين المسلمين، وينهوا وجودهم، ويتسلطوا عليهم في كل مكان- إن استطاعوا.

ونحن نعلن بما أخذ الله علينا من عهد وميثاق في بيان الحق: أن الجهاد هو السبيل الوحيد لتحرير فلسطين، وأنه لا يجوز بحال من الأحوال الاعتراف لليهود بشبر من أرض فلسطين، وليس لشخص أو جهة أن تقرَّ اليهود على أرض فلسطين، أو تتنازل عن أي جزء منها، أو تعترف لهم بأي حق فيها، وإن هذا الاعتراف خيانة لله والرسول وللأمانة التي وُكلَ إلى المسلمين المحافظة عليها، والله ا يقول: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: 27]

وأي خيانة أكبر من بيع المقدسات المسلمين، والتنازل عن بلاد المسلمين إلى أعداء الله ورسوله والمؤمنين؟!

ننا نوقن بأن فلسطين أرض إسلامية، وستبقى إسلامية، وسيحررها أبطال الإسلام من دنس اليهود، كما حررها صلاح الدين الأيوبي من دنس الصليبيين. [وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ].

وصلى الله على عبده ورسوله محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

. . . .

. . . .

وقد وقع على هذه الفتوى أكثرُ من ستين من علماء الإسلام ودعاته، في العالم كله. منهم: د. يوسف القرضاوي، والشيخ محمد الغزالي، ود. عمر سليمان الأشقر، ود. خالد المذكور، ود. وهبة الزحيلي، ود. محمد نعيم ياسين، ود. عبد الله عزام، ود. عبد الستار فتح الله سعيد، ود. فتحي يكن، والشيخ عبد الرحمن عبد الخالق، والشيخ أحمد القطان، ومحفوظ النحناح، وراشد الغنوشي، والشيخ حافظ سلامة، ود. عبد السلام هراس، ود. طه جابر العلواني، والشيخ مصطفى مشهور، وقاضي أحمد حسين، ووحيد الدين خان.

قرار منظمة المؤتمر الإسلامي
رقم 3/5 - س (ق.أ)
بشأن إعلان الجهاد المقدّس [1]

إن مؤتمر القمة الإسلامي الثالث (دورة فلسطين والقدس)، المنعقد في مكة المكرمة، بالمملكة العربية السعودية، في الفترة من 19 إلى 22 من ربيع الأول 1401هـ (الموافق من 25 إلى 28 من يناير 1981م).

الذي بحث ما وصلت إليه قضية احتلال القدس الشريف، وإعلان ضمها كعاصمة أبدية لكيانه، ولما لحقَ بمقدسات المسلمين، وبتراثهم الديني والحضاري من اعتداء وتدنيس، ونظراً لإصرار العدو الصهيوني على إنكار الحقوق الوطنية الثابتة للشعب الفلسطيني في بلاده ودياره وممتلكاته، والعمل المستمر على تدميره، وإلحاق أقصى أنواع الإرهاب والأذى به، ولاستمراره باحتلال أراضي دول عربية أخرى، متجاهلا قرارات المؤتمر الإسلامي السابقة، والقرارات التي صدرت عن الهيئات الدولية، كالأمم المتحدة، وحركة عدم الانحياز، مما أوضح لجميع المسلمين وللعالم أجمع، أن هذا العدو مصمم على العدوان والاحتلال، ومتجاهل لقواعد الأخلاق والمثل والأعراف في التعامل الدولي. لكل هذه الأسباب، فقد تدارس ملوك ورؤساء الدول الإسلامية المجتمعون في هذه المؤتمر وفي هذه الديار المقدسة هذا الوضع، ووجدوا فيه أمراً لا يقبل مزيداً من الصبر والتحمل، مما دعاهم إلى التفكير بضرورة أن تكون المرحلة القادمة مرحلة جديدة، تتسم بالعمل الفعال لإحقاق الحق، وردع الباطل؛ لذلك فقد اتفقوا بإجماع الآراء على:

إعلان الجهاد المقدس كواجب على كل مسلم ومسلمة، فرضته شريعة الإسلام وتقاليده. لذلك فجميع المسلمين المقيمين في البلاد الإسلامية وفي خارجها مدعوون لتأدية هذا الواجب، والمساهمة فيه كل حسب قدرته واستطاعته؛ مرضاة لله ؛ وتأدية لواجب الأخوة

---

[1] القرارات الخاصة بالقدس الشريف وفلسطين الصادرة عن مؤتمرات القمة الإسلامية: منظمة المؤتمر الإسلامي - الأمانة العامة، 1997 م، ص 31.

الإسلامية؛ وخدمة للحق. والدول الإسلامية إذ تعلن الجهاد المقدس؛ لإنقاذ القدس الشريف؛ ونصرة الشعب الفلسطيني؛ وتحقيق الانسحاب من الأراضي العربية المحتلة، تود أن توضح للعالم أن للجهاد المقدس مفهومه الإسلامي، الذي لا يحتمل التأويل وإساءة الفهم، وأن الإجراءات العملية لتنفيذه ستتم وفقًا لذلك، وبالتشاور بين الدول الإسلامية.

المراجـــع

كتب التفسير:

1 . تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم) : عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (774هـ)، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، د. ت.

2 . جامع البيان عن تأويل آي القرآن : أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (310هـ)، دار الفكر، بيروت، 1405هـ.

الحديث الشريف وشروحه:

1 . إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل : محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الثانية، المكتب الإسلامي، بيروت، 1405هـ/ 1985م.

2 . حلية الأولياء وطبقات الأصفياء : أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، ط4، دار الكتاب العربي، بيروت، 1405هـ.

3 . السلسلة الصحيحة : محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض.

4 . سنن أبي داود : أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني (275هـ)، تعليق : محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، د. ت.

5 . سنن البيهقي الكبرى : أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (458هـ)، تحقيق : محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار نزار الباز، مكة المكرمة، 1414هـ/ 1994م.

6 . سنن الترمذي، وهو الجامع الصحيح : أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (279هـ)، تحقيق : أحمد محمد شاكر، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

7 . سنن النسائي، المجتبى من السنن : أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي (303هـ)، ط2، تحقيق : عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، 1406هـ/ 1986م.

8 . شعب الإيمان : أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، تحقيق : محمد السعيد زغلول ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1410هـ .

9 . صحيح البخاري : أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي البخاري ، ط3 ، تحقيق : د . مصطفى ديب البغا ، دار ابن كثير - اليمامة ، بيروت ، 1407هـ/ 1 987م .

10 . صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان : محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي (354هـ) ، ط2 ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1414هـ/ 1993م .

11 . صحيح مسلم : أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري (261هـ) ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، ط4 ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، 1412هـ/ 1991م .

12 . المعجم الأوسط : أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (360هـ) ، تحقيق : طارق عوض الله محمد ، و عبد المحسن إبراهيم الحسيني ، دار الحرمين ، القاهرة ، 1415هـ .

13 . فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري : أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، دار المعرفة ، بيروت ، 1379هـ .

14 . المستدرك على الصحيحين : أبو عبد الله الحاكم النيسابوري (405هـ) ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1411هـ/ 1990م .

15 . مسند الإمام أحمد : أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني (241هـ) ، مؤسسة قرطبة ، القاهرة .

كتب الفقه:

1 . أحكام أهل الذمة : ابن قيم الجوزية ، رمادي للنشر ، الدَّمام ، 1418هـ / 1997م .

2 . الأم : أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1413هـ/ 1993م .

3 . بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع : علاء الدين أبو بكر بن مسعود الكاساني (587هـ)، دار المعرفة، بيروت، 1420هـ/ 2000م .

4 . بدائع الفوائد : ابن قيم الجوزية، تحقيق : مركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى الباز، ط9، مكة المكرمة، 1419هـ/ 1998م .

5 . بداية المجتهد ونهاية المقتصد : أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي . وبهامشه السبيل المرشد إلى بداية المجتهد ونهاية المقتصد، شرح وتحقيق : د . عبد الله العبادي، دار السلام، القاهرة، 1416هـ/ 1995م .

6 . شرح الزرقاني على موطأ مالك : محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني (1122هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت .

7 . المبدع شرح المقنع : برهان الدين ابن مفلح الدمشقي، المكتب الإسلامي، بيروت- دمشق .

8 . المغني على مختصر الخرقي : أبو محمد عبد الله بن محمد ابن قدامة المقدسي، دار الفكر، بيروت، 1405هـ .

9 . مغني المحتاج في معرفة معاني ألفاظ المنهاج : شمس الدين محمد بن الخطيب الشربيني، على متن منهاج الطالبين، للإمام يحيى بن شرف الدين النووي الشافعي، اعتنى به : محمد خليل عيتاني، دار المعرفة، بيروت، 1418هـ/ 1997م .

- **كتب حديثة:**

1-الإرهابيون الأوائل- جيراننا الجدد : وجيه أبو ذكرى، المكتب المصري الحديث، القاهرة، 1987 .

2-أرض الميعاد- دراسة علمية للوعد الإلهي لبني إسرائيل بأرض الميعاد على ضوء الكتب السماوية : د . حسين فوزي النجار، مكتبة الأنجلو، القاهرة، 1959 .

3-الاستراتيجية الإسرائيلية والمقاومة في الأرض : أسامة الغزالي حرب، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، القاهرة، نوفمبر 1977م .

4-إسرائيل والتلمود: إبراهيم خليل أحمد، دار المنار، القاهرة، 1410هـ/ 1990م.

5-الأمن الثقافي العربي- التحديات وآفاق المستقبل: محمود النجيري، أكاديمية نايف للدراسات الأمنية والتدريب، الرياض، 1412هـ/ 1991م.

6-الأمن القومي العربي: عبد الله بلقزيز، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 1988م.

7-تحصيل الزاد لتحقيق الجهاد: سعيد عبد العظيم، مكتبة الإيمان، الإسكندرية، 1990م.

8-تصور الإخوان المسلمين للقضية الفلسطينية: د. عبد الفتاح محمد العويسي، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، 1409هـ.

9-الحكومة الإسلامية: أبو الأعلى المودودي، المختار الإسلامي، القاهرة، 1400هـ، .

10-ديميرون ضد إسرائيل: بيير ديميرون، ترجمة: شفيق محمد شفيق، مركز دراسات الشرق الأوسط، القاهرة.

11-رسالة من التوراة إلى مؤتمر السلام: أحمد عبد الوهاب، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، 1992.

12-الصحافة الصهيونية في مصر 1897- 1954م: د. عواطف عبد الرحمن، دار الثقافة الجديدة، القاهرة، 1980م.

13-صراعنا مع اليهود بين الماضي والمستقبل: محمد إبراهيم ماضي، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، 1412هـ.

14-عالم الصليبيين: يوشع براور، ترجمة: د. قاسم عبده قاسم، دار المعارف، القاهرة، 1981.

15-العرب وإسرائيل- صراع أم صلح؟ : أحمد ديدات، ترجمة : محمد مختار، مكتبة النور، القاهرة، 1411هـ، 1991 .

16-المسلمون ومشكلة فلسطين : عبد الله كنون، مجمع البحوث الإسلامية، المؤتمر الرابع، الجهاد، الأزهر، 1388هـ، 1968م .

17-مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني : ترجمة : محمد حرب، دار الأنصار، القاهرة، 1978 .

18-المسيح اليهودي ومفهوم السيادة الإسرائيلية : د. منى ناظم، الاتحاد للصحافة والنشر، أبو ظبي، 1986م .

19-المؤامرة الإسرائيلية على العقل المصري- أسرار ووثائق : حازم هاشم، دار المستقبل العربي، القاهرة، 1986م .

20-النبي ﷺ والسياسة الدولية : مصطفى كمال وصفي، دار الشعب، القاهرة، 1975م .

21-نور الدين محمود- سيرة مجاهد صادق : د. حسين مؤنس، ط2، الدار السعودية، الرياض، 1404هـ .

22-الهدنة الدامية : أ. هـ. هتشيسون، ترجمة محمد محبوب، وأحمد نافع، دون بيانات .

23-اليهود في تاريخ الحضارات الأولى : د. جوستاف لوبون، ترجمة : عادل زعيتر، البابي الحلبي، القاهرة، 1970م .

كتب خاصة:

1 . خطاب جمال عبد الناصر في عيد النصر السادس ببور سعيد، يوم23 ديسمبر 1962م، الهيئة العامة للاستعلامات، القاهرة .

2 . القرارات الخاصة بالقدس الشريف وفلسطين الصادرة عن مؤتمرات القمة الإسلامية : منظمة المؤتمر الإسلامي- الأمانة العامة، 1997م .

3 . كتاب المؤتمر الرابع لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف، القاهرة، 1388هـ، 1968 .

4 . المقاومة الشعبية رباط وجهاد، مكتبة الإمام (5)، وزارة الأوقاف، مصر، 1389هـ، 1969 .

5 . الميثاق وتقريره: قدمه جمال عبد الناصر إلى المؤتمر الوطني للقوى الشعبية يوم 21 مايو 1962م بالقاهرة، دار الشعب، القاهرة، طبعة 1970 .

كتب التاريخ:

1 . تاريخ الأمم والملوك، المعروف بتاريخ الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت، 1407هـ.

2 . البداية والنهاية في التاريخ: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (774هـ)، مكتبة المعارف، بيروت، د . ت .

اللغة والمعاجم:

1 . لسان العرب: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر، بيروت .

2 . المزهر في علوم اللغة وأنواعها: جلال الدين بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م .

3 . المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي: أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، المكتبة العلمية، بيروت .

مجلات: العالم اللندنية، المجلة، الدعوة المصرية، الشباب، السياسة الدولية .

جرائد: الأخبار المصرية- المسلمون .

مواقع على الشبكة الدولية للمعلومات:

1 . موقع الشيخ عبد العزيز بن باز على الإنترنت

(binaz.org.sa) .

2 . موقع رابطة العالم الإسلامي على الإنترنت (themwl.com) .

3 . موقع السلطة الوطنية الفلسطينية : الهيئة العامة للاستعلامات- النكبة (nakba.sis.gov) .

4 . موقع صحيفة الشعب اليومية الصينية أونلاين .

(rabic.peopledaily.com) .

5 . www.hedayah.net

6 . موقع صندوق النقد العربي amf.org.ae

الفهرس